

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
شعبة التفسير والحديث

العجلة و الأناة في القرآن الكريم

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

إعداد الطالبة

هدى بنت سعيد البقيلي السلمي

إشرافه الدكتور

عادل بن علي الشدي

١٤٢٦ _ ١٤٢٧ هـ

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى ، والذي قدّر فهدي ، أوجد الإنسان ولم يتركه سُدى ، وأودع فيه خصائص وصفات شتى ، وأرشدته للمنهج الأسمى ، والصلاة والسلام على رسول الورى ، وعلى آله وصحبه ومن سار على درب الهدى .

أما بعد :

فقد خلق الله الإنسان وأوجده على هذه البسيطة ليعبده جل وعلا . ومن رحمته أنه أرسل له الرسل ، وأنزل له الكتب ، ليوجهه ويُرشده في خضم موج الحياة المتلاطم . واقتضت حكمته وإرادته إيداع هذه النفس البشرية خصائص وصفات متباينة ، ومزيجاً من خير وشر ، حُسن وقبح . وفي ظل هذا لم يتركه سُدى ، بل أبان له الطريق وعرفه سبل المنهج القويم ، ليسير على بصيرة وهداية ، ومعرفة واستنارة .

وقد ميّز الله الإنسان عن سائر خلقه بميزتين ، الأولى : العقل والعلم . والثانية :

كونه مخلوقاً من طين ثم من دم ولحم ، وأنه تبعاً لذلك مجبول على الشهوات والدوافع الغريزة وما يتفرّع عنها من الجهل وسفك الدماء والإفساد والخسران والهلع والجزع والطمع^١ .

مشكلة البحث:

مما أودعه الله في تلك النفس الإنسانية صفة العجلة . قال تعالى : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ

عَجَلٍ }^٢ قال الطبري : " رُكِبَ عَلَى الْعَجَلَةِ فَخُلِقَ عَجُولاً ، أَي طَبَعَ الْإِنْسَانُ الْعَجَلَةَ فَيَسْتَعْجَلُ كَثِيراً مِنَ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مُضِرَّةً " ^٣ .

وقد ذُكر في القرآن أنّ الرسول ﷺ كان يَعَجَلُ أثناء تبليغ جبريل له بالوحي

فيحرك به لسانه ، فنهاه الله ، وبّين له المنهج في ذلك^٤

^١ - جامع البيان في تأويل القرآن / للإمام الطبري دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط : الأولى ١٤١٢هـ -

^٢ - الأنبياء - ٣٧ .

^٣ - جامع البيان في تأويل القرآن / للإمام الطبري دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط : الأولى ١٤١٢هـ -

^٤ - تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور مؤسسة التاريخ - بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ط : الأولى

(٣٢٣/٢٩)

كما ورد أيضاً استعجال المسلمين عذاب الكفار ، واستعجلوا النصر ، واستعجلوا الشفاء ، فجاء القرآن مذكراً ومنادياً ، ومرشداً وهادياً .

وقد استعجل الكفار العذاب فطالبوا به ودعوا به على أنفسهم وورد في هذا الشأن قوله تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ }^١ وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }^٢ ووردت آيات فيها تهديد من الله لتلك القلوب القاسية ، والألسنة العاتية قال تعالى : { سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ }^٣ وقال تعالى : { أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ }^٤ وقال تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ }^٥ ويتمادى هؤلاء فيطالبون النبي ﷺ بالعذاب ويستعجلون به ، قال تعالى : { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ . قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ }^٦

وقد تستعجل النفس البشرية فتدعوا بالشر قال تعالى : { وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }^٧ لكن الحكيم الخبير لا يستجيب ولا يُعجل لهم الشر لحكمته ورحمته قال تعالى : { وَوَيْعَجِلُّ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لِقُضِيِّ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }^٨ .

^١ - الحج - ٤٧ .

^٢ - الأنفال - ٣٢ .

^٣ - الأنبياء - ٣٧ .

^٤ - النحل - ١ .

^٥ - الحج - ٤٧ .

^٦ - الأنعام - ٥٧ ، ٥٨ .

^٧ - الأسراء - ١١ .

^٨ - يونس - ١١ .

من أجل ذلك لابد لهذه السمة من تهذيب وصرّف في أوجه الخير . وقد بّين القرآن الكريم والسنة المطهرة لنا كيفية ذلك ، كدعوتهما الإنسان للمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها .

وأوضحت السنّة كثيراً من الأحوال التي تُحمد فيها العجلة : كتعجيل الصلاة في أول الوقت ، وتعجيل تسمية المولود^١ ، وقضاء الدين ، وقرى الضيف ، ومكافأة المحسن ، وتجهيز الميت^٢ .

بل جعلت العجلة في بعض المواطن من الشعائر التعبدية كتعجيل الفطر في الصيام^٣ . وكان من منهج القرآن الكريم في تهذيبها : امتداح الأناة ، وبيان فضلها ، وأنها من الخصال التي يحبها الله ورسوله .

أسباب اختيار الموضوع :

١ - أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية وفعاليتيهما في توجيه السلوك لينسجم مع الفطرة القويمية التي خلق الله الإنسان عليها .

٢ - تسليط الضوء على صفة العجلة وهي من الصفات التي تحتاج إلى ضبط وعناية وتحكّم .

٣ - تصحيح المفهوم السائد بسلبية العجلة على كل حال .

٤ - الحاجة إلى الأناة والتروي في كثير من القضايا .

٥ - حاجة المرّبي والمعلم إلى التعرف على صفتي العجلة والأناة ، وتهذيبهما على ضوء المنهج القرآني .

أسئلة البحث :

حاول البحث أن يجيب على جملة من الأسئلة منها :

١ - انظر سنن أبي داود كتاب الصوم / باب ما يستحب من تعجيل الفطر (٧٦٣/٢) حديث : (٢٣٥٣) .

٢ - انظر الجامع الصحيح للترمذي كتاب الأدب / باب ما جاء في تعجيل اسم المولود (١٣٢/٥) حديث (٢٨٣٢) .

٣ - انظر الجامع الصحيح للترمذي كتاب الجنائز / باب ما جاء في تعجيل الجنائز (٣٧٨/٣) حديث (١٠٧٥) .

- ١- هل تناول القرآن الكريم والسنة المطهّرة موضوع العجلة والأناة بما يؤدي إلى تقويم السلوك الإنساني على أساسها؟
- ٢- ما هي الخصائص التي أودعها الله في النفس الإنسانية وهل يمكن تهذيبها؟
- ٣- هل يمكن توجيه صفة العجلة لتنسجم التصرفات الإنسانية مع منهج الاعتدال؟
- ٤- ما هي الفوائد التي تنتج عن دراسة هذه الصفة وتوجيهها على ضوء القرآن الكريم والسنة المطهّرة؟
- ٥- ما هي مسببات العجلة وآثارها ، وهل هناك عجلة محمودة؟

أهداف البحث :

- ١- التأكيد والإثبات أنّ القرآن والسنة قد بيّنا كل ما يحتاجه الناس ، وأهّما قد شملا كل المواضيع طرحاً وبياناً .
- ٢- معرفة الخصائص التي أودعها الله في النفس الإنسانية وكيفية تهذيبها .
- ٣- توجيه صفة العجلة لتنسجم تصرفات الإنسان مع منهج الاستقامة .
- ٤- إنّ العناية بدراسة هذه الصفة وتوجيهها يُنتج ثماراً يانعة تُحقّق لصاحبها خير الدنيا والآخرة .
- ٥- التعرف على نوعي العجلة : الحمود منها والمذموم .
- ٦- إنّ معرفة مسببات العجلة وآثارها يدفع المرء للمبادرة إليها إن كانت محمودة ، وتجنّبها إن كانت مذمومة .
- ٧- إبراز فضيلة التأيي وبيان آثاره ومظاهره .

منهج البحث :

المنهج المتّبع في هذا الحديث - إن شاء الله - هو منهج التفسير الموضوعي المرتبط بالمنهج الاستقرائي ثم التحليلي .

حدود الموضوع :

العجلة والأناة في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهّرة .

الدراسات السابقة :

بعد الرجوع إلى مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة ، والجامعات السعودية ، لم أعثر على رسالة علمية مسجلة في الموضوع . ووجدت شذرات متفرقة حوله مبثوثة في كتب التفاسير والأحلاق والفضائل ، إضافة إلى بعض الكتب التي يغلب عليها طابع الوعظ والإرشاد ، والمقالات العامة المنشورة في بعض الصحف والمجلات .

إجراءات البحث :

- ١) جميع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع ، وبيان أقوال العلماء فيها ، ودراستها .
- ٢) الرجوع إلى معاجم اللغة العربية وكتب الفروق والأشباه والنظائر ، لبيان المعاني والفروق .
- ٣) الاعتماد على المصادر الأصلية من كتب التفسير بالمأثور والرأي .
- ٤) الاستفادة من الكتب والمقالات العامة التي تناولت الموضوع ، لدراسة أسباب وآثار كل من العجلة والأناة .
- ٥) عزو الآيات القرآنية .
- ٦) تخريج الأحاديث والآثار مع الحكم عليها ما أمكن .
- ٧) التعريف بالأعلام ما أمكن .
- ٨) التعريف بالأماكن غير المشهورة .
- ٩) ضبط الألفاظ التي تحتاج لضبط .
- ١٠) وضع الفهارس : فهرس الآيات ، الأحاديث والآثار ، الأعلام ، البلدان ، المصادر والمراجع ، الموضوعات .

صعوبات البحث :

بفضل من الله تم إنجاز هذا البحث الذي واتني خلال إعداده بعض الصعوبات .. وكان من أبرز الصعوبات المتعلقة بالبحث :

- ١ - قلة المادة العلمية في كتب التفسير ، وكذا الأخلاق والزهد .
- ٢ - تفرّق المادة العلمية بين علوم مختلفة ، ممّا ينتج عنه صعوبة الجمع والتمحيص ؛ فبعضها في علم التفسير ، وبعضها في علم العقيدة، وأخرى تتعلق بعلم النفس، وغيرها أجده في كتب الأخلاق والزهد .
- ٣ - عدم وجود دراسات علمية سابقة تخصّ موضوع البحث بعينه ؛ لذا بذلت جهداً في استخراج المادة العلمية من بين ثنايا الكتب والتفاسير .
- ٤ - قلة ورود مادة (الأناة) في القرآن الكريم .

خطة البحث :

و يتضمن هذا البحث مقدمة وباين وخاتمة .

المقدمة : وتشمل على :

- ١ - أسباب اختيار الموضوع .
- ٢ - خطة البحث .
- ٣ - منهج البحث .
- ٤ - الدراسات السابقة .

الباب الأول : " العجلة أنواعها وأسبابها وآثارها "

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول :

١ - التمهيد ، وفيه :

- العجلة بين الدلالة اللغوية والقرآنية .
- صيغ العجلة .
- مفهوم العجلة .
- الفرق بين العجلة ، والمبادرة ، والسرعة ، والمسابقة .

الفصل الأول : " أنواع العجلة " وفيه مبحثان :

المبحث الأول : العجلة المحمودة ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعجيل التوبة .

المطلب الثاني : العجلة إلى الخيرات .

المطلب الثالث : التعجيل في أداء العبادات .

المطلب الرابع : تعجيل الجزاء في الدنيا .

المبحث الثاني : " العجلة المذمومة " وفيه مطالب :

المطلب الأول : استعجال الأمور المرغوبة لذاتها .

المطلب الثاني : استعجال الأمور المكروهة لذاتها .

الفصل الثاني : (أسباب العجلة) وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسباب العجلة المحمودة وفيه مطالب :

المطلب الأول : طلب رضا الله .

المطلب الثاني : المسارعة إلى سبيل الخير .

المطلب الثالث : مخالفة أهل الكتاب .

المبحث الثاني : (أسباب العجلة المذمومة) وفيه مطالب :

المطلب الأول : العجلة من مظاهر السلوك الإنساني .

المطلب الثاني : الكفر والشرك .

المطلب الثالث : الغضب .

المطلب الرابع : الضعف .

الفصل الثالث (آثار العجلة) وفيه مبحثان :

المبحث الأول : " آثار العجلة المحمودة " ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : محبة الله .

المطلب الثاني : الثقة بموعود الله .

المطلب الثالث : الثبات والعمل الصالح .

المطلب الرابع : دخول الجنة .

المطلب الخامس : التكفير والتطهير .

المبحث الثاني : " آثار العجلة المذمومة " ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : آثار العجلة المذمومة في الدنيا .

المطلب الثاني : آثار العجلة المذمومة في الآخرة .

الباب الثاني : " الأناة مظاهرها وآثارها " . وفيه فصلان :

الفصل الأول : " ما هية الأناة " ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف الأناة . وفيه مطالب :

المطلب الأول : الدلالة اللغوية للتأني .

المطلب الثاني : التأني اصطلاحاً .

المطلب الثالث : نظائر التأني في اللغة .

المبحث الثاني : عرض القرآن للأناة .

المبحث الثالث : فضل الأناة .

المبحث الرابع : اقتران الحلم بالأناة .

المبحث الخامس : الفرق بين التأني و التواني .

الفصل الثاني : مظاهر الأناة وآثارها وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مظاهر الأناة وفيه مطالب :

المطلب الأول : في السلوك العام .

المطلب الثاني : في التعليم .

المطلب الثالث : في قراءة القرآن .

المطلب الرابع : في المشي إلى الصلاة .

المطلب الخامس : عند الدفع من عرفات إلى مزدلفة .

المطلب السادس : في الحكم على الآخرين ومخاطبتهم .

المبحث الثاني : " آثار الأناة " ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : محبة الله .

المطلب الثاني : العدل .

المطلب الثالث : الطمأنينة.

المطلب الرابع : النجاح ونيل المنى.

المطلب الخامس : الأناة طريق إلى الحكمة

الخاتمة :

وفيها ذكر أهم نتائج البحث .

الفهارس وهي :

١ - فهرس الآيات .

٢ - فهرس الأحاديث .

٣ - فهرس الآثار .

٤ - فهرس الأعلام .

٥ - فهرس البلدان .

٦ - فهرس المصادر والمراجع .

٧ - فهرس الموضوعات .

شكر وتقدير :

وبعد أن أقرَّ الله عيني بإنجاز هذه الرسالة ؛ فإنِّي لأتوجَّه بقلبي وقالي لشكر خالقي ، شكر أعجز عنه بيانا ، وله وفاء ؛ ولو بقيت عمري ساجدة ما وفَّيتُ له شكراً على هذه النعمة ؛ التي خرجتُ في ظلِّ ظروفٍ قوية ، وصعوباتٍ فتيَّة .

فحمداً لوأهب النعم حمداً يليق بجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ؛ اعترافاً بعظيم منته ، وسعة رحمته ، وإتمام نعمته .. وحمداً له حتى يرضى ، وبعد الرضا ، ولا حول ولا قوة إلاَّ به .. ثم أبعث رسائل شكري ، ووافر ثنائي ، وخالص دعائي ؛ لكلِّ مَنْ يسرَّ الله له إعانتى في مسيرة بحثي ورسالتى .

فأولى الرسائل : شكرٌ من الأعماق ، عذبٌ رقيق ؛ لأبويَّ الحنونين على

عِظَمِ ما قدَّماه لي ، وبذلاه من أجلي ؛ فلقد كان لـدعمهما المعنوي والمادي ، ودعائهما ، ونصحهما ، وتفرغهما لي ، العون الأكبر في أن يرى هذا البحث النور ..

فلهما مني جزيل الشكر والعرفان ، وصالح الدعاء ، وبالغ الثناء . { رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } ، وأعاناني كبيراً .

وثانية الرسائل : أحطَّها بمداد الفؤاد مع صادق الوداد لأخي وقرة عيني / محمد .. الذي كانت له عليّ أيدٍ بيضاء ، وتحملّ مني كثير العناء ، وبذل الوقت والجهد لعوني ومساعدتي . فبارك اللهم وقته ، وأصلح ذريته ، وارفع في الدارين درجته .

وثالثة الرسائل : أتقدّم بها بكل فخرٍ واعتزاز لعلم (العلم والمعرفة) : جامعة الملك سعود ؛ متمثلة في قسم التفسير والحديث خاصة مشايخي الذين أخذتُ عنهم ، وأفدتُ منهم .

كما أتوجّه بشكري للوالد الحنون فضيلة الشيخ الدكتور / محمد الوهبي رئيس القسم على ما بذله من جهد لإكمال مسيرة الرسالة . كذا شيخيّ الفاضلين كلاً من : د/ زيد عمر ، و د/ عبد الرحمن المطرودي اللذين أعاناني في بدء خطة هذه الرسالة ، وغيرها ، وفي حسن تأسيسهما لطالب الدراسات العليا .

ثم أشكر شكر العاجز عن الثناء وردّ المعروف وإسداء العطاء لفضيلة شيخيّ المشرف الأستاذ د/ عادل بن علي الشدي . على ما أولّانا به من علمٍ وحلم ، وتوجيهٍ بناءً ، وصبرٍ فترة العطاء ، فله عظيم الفضل ، وبالغ الأثر في دفع ورفع الرسالة علمياً ومعنوياً . فجزاه الله خيراً ما جزا معلماً عن طالب . وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء ، ورفع في الدارين ذكره ، و أدخله الجنة بغير حساب . اللهم آمين .

كما أشكر عضويّ اللجنة المناقشة فضيلة الدكتور / عبد الرحمن المطرودي و فضيلة الدكتور / ناصر المنيع ، على ملحوظاتهما السديدة ، وتوجيهاتهما القيّمة .

ورسالة رابعة : خاتمة لكل يدٍ معطاء ، تبغي أجر ربّ السماء ؛ خالص الدعاء بأن يضاعف المنان لكم الدرجات ، ويوردكم الجنات . و أخصّ بالذكر والشكر أخي العزيز / عادل ، كذا الأخت الفاضلة / عزيزة اليوسف .

والله أسأل أن يتولّى هذا البحث ، ويكتب له القبول ، وأن يجعله لوجهه خالصاً ،
وَألّا يجعل فيه لأحدٍ من البشر حظاً .

وقد بذلت جهدي حسب طاقتي و وسعي ؛ فما كان من حُسن وتمام ؛ فبرحمة
العلّام . وما كان من نقصٍ وسهوّ - ولا بدّ - فعلى أنفسنا الملام .

فاذخره اللهم لنا يوم المعاد ، وارفعنا به على رؤوس الأشهاد ، وانفع به العباد .
والله أعلى وأجل . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أُولي الهمم .

التمهيد وفيه :

- دلالة العجلة اللغوية
- مُسمّيات في العجلة
- دلالة العجلة القرآنية
- مفهوم العجلة
- صيغ العجلة
- الفرق بين العجلة والسرعة
- الفرق بين العجلة والمبادرة
- الفرق بين العجلة والمسابقة

دلالة العجلة اللغوية

* العجل والعجلة محركتان : السرعة^(١) خلاف البطء^(٢)، وهو عجل بكسر الجيم وضمّها. قال ذو الرّمة:

كأنّ رجله رجلاً مقطف عجل إذا تجاوب من برديه ترنيم^(٣)

وقوس عجلي: سريعة السهم^(٤).

والعجلان: شعبان؛ لسرعة مضيّه^(٥) ونفاد أيامه.

قال ابن سيده: وهذا القول ليس بقوي؛ لأن شعبان إن كان في زمن طويل الأيام فأيامه طوال وإن كان في زمن قصير الأيام فأيامه قصار^(٦).

وعجلت إليه المال: أسرع إليه بحضوره.

وعجل عجلة أسرع وحضر. ومنه العاجلة للساعة الحاضرة^(٧).

* والاستعجال والتعجّل والإعجال - واحد - : الاستحثاث وطلب العجلة^(٨).

استعجلته: حثته وأمرته أن يُعجّل في الأمر.

(١) القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٩٤١٩-١٩٩٨م ص ١٠٢٩.

(٢) لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري دار صادر بيروت (٤٢٥/١١).

(٣) البيت لذي الرّمة في ديوانه ص ٤١٩ ولسان العرب (٢٥٧/١) (جذب)، (٢٨٥/١) (جوب)، (٨٧/٣) (بود)، (٢٨٦/٩) (قطف) (٢٥٧/١٢) (رغم)، وتهذيب اللغة (٢٥٣/١١)، (١٠٨/١٤)؛ ومقاييس اللغة (٢٣٧/٤)؛ ومجمل اللغة (٢٦١/١)، وتاج العروس (جذب) (جوب) (بود) (قطف) (عجل) (رغم)؛ وكتاب العين (٣٠/٨)؛ وديوان الأدب (٣١٦/٢) وبلا نسبة في المخصّص (١٤٥/١٠).

(٤) لسان العرب/ لابن منظور (٤٢٦/١١) وانظر القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(٥) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(٦) لسان العرب/ لابن منظور (٤٢٥/١١) وسيأتي الرد عليه في (مسميات العجلة).

(٧) المصباح المنير/ العلامة أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي - نوبيلس (٥٣٨/٤).

(٨) لسان العرب/ لابن منظور (٤٢٥/١١).

وأعجلته وتعجّلت خراجه: أي كلفته أن يُعجله.

وعجّل يا فلان أي عجل أمرك^(١).

ومرّ يستعجل: مرّ طالباً ذلك من نفسه متكلفاً إياه^(٢).

* استعجلته: تقدّمه فحملته على العجلة^(٣). قال تعالى: ﴿لَا تَعْجَلْ بِالْكِتَابِ أَنْ يُخَالِفَ أُحْيَا﴾

{ عَجَّلَ }^(٤) أي: كيف سبقتهم؟^(٥)

وتعجّل وعجلّ تعجلاً: أي قدّم.

واستعجله: أي طلب عجلته وكذا إذا تقدّمه^(٦).

و أعجله: سبقه. وعجلت إلى الشيء: سُبقت إليه. فأنا عَجِل^(٧). وعجلته: سبقته:

: { عَجَّلَ }^(٨).

* عاجله بذنبه: إذا أخذه به ولم يُمهله^(٩).

(١) العين لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي (٢٢٧/١).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٤٢٥/١١)، وانظر القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤٢٥/١١)، وانظر تاج العروس/ الحسيني (٦/٨).

(٤) طه، الآية: ٨٣.

(٥) لسان العرب لابن منظور (٤٢٥/١١) وانظر التاج/ الحسيني (٦/٨).

(٦) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ضبطه وصححه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص ٢٢٠.

(٧) المصباح المنير/ الفيومي (٥٣٩/٤).

(٨) الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٩) مختار الصحاح/ الرازي ص ٢١٩، وانظر لسان العرب/ لابن منظور (٤٢٥/١١).

وتعجّل المال: أخذه بسرعة^(١).

والعاجل نقيض الآجل عام في كل شيء^(٢). يُقال عَجَلٌ وَأَجَلٌ^(٣).

والعاجلة ضد الآجلة^(٤): فالعاجلة (الدنيا)، والآجلة (الآخرة)^(٥).

* وتطلق العجلة على عدم التمام. يُقال: أَعَجَلَتِ الناقَة: إذا أَلَقَتْ ولدها لغير تمام.

قالوا: المَعَجَلُ والمُعَجَّلُ من النوق: التي تُنتج قبل أن تستكمل الوقت فيعيش ولدها. والولد:

(مُعَجَّلٌ) كَمُكْرَمٍ^(٦).

قال الأخطل:

إذا معجل غادرته عند مترلٍ أتيح لجوّاب الفلاة كسوب^(٧)

والعجل والعجلة بضمها - وقيل - المعجال من الحوال التي تضع ولدها قبل أناه^(٨).

والعُجالة بالكسر والضمّ: ما تعجّلته من شيء^(٩).

يُقال: عُجالة الراكب تمر وسويق^(١٠)؛ لأنه يستعجله أو لأن السفر يُعجله عمّا سوى ذلك

من الطعام المعالج^(١١).

والعَجَلُ: ما استعجل به من طعام فُقِدَ قبل إدراك الغداء.

وأنشد الخليل:

(١) المصباح المنير/ الفيومي (٥٣٩/٤).

(٢) لسان العرب/ لابن منظور (٤٢٦/١١).

(٣) العين/ الخليل (٢٢٨/١).

(٤) مختار الصحاح/ الرازي (٢١٩).

(٥) اللسان/ لابن منظور (٤٢٦/٤).

(٦) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(٧) البيت للأخطل في لسان العرب (٤٢٦/١١) (عجل) وفي تاج العروس (عجل)؛ وليس في ديوانه.

(٨) تاج العروس / الحسيني (٦/٨).

(٩) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(١٠) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبدالسلام محمد هارون دار الجيل بيروت

(١١) (٢٣٧/٤).

(١) تاج العروس/ الحسيني (٨/٨).

إِنْ لَمْ تُعْثِنِي أَكُنْ يَا ذَا النَّدَى عَجَلًا كَلْقَمَةٍ وَقَعَتْ فِي شِدْقِ غَرْتَانِ^(١)
وَعُجَّالٌ وَعَجُولٌ: جماع الكفّ من التمر أو الحيس: يستعجل أكله^(٢).
وَالْعَجِيلُ: هو ما يقرب من طعام إلى قومٍ قبل أن يتأهب لهم^(٣).
قال ثعلب:

العُجَلُّ والعِجُولُ: ما استعجل به قبل الغذاء كاللُّهْنَةُ^(٤). عَجَّلَتِ القوم كما يُقال:
لَهْنَتْهُمْ^(٥). وعجّل كزبير: اللُّهْنَةُ^(٦).

* العَجَلَةُ: الآلة التي يجرها الثور^(٧)، وكذا المنجنون التي يُستقى عليها^(٨) لسرعة مرّها^(٩).

وجمعها على: عَجَلٌ وَعَجَلَاتٌ^(١٠) وَأَعْجَالٌ وَعَجَالٌ^(١١). قال أبو عبيد: العَجَلَةُ: خشبة
مُعْتَرِضَةٌ عَلَى نَعَامِي البئر، والعَرَبُ معلقٌ بِهَا^(١٢).
وَالعَجَلَةُ أَيضاً: خشبٌ تُؤَلَّفُ يَحْمَلُ عَلَيْهَا الأثقال^(١٣).
وَالعَجَلَةُ: المحالة، قال أبو زيد:

وَقَدْ أَعَدَّ رِبَهَا وَمَا عَقَلَ حَمْرَاءَ مِنْ سَاجٍ تَتَّقَاهَا العَجَلُ^(١٤)

- (١) البيت للخليل في مقاييس اللغة/ لابن فارس (٢٣٧/٤) وانظر العين/ للخليل (٢٢٨/١). وبلا نسبة في لسان
العرب (٤٢٧/١١) مادة (عجل).
- (٢) لسان العرب/ ابن منظور (٤٢٧/١١).
- (٣) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.
- (٤) التاج/ الحسيني (٧/٨) وانظر لسان العرب (٤٢٧/١١).
- (٥) مقاييس اللغة/ لابن فارس (٢٣٨/٤).
- (٦) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.
- (٧) القاموس/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.
- (٨) المقاييس/ لابن فارس (٢٣٨/٤).
- (٩) التاج/ الحسيني (٨/٨).
- (١٠) المقاييس/ لابن فارس (٢٣٨/٤).
- (١١) القاموس/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.
- (١٢) المقاييس/ لابن فارس (٢٣٨/٤).
- (١٣) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.
- (١٤) البيت لأبي زيد في مقاييس اللغة/ لابن فارس (٢٣٨/٤).

* والعجلة: الأداة الصغيرة^(١) كالسقاء والدولاب^(٢). وكذ المزادة والمطهرة^(٣).

وجمعها: عجل:

قال الأعشى:

والساحبات ذيول الخرز أونةً والرافلات على أعجازها العجل^(٤)

قال ثعلب: شبه أعجازهنّ بالأسقية المملوءة^(٥). وسميت بذلك: لأنها خفيفة يعجل بها حاملها^(٦).

والعجلة: ضربٌ من الجبنة من نبات الصيف^(٧).

والعجلة: الدرجة من النخل نحو النقيير^(٨).

وتجمع العجلة أيضاً على عجال مثل جبال، كرهمة ورهام.

قال الطرماح:

تنشف أو شال النظاف بطبخها على أن مكتوب العجال وكيع^(٩)

* العجول: الثكلى والواله من النساء والإبل: وهي التي فقدت ولدها؛ لعجلتها في

(١) المقييس / لابن فارس (٢٣٨/٤).

(٢) القاموس المحيط / الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(٣) العين / الخليل (٢٢٨/١).

(٤) البيت للأعشى في ديوانه ص ١٠٩، ولسان العرب (٤٢٩/١١) (عجل)؛ ومقييس اللغة (٢٣٩/٤)؛ وكتاب الجيم (٦/٢) وتاج العروس (عجل)؛ وكتاب العين (٢٢٨/١)؛ وبلا نسبة في اللغة ص ٤٨٢؛ والانشقاق ص ٢٧٢.

(٥) تاج العروس / الحسيني (٧/٨).

(٦) المقييس / لابن فارس (٢٣٩/٤).

(٧) العين / الخليل (٢٢٨/١) العجلة: هو نبات يستطيل مع الأرض. قال أبو حنيفة: أطيب كلاً وليس بيقبل، وقيل: هي شجرة ذات ورق وكعوب وقصب لينة مستطيلة لها ثمرة مثل رجل الدجاجة متقبضة فإذا ييست تفتحت وليس لها زهر. انظر التاج (٧/٨).

(٨) القاموس المحيط / الفيروز آبادي ص ١٠٣٠، والنقيير: جذع ينقر فيه ويجعل فيه كالمراقى، ومنه الحديث: أسندوا إليه في مشربه في عجلة، عن ابن الأثير. انظر التاج للحسيني (٨/٨).

(٩) البيت للطرماح في ديوانه ص ٣٠١، ولسان العرب (٤٠٩/٨) (وكع)، (٤٢٩/١١) (عجل)؛ وتاج العروس (عجل)؛ وبلا نسبة في تاج العروس (٣٦٨/٢٢) (وكع)؛ وكتاب العين (٢٢٧/١).

حركاتها جزعاً^(١).

فما عَجول على بوّ تطيف به قد ساعدتها على التحنان آظار^(٢)
وجمعها: عَجُلٌ وَعَجَائِلٌ، والصواب: معاجل^(٣).

قال ابن فارس: وتفسيره ما يلحق الواله من الاضطراب والعجلة^(٤).
والعَجول: المنية^(٥)؛ لأنها تُعجل من نزلت به عن إدراك أهله.
قال المرار الفقعسي:

وترجو أن تخطّاك المنايا وتخشى أن تعجلك العجول^(٦)
* والمعجّل:

١ - الراعي يحلب الإبل حلبه وهي في الرعي^(٧)، كأنه يعجلها عن إتمام الرعي^(٨).

٢ - والآتي أهله بالعُجالة، كالمُعجّل^(٩).

والعُجالة بالضم وبالكسر: لبن يحمله الراعي من المرعى إلى أصحاب الشاء قبل أن تصدر
الغنم، وإنما يفعل ذلك عند كثرة اللبن^(١٠).

والإعجالة والعُجَل والعُجَلَة بضمهما^(١١): ما يعجّله الراعي من اللبن إلى أهله^(١٢).
قال الكميت:

أَتَتَكُم بِإِعْجَالِهَا وَهِيَ حُفْلٌ تَمُجُّ لَكُمْ قَبْلَ احْتِلَابِ ثَمَالِهَا^(١)

(١) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(٢) البيت للخنساء في لسان العرب (٤/٤٥٩) (صغر) و(١١/٤٢٧) (عجل). وبلا نسبة في العين للخليل (١/٢٢٨).

(٣) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(٤) مقاييس اللغة/ لابن فارس (٤/٢٣٩).

(٥) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي (١٠٣٠).

(٦) البيت للمرار الفقعسي في ديوانه ص ٤٧٢؛ ولسان العرب (١١/٤٢٨) (عجل)؛ وتاج العروس (عجل).

(٧) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(٨) تاج العروس/ الحسيني (٧/٨).

(٩) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(١٠) تاج العروس/ الحسيني (٧/٨).

(١١) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(١٢) العين/ الخليل (١/٢٢٨) وانظر القاموس/ الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

يخاطب اليمن يقول: أتتكم مودة معدٍ بإعجالاتها^(٢).

وقيل: المعجل هو الذي يأتي بالإعجاله من الإبل - من العزيب - كالمتعجل.

قال امرؤ القيس - يصف سيلان الدمع -:

كأنهما مزادتتا متعجل
فريان لما يسلقا بدهان^(٣)

* العَجَل: محرّكة: الطين أو الحمأة^(٤).

قال ابن الأعرابي في تفسير قوله تعالى: { وَمِنْهَا سَائِرٌ كَثِيرٌ }^(٥). أي: من طين.

وأنشد:

والنبع في الصخرة الصماء منبئةٌ
والنخل ينبت بين الماء والعجل^(٦)

قال ابن عرفة: ليس عندي في هذا حكاية عمن يُرجع إليه في علم اللغة. ومثله قول

الأزهري. وقال الزمخشري الله أعلم بصحته، ومثله ابن دريد^(٧).

* والعَجُول لغة في عَجَل البقرة، والأنثى: عَجُولَةٌ. وجمعها: عجاجيل. وقد تجيء في

الشعر نعتاً للإبل السّراع والقوائم الخفاف.

والعَجُول: قطعة من إقط^(٨).

* والمعاجيل: مختصرات الطريق^(٩) جمع معجال^(١٠).

(١) البيت للكُميت في ديوان (٧٦/٢)؛ ولسان العرب (٤٢٧/١١) (عجل)؛ وتهذيب اللغة (٣٧١/١)؛ وتاج

العروس (عجل)؛ وكتاب العين (٢٨٨/١).

(٢) العين/الخليل (٢٢٨/١) واللسان/ابن منظور (٤٢٧/١١).

(٣) البيت لامرئ القيس في لسان العرب (١٦٠/١٠) (سلق)، و(٤٢٧/١١) (عجل)؛ وتاج العروس (٧/٨) (عجل).

(٤) القاموس المحيط/الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(٥) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٦) البيت بلا نسبة في لسان العرب (٤٢٨/١١) (عجل)؛ وتهذيب اللغة (٣٦٩/١)؛ وتاج العروس (عجل).

(٧) تاج العروس/الحسيني (٧/٨).

(٨) العين/الخليل (٢٢٨/١).

(٩) القاموس المحيط/الفيروز آبادي ص ١٠٣٠.

(١٠) تاج العروس/الحسيني (٨/٨).

والعجيلي - مصعراً ومقصوراً - والعجيلة: ضربان من المشي وهو سير سريع، قال الشاعر:

تمشي العجيلي من شدم بمشي الدفقي والحنيف ويضبر^(١)

وأخذت مستعجلة من الطريق. وهذه مستعجلات من الطريق بمعنى: القرية والخصرة.

* والإعجال في السير: أن يثب البعير إذا ركب الراكب قبل استوائه عليه.

وجمل معجال وناقة معجال وهي التي إذا وضعت الرجل في غرزها قامت وثبتت كالمعجلة - كمحسنة - (٢).

قال ذو الرمة:

حتى إذا ما استوى في غرزها تثب^(٣)

والمعجال: المدركة من النخل في أول الحمل^(٤).

* والعجل بالكسر ولد البقرة كالعجول^(٥).

قال الراغب: لتصور عجلته التي تنعدم منه إذا صار ثوراً^(٦). قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا زِينَةَ الَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ...}

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (٩٩/١٠) (دقيق)، (٤٢٧/١١) (عجل) وتهذيب اللغة (٣٧١/١؛ ٤٠١٩)؛ وتاج العروس.

(٢) تاج العروس/ الحسيني (٦/٨).

(٣) هذا البيت أنشده ذو الرمة حينما لقي أبو عمرو بن العلاء فطلب أبو عمرو من ذي الرمة أن ينشده فقال: ما بال عينيك منها الماء ينسكب، فأنشده حتى انتهى إلى قوله: حتى إذا ما استوى في غرزها تثب. فقال له: عمك الراعي أحسن منك وصفاً حين يقول:

وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة أو أوقر

ولا تعجل المرء عند الورك وهي بركبته أبصر

فقال: وصف بذلك ناقة ملك وأنا أصف لك ناقة سوقة. (تاج العروس ٦/٨).

والبيت لذي الرمة في ديوانه ص ٤٨؛ وشرح أبيات سيبويه (١/٢) وشرح المفصل (٤٧/٧)؛ والكتاب ٦٠/٣؛ ولسان العرب (٤٢٦/١١) (عجل)، (٤٦١/١٤) (صفا)؛ وبلا نسبة في جهرة اللغة ص ٧٠٦، وشرح المفصل ٩٧/٤ ولسان العرب (٢١٣/١٠) (طبق).

(٤) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ص ١٠٢٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٣٠.

(٦) المفردات في غريب القرآن/ تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد كيلاي دار المعرفة بيروت لبنان ص ٣٢٣.

{ ١٤٨ } (١). والجمع: عجاجيل (٢).

(١) الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٢) القاموس المحيط/ الفيروز آبادي ١٠٣٠.

العجلة ودلالاتها القرآنية

[يعرف الفيروز آبادي العجلة بأنها: السرعة^(١) .

وهو تعريف لغوي، بينما يذكر العلامة الراغب الأصفهاني مفهوم العجلة - اصطلاحاً - فيقول:

العجلة: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه^(٢) .

ويرى العالمان أنّها من مقتضيات الشهوة؛ لذلك صارت مذمومة في عامة القرآن؛ حتى قيل: (العجلة من الشيطان)^(٣) .

ويجيبان عن قوله تعالى: { وَمَنْ يَعْجَلْ عَلَيْهِمْ حِسَابُ اللَّهِ }^(٤) بأن عجلته^(٥) وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو طلب رضا الله تعالى^(٦) .

(أ) أما عن ما هية العجلة فورد فيها معانٍ؛ لما ورد في قوله تعالى: { وَمَنْ يَعْجَلْ عَلَيْهِمْ حِسَابُ اللَّهِ }^(٧) .

{ وَمَنْ يَعْجَلْ عَلَيْهِمْ حِسَابُ اللَّهِ }^(٧) .

١ - أنه الحمأ - وهو الطين الأسود المنتن - وهذا القول ليس بشيء^(٨) .

قال ابن جنّي: (... وكان هذا الموضوع لما خفي على بعضهم قال: إن العجل هنا: الطين. ولعمري إنه في اللغة لكما ذكر غير أنه في هذا الموضوع لا يراد إلاّ نفس العجلة والسرعة،

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف/ محمد الفيروز آبادي تحقيق محمد النجار، المكتبة العربية بيروت - لبنان (٢٣/٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني تحقيق محمد كيلاني ص ٣٢٣.

(٣) وهو جزء حديث سيأتي تخريجه وبيانه ص ٢٤٤.

(٤) طه، الآية: ٨٤.

(٥) أي: موسى عليه السلام.

(٦) المفردات/ الأصفهاني ص ٣٢٣ وانظر البصائر للفيروز آبادي (٢٣/٤).

(٧) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٨) المفردات للأصفهاني ص ٣٢٣ وانظر البصائر للفيروز آبادي (٢٣/٤).

ألا تراه عزَّ اسمه كيف قال عُقيبه: { ḡi éiv ÁM@I@O TAV@YHVS OñiYX@RV }^(١).
 فنظيره قوله: { ,éS XAVSTAB, X@VVV @ }^(٢) { TIE-ÁV STAB, X@VVS @ }^(٣)؛ لأن
 العجل ضربٌ من الضعف لما يُؤذن به من الضرورة والحاجة فهذا وجه القول فيه^(٤).
 ٢ - أنه أحد الأخلاق^(٥) التي رُكِّب عليها، فهو تنبيه على أنه لا يتعرَّى من ذلك؛ ولذلك
 قال: { ,éS XAVSTAB, X@VVV @ }^(٦)(٧).

قال أبو حيان:

والمعنى: أن في طباع الإنسان أنه إذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشر أن
 يصيبه كما يدعو بالخير كما يدعو بالخير أن يصيبه^(٨).
 إذا فالعجلة من " طباع " الإنسان كما يؤكد ذلك عند تفسير قوله تعالى: { STAB, X@VVS }
 { X@VVV @ }^(٩) حيث قال: (ذمَّ الإنسان على إفراط العجلة، وأنه مطبوع عليها)^(١٠) قال
 الفراء: خلق الإنسان من عجل وعلى عجل كأنك قلت: رُكِّب على العجلة وبنيته العجلة
 وخلقته العجلة وعلى العجلة ونحو ذلك^(١١).
 وكونه خُلِق من عجل على سبيل المبالغة لما كان يصدر منه كثيراً كما يُقال لمُكثر

(١) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٢) الإسراء، الآية: ١١.

(٣) النساء، الآية: ٢٨.

(٤) تاج العروس / الحسيني (٧/٨).

(٥) وجاء في البصائر (القوى) (٢٣/٤).

(٦) الإسراء، الآية: ١١.

(٧) المفردات للأصفهاني ص ٣٢٣ والبصائر للفيروز آبادي (٢٣/٤).

(٨) تفسير البحر المحيط / محمد يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي دار الكتاب الإسلامي - القاهرة
 الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م (١٣/٦).

(٩) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(١٠) البحر المحيط لأبي حيان (١٣/٦).

(١١) الحسيني / تاج العروس (٧/٨).

اللعب: أنت من لعب^(١).

قال أبو إسحاق: حُوطب العرب بما تعقل؛ والعرب تقول للذي يُكثر من الشيء: خُلقت منه، كما تقول خُلقت فلان من الكيس إذا بُولغ في صفته بالكيس^(٢).

٣- إنه على القلب، يوضّح ذلك أبو حيان - عند معنى قوله: { ~~وَصَلَبَ~~ } - حيث قال^(٣):

"ومن يدعي القلب فيه - وهو أبو عمرو - وأن التقدير: خلق العجل من الإنسان^(٤). على معنى جعل طبيعة من طبائعه وجزءاً من أخلاقه، فليس قوله بجيد؛ لأن القلب الصحيح فيه أن لا يكون في كلام فصيح وأن بابه الشّعْر " ^(٥).

قال ابن جنّي: (والأحسن أن يكون تقديره: (خلق الإنسان من عجل لكثرة فعله إياه واعتياده له، وهذا أقوى معنى من أن يكون أراد خلق العجل من الإنسان؛ لأنه أمرٌ قد اطرّد واتسع، وحمله على القلب يُبعد في الصنعة ويصغر في المعنى)^(٦).

(١) تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان (٣١٢/٦).

(٢) تاج العروس/ الحسيني (٧/٨).

(٣) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٤) قال ثعلب: معناه: خُلقت العجلة من الإنسان انظر التاج (٧/٨) وورد ذلك القول عن ابن السكيت في كتاب التوسعة انظر المصباح المنير (٥٣٩/٤).

(٥) البحر المحيط لأبي حيان (٣١٢/٦).

(٦) تاج العروس/ الحسيني (٧/٨).

(ب) وعن معنى العاجلة:

فالعاجل نقيض الآجل^(١):

وقوله: { وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ }^(٢) أي: الأعراض الدنيوية^(٣)

{ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ }^(٤) أي: وهبنا ما نشاء لمن تريد أن نعطيه ذلك^(٥).

(ج) أما عن استعجال العذاب:

فورد في معنى قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ }^(٦) يا محمد أمنعهم من

الاستعجال بالعذاب؛ فإنه محيط بهم.

وفي قوله تعالى: { وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ }^(٧)

فلا يستعجلون^(٨).

(١) البصائر/ الفيروز آبادي (٢٣/٤).

(٢) الإسراء، الآية: ١٨.

(٣) المفردات/ الأصفهاني ص ٣٢٣.

(٤) الإسراء، الآية: ١٨.

(٥) المفردات/ الأصفهاني ص ٣٢٣ وانظر البصائر للفيروز آبادي (٢٣/٤).

(٦) الإنسان، الآية: ٢٧.

(٧) العنكبوت، الآية: ٥٤.

(٨) البصائر/ الفيروز آبادي (٢٤/٤).

مفهوم العجلة

قال أبو هلال العسكري:

العجلة: التقدّم فيما لا ينبغي التقدم فيه^(١).

بينما يرى الراغب الأصفهاني أن العجلة هي:

طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه^(٢).

ويُعرّف المناوي العجلة بأنّها: فعل الشيء قبل وقته اللائق به^(٣).

أما الاستعجال فهو: طلب تعجيل الأمر قبل وقته^(٤).

ويُعرّف أبو حيان التوحيدي العجول بأنه:

الذي يتبع ما يتخيّل في وهمه تخيلاً ضعيفاً من غير نظرٍ ولا فحصٍ^(٥).

بينما يفسّر المظاهري العجول بأنه: من يذر الآخرة ويأخذ الدنيا؛ لذا سُمّيت الدنيا بالعجلة^(٦).

(١) الفروق اللغوية للإمام أبي هلال العسكري، تحقيق إبراهيم سليم - دار العلم والثقافة - مدينة نصر - القاهرة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٢٣.

(٣) التوقيف (٢٣٧) وانظر نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم × إشراف صالح بن حميد وعبدالرحمن بن ملوح (٤٩٤٢/١٠).

(٤) مختصر كتاب (التعريفات) للجرجاني، واختصره قسم التحقيق والبحث العلمي بدار طويق للنشر والتوزيع - دار طويق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٥) المقابسات لأبي حيان التوحيدي تحقيق محمد توفيق حسين مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧٠م ص ٣٦٧.

(٦) دراسات في الأخلاق/ حسين المظاهري ص ٤٣١.

صيغ العجلة

ورد لفظ العجلة (٣٧) مرة في القرآن الكريم.

وجاءت هذه اللفظة بصيغ عدة وأساليب متنوعة.

(١) جاءت لأسماء وأفعال:

فمما ورد من الأسماء:

(١) عَجَلٌ: { عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ }^(١).

(ب) عَجُولٌ: { عَجُولٌ مَجْرُومٌ، عَجُولٌ مَجْرُومٌ، عَجُولٌ مَجْرُومٌ، عَجُولٌ مَجْرُومٌ }^(٢).

(ج) العاجلة: { عَجَلَةٌ مَجْرُومَةٌ، عَجَلَةٌ مَجْرُومَةٌ، عَجَلَةٌ مَجْرُومَةٌ، عَجَلَةٌ مَجْرُومَةٌ }^(٣).

(٢) عَجَلٌ: { عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ }^(٤).

وقوله: { عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ }^(٥).

وقوله: { عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ }^(٦).

(د) استعجالهم: { عَجَلُوا مَجْرُومًا، عَجَلُوا مَجْرُومًا، عَجَلُوا مَجْرُومًا، عَجَلُوا مَجْرُومًا }^(٧).

(٦) عَجَلٌ: { عَجَلٌ مَجْرُومٌ، عَجَلٌ مَجْرُومٌ }^(٦).

(١) الأنبياء، الآية: ٣٧.

(٢) الإسراء، الآية: ١١.

(٣) الإسراء، الآية: ١١.

(٤) القيامة، الآية: ٢٠.

(٥) الإنسان، الآية: ٢٧.

(٦) يونس، الآية: ١١.

ومما ورد من الأفعال:

(أ) الفعل بصيغة الماضي:

١/ عَجَلَ: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(١).

٢/ أعجل: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٢).

وقوله: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٣).

٣/ عَجَّل: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٤).

وقوله تعالى: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٥).

وقوله: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٦).

(ب) أما صيغة المضارع فمنها:

١/ تستعجل: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٧).

وقوله تعالى: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٨).

وقوله: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(٩).

وقوله تعالى: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(١٠).

وقوله تعالى: { $\text{ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον} \text{ ἐπεσπευον}$ }^(١١).

(١) طه، الآية: ٨٤.

(٢) طه، الآية: ٨٣.

(٣) الأعراف، الآية: ١٥٠.

(٤) الكهف، الآية: ٥٨.

(٥) الفتح، الآية: ٢٠.

(٦) الإسراء، الآية: ١٨.

(٧) الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ٥٨.

(٩) سورة الأنعام، الآية: ٥٨.

(١٠) يونس، الآية: ٥١.

(١١) الأنبياء، الآية: ٣٧.

وقوله تعالى: { ~~أَمْ يَرَوْنَ عَيْنًا مِمَّا نَسُودُ~~ }^(١)

وقوله تعالى: { ~~عِ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٢)

وقوله تعالى: { ~~أَمْ يَرَوْنَ عَيْنًا مِمَّا نَسُودُ~~ }^(٣)

وقوله تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٤)

٢ / يستعجل:

قال تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٥)

{ ~~عِ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ~~ }^(٦)

وقوله تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٧)

- أما لفظ (يستعجلون) فقد وردت في عدة مواضع من مثل قوله تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }

{ ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٨)

وقوله تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(٩)

- أما لفظ (يستعجلونك) فقد ورد في عدة مواضع منها:

{ ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(١٠) وموضع بالحج^(١١)

وقوله تعالى: { ~~عَسَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا~~ }^(١١)

(١) النمل، الآية: ٤٦.

(٢) النمل، الآية: ٧٢.

(٣) الذاريات، الآية: ١٤.

(٤) النحل، الآية: ١.

(٥) يونس، الآية: ٥٠.

(٦) الشورى، الآية: ١٨.

(٧) الشعراء، الآية: ٢٠٤. والصفات، الآية: ١٧٦.

(٨) الذاريات، الآية: ٥٩.

(٩) الآية: ٥٣، ٥٤.

(١٠) الآية: ٤٧.

(١١) الرعد، الآية: ٦.

٣ / لفظ (يَعَجِّلُ):

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}:

{ ١١ } (١).

٤ / لفظ (تُعَجِّلُ):

قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (٢).

وقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (٣).

وقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (٤).

٥ / أَمَّا لَفْظ (تُعَجِّلُ):

فورد في قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}:

{ ١١ } (٥).

(ج) أما صيغة الأمر: (عَجِّلُ):

فجاءت في سورة ص قال تعالى: {وَلَا تَقْرَأُوا الْقُرْآنَ حَتَّىٰ يُنزلَ عَلَيْكُمُ الْوَحْيَ لِئَلَّا تَكُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}:

{ ١١ } (٦).

(١) يونس، الآية: ١١.

(٢) مريم، الآية: ٨٤.

(٣) طه، الآية: ١١٤.

(٤) القيامة، الآية: ١٦.

(٥) البقرة، الآية: ٢٠٣.

(٦) الآية: ١٦.

الفرق بين العجلة والسرعة

اعلم أنّ السرعة: التقدم فيما ينبغي أن يتقدّم فيه، وهي محمودّة، ونقيضها مذموم وهو الإبطاء. فالسرعة ضد البطء، وتستعمل في الأجسام والأفعال، يُقال: سرّع فهو سريع وأسرع فهو مُسرّع. وأسرعوا صارت إبلهم سراعاً؛ نحو أبلدوا، وسارعوا، وتَسارعُوا.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٤).
وسرعانُ القوم: أوائلهم السُّراع؛ وقيل: سرعانُ ذا إهالةٍ، وذلك مَبني من سرع كعجلان من عجل (٥).

والعجلة التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه، وهي مذمومة، ونقيضها محمود وهو الأناة.

فأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٦). فإنّ ذلك بمعنى أسرع (٧).

وأما قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٨) و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (٩)؛ فتنبيه على

ما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْرِعُوا فِي سُبُلِكُمْ﴾ (١٠) (١١).

(١) آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٢) آل عمران، الآية: ١١٤.

(٣) ق، الآية: ٤٤.

(٤) المعارج، الآية: ٤٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني تحقيق محمد كيلاني مادة سرع ص ٢٣٠.

(٦) طه، الآية: ٨٤.

(٧) الفروق اللغوية/ لأبي هلال العسكري ص ٢٠٤.

(٨) آل عمران، الآية: ١٩٩. المائدة، الآية: ٤. إبراهيم، الآية: ٥١. غافر، الآية: ١٧.

(٩) الأنعام، الآية: ١٦٥.

(١٠) يس، الآية: ٨٢.

(١١) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني مادة (سرع) ص ٢٣٠.

الفرق بين العجلة والمبادرة

العجلة: طلب الشيء وتحريره قبل أوانه وهو من مُقتضى الشهوة لذلك صارت مذمومة في عامة القرآن^(١)؛ حتى قيل: (العجلة من الشيطان)^(٢) و { ~~عَجَلْتَهُ~~ }^(٣). فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة^(٤) فالذي دعا إليها أمر محمود وهو طلب رضا الله^(٥)^(٦). وأما المبادرة فهي المسارعة. قال الأصفهاني في مفرداته كتاب الباء مادة (بدر)^(٧): قال تعالى: { ~~بَدَرْتُ~~ }^(٨). أي: مسارعة، يُقال: بَدَرْتُ إليه وبَدَرْتُ. ويُعبّر عن الخطأ الذي يقع عن جدة "بادرة"؛ يُقال: كانت من فلانٍ بوادِرٍ في هذا الأمر.

والبدر قيل: سُمِّيَ بذلك لمبادرته الشمسَ بالطلوع؛ وقيل: لامتلائه تشبهاً بالبدرِ فعلى ما قيل يكون مصدرًا في معنى الفاعل.

قال الراغب: (والأقرب عندي أن يُجعل البدر أصلاً في الباب؛ ثم تُعتبر معانيه التي تظهر منه؛ فيقال تارة: بَدَرَ كذا أي: طَلَعَ طُلُوعَ البَدْرِ. ويعتبر امتلاؤه تارة فشُبَّهَ البَدْرُ به. والبيدر: المكان المرشح لجمع العَلَّةِ فيه وملئهِ منه لامتلائه من الطعام) أهد.

والفرق بين المبادرة والعجلة أن المبادرة انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى إذا

(١) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني مادة (عجل) ص ٣٢٣.

(٢) سيأتي تخريجه في باب الأناة.

(٣) طه، الآية: ٨٤.

(٤) باعتبار ما آلت إليه.

(٥) كما سيأتي بيانه في أسباب العجلة المحمودة.

(٦) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني مادة (عجل) ص ٣٢٣.

(٧) المرجع السابق ص ٣٨.

(٨) النساء، الآية: ٦.

فاتت طلبها، فهو لا يطلب الأمور في أدبارها ولا قبل وقتها؛ بل إذا حضر وقتها بادر إليها ووثب عليها وثوب الأسد على فريسته فهو بمرتلة من يُبادر إلى أخذ الثمرة وقت كمال نضحها وإدراكها. والعجلة طلب أخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمرتلة من يأخذ الثمرة قبل أوان إدراكها.

فالمبادرة وسط بين خُلُقَيْن مذمومين، أحدهم: التفريط والإضاعة، والثاني: الاستعجال قبل الوقت ولهذا كانت العجلة من الشيطان فإنها خفة وطيش وحادّة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه وأنواعاً من الخير وهي قرين الندامة، فقلّ من استعجل إلا ندم، كما أن الكسل قرين الفوت والإضاعة^(١).

(١) الروح/ للإمام شمس الدين أبي عبدالله بن قَيِّم الجوزية ت ٥٧٥١- دار الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - ص ٢٥٨.

الفرق بين العجلة والمسابقة

- المسابقة من (السبق)، وأصل السبق: التقدم في السير؛ نحو: { $\text{t} \text{I} \text{V} \text{G} \text{H} \text{M} \text{O} \text{O} \text{V}$ }^(١).
- والاستباق: التسابق؛ قال: { $\text{S} \text{M} \text{O} \text{V} \text{M} \text{M} \text{W} \text{T} \text{E} \text{Y}$ }^(٢)، { $\text{t} \text{I} \text{V} \text{A} \text{V} \text{M} \text{O} \text{V}$ }^(٣).
- ثم يُتَّحَوَّرُ به في غيره من التقدم، قال: (ما سبقونا إليه - سبقت من ربك) أي: نفدت وتقدمت.
- ويستعار السَّبْقَ لإحراز الفضل والتبريز؛ وعلى ذلك: { $\text{W} \text{S} \text{M} \text{O} \text{O} \text{V} \text{S} \text{M} \text{O} \text{O} \text{V}$ }^(٤).
- أي: المتقدمون إلى ثواب الله وجزائه بالأعمال الصالحة نحو قوله: { $\text{A} \text{E} \text{I} \text{S} \text{M} \text{O} \text{V}$ }.
- { $\text{g} \text{V} \text{M} \text{V} \text{O} \text{V}$ }^(٥). وكذا قوله: { $\text{U} \text{S} \text{M} \text{H} \text{V} \text{T} \text{W} \text{O} \text{S} \text{E} \text{Y}$ }^(٦). وقوله: { $\text{S} \text{T} \text{E} \text{H} \text{T} \text{U} \text{V} \text{V}$ }.
- { $\text{U} \text{N} \text{Y} \text{E} \text{S} \text{O} \text{U} \text{W}$ }^(٧). أي: لا يفوتوننا. وقال: { $\text{M} \text{S} \text{M} \text{V} \text{N} \text{S} \text{E} \text{V} \text{W} \text{Y} \text{K} \text{O} \text{U} \text{V} \text{E} \text{S} \text{V} \text{W} \text{Y}$ }^(٨).
- وقال: { $\text{E} \text{I} \text{K} \text{T} \text{M} \text{V} \text{N} \text{B} \text{T} \text{O} \text{T} \text{U} \text{V} \text{V}$ }^(٩) تنبيه أهم لا يفوتونه^(١٠).

(١) النازعات، الآية: ٤.

(٢) يوسف، الآية: ١٧.

(٣) يوسف، الآية: ٢٥.

(٤) الواقعة، الآية: ١٠.

(٥) آل عمران، الآية: ١١٤.

(٦) المؤمنون، الآية: ٦١.

(٧) الواقعة، الآية: ٦٠.

(٨) الأنفال، الآية: ٥٩.

(٩) العنكبوت، الآية: ٣٩.

(١٠) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني مادة (سبق) ص ٢٢٢.

الفصل الأول : " أنواع العجلة "
وفيه مبحثان :

المبحث الأول : العجلة المحمودة وفيه مطالب :

- المطلب الأول : تعجيل التوبة .
- المطلب الثاني : العجلة إلى الخيرات .
- المطلب الثالث : التعجيل في أداء العبادات .
- المطلب الرابع : تعجيل الجزاء في الدنيا .

المطلب الأول: تعجيل التوبة

لقد فطر الله الإنسان على الإيمان به و الخضوع له، و ضرب الإيمان جذوره في قلب هذا الإنسان حتى غدا أساساً راسخاً و قاعدة صلبة تحفظ الإنسان و تسمو به عن التخبط و الضياع، و تعود به كلما غفل إلى عهده القديم [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ] (١)

و اقتضت مشيئته أن يواكب مسير الإنسان في الحياة ثلاثة أخلاء و قرناء: أولهم: عقل يضبط — مع الإيمان بالله — سلوك الفرد و تصرفاته. ثانيهم: نفس هي مناط الشهوات و الرغبات. ثالثهم: شيطان مريد هو عنوان كل ضلال.

فإن لبي داعي العقل و الإيمان استبشر و سلم، و إن غفل عنه انتهت به نوازع الغي و الفساد. لكنّ البارئ لم يكن ليدع الإنسان فبهة لتلك الترععات؛ بل عبّد له طريق العودة و حثّه على ذلك و رغبه من خلال (التوبة) التي تفجر مشاعر العبودية له، و تُبدد ظلمات الأهواء و الغفلات. و لتثمر في قلبه صفاءً، و في جوارحه أعمالاً صالحة، و أخلاقاً سامية.

فالتوبة: مفتاح لعودة العبد إلى مولاه و الرجوع إليه. (٢)

فلا بد لنا من الوقوف على معناها و حكمها و ما يتعلق بها.

(١) الأعراف، الآية: (١٧٢)

(٢) التوبة وسعة رحمة الله / ابن عساكر تحقيق عبد الهادي منصور صفح ٥-٦-٧ — بتصرف.

أولاً: تعريف التوبة:

أ (التوبة في اللغة:

هي الرجوع عن المعصية.

تاب تَوْباً و تَوْبَةً و متاباً و تَابَةً: رجع عن المعصية فهو تائب، و تَوَّاب.

و تاب الله على عبده: وفقه للتوبة^(١)، أو رجع به من التخفيف إلى التشديد، أو رجع عليه بفضلته، و قبوله^(٢). (و التوبة) لفظ يشترك فيها الرب سبحانه و تعالى و العبد، فإذا نسبت إلى العبد فالمعنى أنه رجع عن المعصية، و إذا وُصف بها الرب تبارك و تعالى فالمعنى أنه رجع على عبده بفضلته و رحمته^(٣).

ب (التوبة في الشرع:

للتوبة في الشرع تعريفات كثيرة منها:

قال الراغب الأصفهاني^(٤) - رحمه الله - : (التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، و الندم على ما فرط منه، و العزيمة على ترك المعاودة، و تدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة).^(٥)

و ذكر ابن جرير الطبري^(٦) - رحمه الله - أن (معنى التوبة من العبد إلى ربه: إنابته إلى

(١) لسان العرب (٢٣٣ / ١) و انظر المعجم الوسيط: (٩٠ / ١)، بصائر ذوي التمييز/ الفيروزآبادي (٣٠٤ / ٢)

(٢) بصائر ذوي التمييز / الفيروزآبادي (٣٠٤ / ٢)

(٣) التوبة/ أمال نصير ص ١٨

(٤) الراغب: حسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني أبو القاسم الراغب، صاحب المصنفات، كان في أوائل المائة الخامسة. انظر: طبقات المفسرين للداوودي (٣٢٩ / ٢)

(٥) المفردات في غريب القرآن، مادة توب، ص (٧٦)، و هو موافق لتعريف ابن حجر في فتح الباري (١٢٣ / ١١) غير أنه لم يذكر: (التدارك بالعمل) و زاد: ورد المظلمة إن كانت، و طلب البراءة من صاحبها

(٦) ابن جرير: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العَلَمُ المجتهد، الحافظ الفَرْد، عالم العصر. أبو جعفر الطبري. صاحب التصانيف البديعة، من أهل طَبْرِ ستان. مولده سنة أربع و عشرين و مئتين، و أكثر الترحال، و كان من أفراد الدهر علماً، و ذكاءً، قلَّ أن ترى العيون مثله. له كتب كثيرة منها: (تاريخ الإسلام) و (التفسير) الذي لم يُصنف مثله. توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر و ثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧ / ١٤)، طبقات الحفاظ (٣٠٧)

طاعته، و أوبته إلى ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيماً مما يكرهه ربه).^(١)

و عرفها الجرجاني^(٢) — رحمه الله — بقوله: (التوبة هي الرجوع إلى الله بحلّ عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب).^(٣)

أما الإمام القرطبي^(٤) — رحمه الله — فقد أضاف أمراً هاماً للتعريف، فقال: (هي الندم بالقلب، و ترك المعصية في الحال و العزم على ألا يعود إلى مثلها، و أن يكون ذلك حياءً من الله).^(٥)

و نقل الإمام ابن كثير^(٦) — رحمه الله — عن بعض العلماء تعريفاً للتوبة: فقال: (التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، و يندم على ما سلف في الماضي، و يعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه بطريقه).^(٧)

ثانياً: حكمها:

تضافرت الأدلة من الكتاب و السنة على وجوب التوبة، و من الأدلة على وجوبها:

أ) من القرآن الكريم :

قال تعالى: [وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ]^(٨)

(١) جامع البيان/ الطبري (١٩٥/١)

(٢) الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو، و درس في شيراز، كان علامة عصره، تصدّى للإقراء و التصنيف و الفتيا. يُقال إن له تصانيف تزيد على الخمسين. توفي سنة ستة عشر بشيراز. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع/ السخاوي (٣٢٨ / ٥)

(٣) مختصر كتاب التعريفات للجرجاني / اختصره قسم التحقيق و البحث العلمي بدار طويق ص ٢٠

(٤) القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي. من كبار المفسرين، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه و وفور عقله و فضله. مات سنة إحدى و سبعين و ستمائة. انظر: طبقات المفسرين/ الداودي (٦٩ / ٢)

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٦١/٥)

(٦) ابن كثير: هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن الخطيب شهاب الدين أبي حفص القرشي الشافعي. كان فقيهاً متفتناً، و محدثاً متقناً، و مفسراً ناقداً، و كان متبعاً لابن تيمية في كثير من آرائه مناضلاً له. مات سنة سبعمائة وأربع و سبعين. انظر: طبقات المفسرين / الداودي (١١٣ / ١)

(٧) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير (٤ / ٤١٨)

(٨) النور، الآية: (٣١)

و قال سبحانه: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا] (١)

و كذا قوله تعالى: [وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ] (٢)

ب (أما الأدلة من السنة النبوية:

قول الرسول e: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة) . (٣)

فآيات و الحديث تضمنت الأمر بالتوبة، و الأصل في الأمر الوجوب. (٤)

قال الحلبي - رحمه الله - :

فثبت بالكتاب و السنة وجوب التوبة إلى الله على كل مذنب، و إسراع القلب، و الإنابة... (٥)

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٦) - رحمه الله - :

(لا بد لكل عبد من توبة، و هي واجبة على الأولين و الآخرين) . (٧)

و يقول الإمام الغزالي (١) - رحمه الله - : (و الإجماع منعقد من الأمة على وجوب

التوبة) . (٢)

(١) التحريم، الآية: (٨)

(٢) هود، الآية: (٣)

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار، باب استحباب الاستغفار و الإكثار منه رقم (٢٧٠٢) (٢٠٧٥/٢) رواه البغوي في شرح السنة رقم (١٢٨٨) (٧١/٥)، و ابن أبي شيبة (٢٩٨/١٠)، و عبيد بن حميد في المنتخب من مسنده رقم (٣٦٣)، و الطبراني في الكبير رقم (٨٨٣) (٣٠١/١) و ما بعدها، و ذكره البخاري في الأدب المفرد رقم (٦٥)، و ذكره الإمام ابن حجر في (الأمانى المطلقة) رقم (٢٥٧) و ذكر له طرق عدة.

(٤) التوبة/ آمال نصير ص ٢٤

(٥) شعب الإيمان/ البيهقي (٣٩٤ /٥)

(٦) ابن تيمية: هو تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن المقري شهاب الدين عبد الحلبي بن الإمام المجتهد محمد الدين عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني. شيخ الإسلام، نادرة العصر. وُلد في ربيع الأول سنة إحدى و ستين و ستمائة. كان من بحور العلم، و من الأذكياء المعدودين، و الزهاد، أَلَّف ثلاثمائة مجلدة، و امتحن، و أُوذِي مراراً. مات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان و عشرين و سبعمائة. انظر: طبقات الحفاظ/ السيوطي (٥١٦) و البداية

و النهاية (١٦٣ /١٤)

(٧) مجموع الفتاوى (٣١/١٠)

و الذنوب حجاب عن الله، و الانصراف عن كل ما يبعد عن الله واجب. (٣)

ثالثاً: عموم التوبة من جميع الذنوب:

التوبة واجبة من كل الذنوب صغيرها و كبيرها ما يعلم منها و ما لا يعلم، عمداً أو سهواً، جداً أو هزلاً.

قال الإمام النووي^(٤) - رحمه الله - : (و اتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة).^(٥)

رابعاً: وجوب التوبة على الدوام:

يقول الإمام الغزالي: (التوبة فرض عين في حق كل شخص. واجبة على الدوام، و في كل حال)

و يُعَلَّل لوجوبها على الدوام فيقول: (كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه، إذ لم يخلُ عنه الأنبياء كما ورد في القرآن و الأخبار من خطايا الأنبياء، و توبتهم... فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن اهم بالذنوب بالقلب، فإن خلا في بعض الأحوال عن اهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المنفرقة المذهلة عن ذكر الله. فإن خلا عنه، فلا يخلو عن غفلة و قصور في العلم بالله، و صفاته، و أفعاله. و كل ذلك نقص، و له أسباب، و ترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده و المراد بالتوبة الرجوع. و لا يتصور الخلو في حق لآدمي عن هذا النقص، و إنما يتفاوتون في المقادير. فأما الأصل فلا بد منه).^(٦)

(١) الغزالي: هو أبو حامد، محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام، أحد أعلام الشافعية. ولد في سنة خمسين و أربعمائة. له تصانيف منها: (شرح الأسماء الحسنى)، (تهافت الفلاسفة) و (الإحياء). مات سنة خمسماية وخمسة للهجرة. انظر: وفيات الأعيان/ ابن خلكان (٤/ ٢١٦) و شذرات الذهب/ ابن العماد (٤/ ١٠) .

(٢) التوبة من إحياء علوم الدين/ تقديم رضوان السيد ص ٢٥

(٣) المناهل الحسان/ عبد العزيز السلطان ص ١٢

(٤) النووي: هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي. ولد في المحرم سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة. صنّف التصانيف النافعة (كشرح مسلم) و (المنهاج) و (التقريب). ولي مشيخة دار الحديث الأشرافية فلم يتناول منها درهماً. مات في رابع عشر رجب سنة ست و سبعين و ستمائة. انظر: طبقات الحفاظ/ السيوطي (٥١٠)، و البداية و النهاية (١٣ / ٢٧٨) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ / ٢١٨)

(٦) التوبة/ الإمام الغزالي، تقديم رضوان سيد ص ٣٧

و المتأمل في حال المصطفى **e** يدرك مدى الحاجة إلى التوبة في كل وقت و كل حال؛ فقد (كان يُعد لرسول الله **e** في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: رب اغفر لي و تُب علي، إنك أنت التواب الرحيم)^(١)

و في ذلك يقول ابن تيمية^(٢) - رحمه الله - : (فليس لأحد أن يُظن استغناءه من التوبة إلى الله و الاستغفار من الذنوب، بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً)^(٣)
فالتوبة هي بداية العبد و نهايته، و هي أول المنازل، و أوسطها، و آخرها، فلا يفارقتها العبد السالك، و لا يزال فيها إلى الممات.^(٤)

خامساً: وجوبها على الفور:

إذا كان عموم الناس محتاجين إلى التوبة؛ فإنه لا بد و أن يكونوا منشغلين بها في كل حين و آن، و قد دلت النصوص المتضاربة على أن المبادرة بالتوبة من الذنب فرض على الفور لا يجوز تأخيرها.^(٥)

و هناك قرائن كثيرة تدل على أن التوبة واجبة على الفور منها:

أولها: أنه يلزم من ترك التوبة الانغماس في الذنوب، و هذا الانغماس من الأمور المستقبلية، و ترك الأمر القبيح و التخلي عنه واجب على الفور.

ثانيها: أن عدم التوبة يؤدي إلى التسويف، و هذا مما يكون سبباً في الطبع على القلب

و تكوين الرآن^(٦)، يقول سبحانه و تعالى: **[كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]**^(٧) (١)

^(٢) رواه أبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار، حديث رقم (١٥١٦)، و الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه حديث رقم (٣٤٩٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح وغريب، و ابن ماجه، في كتاب الأدب، باب: الاستغفار حديث رقم (٣٨١٤).

^(٣) سبق ترجمته ص ٤٤

^(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان/ ص ٩٥

^(٥) التوبة و الإنابة/ لابن القيم ص ٢٩

^(٦) التوبة/ د/ السدلان ص ٥

^(٧) الرين: (صدأ يعلو الشيء الجليل قال تعالى: **[بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ]** أي: صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم

فَعَمِي عليهم معرفة الخير من الشر، و قد رينَ على قلبه). انظر: المفردات في غريب القرآن/ الأصفهاني: مادة

(رين) ص ٢٠٨.

^(٨) المطففين، الآية: (١٤)

و ربما سَوَّفَ حتى وافته المنية من غير توبة، و حينها يتمنى الرجعة ليحدث توبة، و يعمل صالحاً، و لكن هيهات له ذلك.

قال تعالى: [حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] (٤)

و من أدركه الموت، لم تُقبل توبته، قال تعالى: [وَكَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ . .] (٥)

يقول الإمام القرطبي (٦) - رحمه الله - :

[وَكَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ] يعني قبول التوبة للذين أصروا على فعلهم. [حَتَّى

إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ] يعني الشرق و الترع و معانية ملك الموت. [قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ] فليس لهذا توبة. (٧)

ثالثها: أن الذنوب سم مهلك، يفوت السعادة (٢)، و يجب عن الله. و الانصراف عن كل ما يبعد عن الله واجب (٣). على الفور.

قال الإمام الغزالي (٤) - رحمه الله - : (أما وجوبها على الفور فلا يستتراب فيه؛ إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نقص الإيمان، و هو واجب على الفور) (٥)

(٢) التوبة/ آمال نصير ص ٣٩

(٤) المؤمنون، الآية: (٩٩ - ١٠٠)

(٥) النساء، الآية: (١٨)

(٦) سبق ترجمته ص ٤٣

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٦٢ / ٥)

(١) فتح الباريء/ للإمام ابن حجر (١٢٤ / ١١)

(٢) المناهل الحسان/ الشيخ عبد العزيز السلطان ص ١٢

(٣) سبق ترجمته ص ٤٥

(٤) التوبة من إحياء علوم السنة/ الغزالي تقديم رضوان السيد ص ٣٠

فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها. فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن ..) . (١) (٢)

رابعها: استدلل أهل الأصول بأن قوله تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...] (٧) دلّ على وجوب الفور لما فيها من الأمر بالمسارعة^(٨) إلى المغفرة، و المغفرة تتحصّل بالتوبة فدلّ على أن الأمر بالتوبة واجب على الفور.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب التُّهَى بغير إذن صاحبه، حديث رقم (٢٤٧٥) (٢ / ٧٤٣) ،
ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، و نفيه عن المتلبس بالمعصية، على إرادة نفي كماله،
حديث رقم (١٠١) (١ / ٧٦) .
(٦) التوبة/ الغزالي ص ٣٠
(٧) آل عمران، الآية: (١٣٣)
(٨) انظر إرشاد الفحول/ للشوكاني ص ١٥٢

سادساً: شروط قبول التوبة:

حتى تكون التوبة صحيحة و مقبولة لا بد من أن تتوفر فيها شروط.
و من الشروط ما يتعلق بترك الذنب، ومنها ما يتعلق بزمن قبول التوبة.

أولاً: الشروط التي تتعلق بترك الذنب هي:

١ - الإخلاص.

٢ - الإقلاع و الندم.

٣ - العزم على عدم العودة. (١)

٤ - ردّ المظالم إلى أهلها.

ثانياً: الشروط التي تتعلق بزمن قبول التوبة شرطان، هما:

الأول: هو أن تقع التوبة قبل الغرغرة.

الثاني: هو أن تقع قبل طلوع الشمس من مغربها. (٢)

فباب التوبة مفتوح للعبد، و الفرصة سانحة ما دامت الروح في الجسد، ما لم يدركه الموت، قبل الغرغرة. فتأمل قوله تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأَلَيْكَ تَوْبُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ^٨] وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا] (٣) تجد أن الله يتوب على من تاب قبل حضور الموت، و إحاطة الأجل، أما من تاب عند حضور الموت؛ فتوبته غير مقبولة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق **e** فقال: (إنَّ الله يقبل توبة العبد ما لم يُعْرَغِرْ) (٣) (١).

(١) التوبة/ آمال نصير ص ٤٣-٤٤ . ذكر الإمام النووي هذه الشروط في شرح صحيح مسلم (٢ / ٤٥) .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣-٤٤ .

(٣) النساء (١٧ - ١٨)

(١) الغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم و يرده إلى أصل الحلق و لا يبلع. و المعنى: غرغر: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمثابة الشيء الذي يتغرغر به المريض. انظر: النهاية في غريب الحديث و الأثر (٣ / ٣٦٠) .

أما اشتراط التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها، فدليلة قوله تعالى: [يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا] (٢).

و في بيان المراد ببعض آيات الله الواردة في الآية يقول العلامة الشيخ السعدي (٣) - رحمه الله - : (و قد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ، أن المراد ببعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، و أن الناس إذا رأوها آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، و يُغلق حينئذ باب التوبة) إلى أن قال (و في الآية دليل أن من جملة أشرط الساعة، طلوع الشمس من مغربها، و أن الله تعالى حكيم، قد جرت عادته و سنته أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختيارياً لا اضطرارياً) (٤)

و مما ورد من الأحاديث مما بيّن معنى الآية ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة **t** أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها

(٢) رواه الإمام البغوي في شرح السنة كتاب التوبة عن علي بن الجعد، و الإمام أحمد في المسند (١٣٢ / ٢) عن علي بن عياش و عصام بن خالد كلهم عن ابن ثوبان عن أبيه، و الترمذي في كتاب الدعوات، باب فضل التوبة رقم (٣٥٣٧) (٥ / ٥٤٧) من طريق ابن عياش وحده عن ابن ثوبان عن أبيه وقال حديث حسن غريب، رواه الحاكم في المستدرک (٤ / ٢٥٧) في كتاب في التوبة و الإنابة من طريق عبد الله بن صالح العجلي و قال صحيح الإسناد و وافقه الذهبي، و أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: ذكر التوبة حديث رقم (٤٢٥٣) من طريق الوليد بن مسلم (٤ / ٤٩٢)، قال الشيخ الكتاني في مصباح الزجاجة :- (هذا إسناد ضعيف لتدليس الوليد و مكحول الدمشقي، و صححه الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٧ / ١٩٢) ، كتاب الذكر و الدعاء و الاستغفار، باب التوبة عند شرحه حديث (٢٧٠٣) .

(٣) الأنعام (١٥٨)

(٤) السعدي: هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي النجدي. مفسر، محدث، متكلم، واعظ. وُلد في عينزة في القصيم بنجد. حفظ القرآن في صغره و طلب العلم على علماء نجد، و اشتغل بطلب العلم الشرعي حتى ارتفع قدره و اشتهر علمه. قعد للتدريس في الجامع الكبير بعنيزة إلى أن وافاه الأجل. له مؤلفات كثيرة منها: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، (القواعد الحسان في تفسير القرآن) و غيرها. انظر: الأعلام/ للزركلي

(٣ / ٣٤٠)، معجم المؤلفين/ عمر كحاله (٢ / ١٢١)

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ السعدي ص ٢٨٥

الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين : [لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا] (١) . (٢)

و كذا ما رواه الترمذي: (... إنَّ الله جعل بالمغرب عرض مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يُغلق ما لم تطلع الشمس من المغرب، و ذلك قول الله: [يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا] (٣) (٤) .

سابعاً : التوبة في القرآن الكريم :

المتأمل في آي الذكر الحكيم، يجد عناية القرآن بأمر (التوبة) :

فقد ذكرت ما يقارب من سبع و ثمانين مرة، ما بين دعوة و حض، و ترغيب و ثناء. (٥) و وردت على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى التجاوز و العفو، و هذا مقيد بـ [فَتَابَ عَلَيْكُمْ] (٦)

الثاني: بمعنى الرجوع و الإنابة، و هذا مقيد بإلى: [فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ] (٧)

الثالث: بمعنى التّدامة على الزّلة، وهذا غير مقيد بإلى ولا بـ [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا] (٨) . (٩)

(١) الأنعام، الآية: (١٥٨)

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها حديث رقم (٦٥٠٦) (٤ / ٢٠٤٠)، وأخرجه

مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان حديث رقم (٢٤٨) (١ / ١٣٧)

(٣) الأنعام، الآية: (١٥٨)

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار حديث (٣٥٣٦) وقال: حسن صحيح. (٥/٥٤٦).

(٥) انظر التوبة/ البيانوني (١ / ٣٢)

(٦) البقرة (٥٤)

(٧) البقرة (٥٤)

(٨) البقرة (١٦٠)

(٩) بصائر ذوي التمييز/ الفيروزآبادي (٢ / ٣٠٨)

و يذكر ابن القيم^(١) - رحمه الله - لطيفة في حقيقة التوبة في القرآن، فيقول: (و كثير من الناس إنما يفسر التوبة بالعزم على ألا يعاود الذنب، و بالإقلاع عنه في الحال، و بالتدم عليه في الماضي، و إن كان في حق آدمي: فلا بد من - أمر رابع - و هو التحلل منه . و هذا الذي ذكره بعض مسمى (التوبة) بل شرطها، و إلا فالتوبة في كلام الله و رسوله - كما تتضمن ذلك - تتضمن العزم على فعل المأمور و التزامه^(٢)، فلا يكون بمجرد الإقلاع و العزم و الندم تائباً، حتى يوجد منه العزم الجازم على فعل المأمور، و الإتيان به، و هذه حقيقة التوبة، و هي اسم لمجموع الأمرين. لكنها إذا قرنت بفعل المأمور كانت عبارة عمّا ذكره، فإذا أُفردتْ تضمّنت الأمرين^(٣))
و من عرف حقيقة التوبة أدرك أن الاستغفار وسيلة للتوبة، و أن التوبة من مُتمّمات الاستغفار.^(٤)

قال تعالى: [وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا بِكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ]^(٥)

بل إن من الأئمة من يرى أن الاستغفار هو التوبة. قال الفراء في بيان معنى الآية السابقة:
[ثُمَّ] هنا بمعنى الواو؛ أي و توبوا إليه؛ لأن الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار.^(٦)

(١) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي الفقيه الأصولي النحوي العارف، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية. كان عارفاً في التفسير و بأصول الدين و إليه فيهما المنتهى، و بالحديث و معانيه، و كان عالماً بعلم السلوك و كلام أهل التصوف، كان ذا عبادة و تهجد، امتحن و أؤدي موات، لازم ابن تيمية. له تصانيف كثيرة في أنواع العلم. مات سنة إحدى و خمسين و سبعمائة. انظر: طبقات المفسرين / الداودي (٩٣ / ٢)

(٢) قال المحقق في الحاشية رقم (١) : بل و تتضمن مقت من يتركه و مقاطعته، و التزام الأمر به و النهي عن تركه، فإن العمل الصالح — المشروط للتوبة، في أي الفرقان — هو ضد ما كان يأتيه من سوء . (التوبة و الإنابة / ابن القيم) تحقيق د. محمد الحاجي و عبد الله بدران ص ٢٠٤ .

(٣) التوبة و الإنابة / ابن القيم ص ٢٠٤

(٤) انظر فتح القدير / الشوكاني (٦٠١ / ٢)

(٥) هود، الآية: (٣)

(٦) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٩ / ٤ ، ٥)

و يوافق ابن القيم^(١) - رحمه الله - في أن الاستغفار هو التوبة، إذا ما كان الاستغفار ورد مفرداً^(٢). فيقول: (فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله. وهو محو الذنب، وإزالة أثره، و وقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر فإن الله يستر على من يغفر له، و من لا يغفر له)^(٣).

هذا و قد ذكرت المغفرة والاستغفار في القرآن الكريم، قريباً من أربعين و مائتي مرة.^(٤)

فإذا كان الاستغفار في أحد أنواعه^(٥) - هو التوبة - و قد ورد قريباً من مائتين و أربعين آية، و التوبة بلفظها الصريح قد وردت قرابة سبع و ثمانين آية. تحصل لدينا ما يُقارب مجموعها من ثلاثمائة و سبع و عشرين آية.

و بهذا المجموع من الآيات يُدرك المرء من خلاله أهمية التوبة و عناية القرآن بها، ممّا يجعله يبادر للتوبة، و يُعجّل بها كلما تلوّث بمعصية، أو تلطّخ بخطيئة. فيعود إلى مولاه و يثب إلى رشده و هداه، و حينها يعود لها صفاء روحه، و طهارة قلبه و يزول الرّان، و يبصر طريق الحق على نورٍ من الله و برهان.

و ممّا يدفع بالهمم للمبادرة و التعجيل بالتوبة ما ورد من نصوص صريحة دالة على تعجيل التوبة و الأمر بالمبادرة إليها.

فما أحوجنا إلى المبادرة للتوبة، و الرجوع للحق و الأوبة.

(١) سبق ترجمته ص ٥٢

(٢) قال ابن القيم: الاستغفار نوعان: مفرد و مقرون بالتوبة. فالمفرد كقول نوح: (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) نوح (١٠ ، ١١)، و المقرون كقوله: (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم وودود) هود (٩٠) . انظر التوبة و الإنابة / ابن القيم ص ٢٠٧، ٢٠٨ باختصار.

(٣) التوبة و الإنابة / ابن القيم ص ٢٠٨، ٢٠٩

(٤) التوبة/ البيانوي (٦ / ٢)

(٥) أي المفرد، انظر حاشية (٣)

تعجيل التوبة

لقد دلّت النصوص على وجوب التوبة^(١)، و أنّها واجبة على الفور^(٢)، و لا غنى لأحد - البتّة - عنها؛ فالكلّ محتاج إليها، مُشتغل كلّ آنّ بها. فلا بدّ من المبادرة إليها، و التعجيل بها، كما جاء الأمر في كتاب الله و سنّة رسوله ﷺ - و قد تضافرت دلالاتهما - على وجوب تعجيل التوبة و المبادرة إليها، و ممّا ورد في هذا الشأن:

أولاً: الإخبار بأنّ من تُقبل توبته، و يوفّق لها هو من يُسارع للتوبة و يُبادر من حين وقوع الذنب:

فمن بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، و أناب إلى الله، و ندم عليه، فإنّ الله يتوب عليه^(٣). قال تعالى: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا]^(٤) فقد أخصر تعالى أنّ الذين يستحقون التوبة و ثبتت لهم من الله تعالى؛ هم المذنبون الذين يرتكبون المعصية بسبب جهالة منهم، ثمّ يتوبون من قريب، لا يسوّفون التوبة و لا يؤخّرونها^(٥)؛ بل يتوبون من زمن قريب من وقت عمل السوء^(٦).

قال الإمام القرطبي^(٧) - رحمه الله - : (و المعنى يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير إصرار و المبادر في الصحة أفضل، و ألحق لأمله من العمل الصالح)^(٨).

(١) انظر ص ٤٥

(٢) انظر ص ٤٦

(٣) تفسير السعدي ص ١٥٨

(٤) النساء، الآية: (١٧)

(٥) أيسر التفاسير/ الجزائري (١ / ٤٥٠)

(٦) التحرير و التنوير/ ابن عاشور (٤ / ٦٤)

(٧) سبق ترحمته ص ٤٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٥ / ٦١)

فباب التوبة مفتوح في كل وقت، و أفضل التوبة أعجلها^(١).
 فمتى تاب التائب إلى الله نادماً على ما فعل، جاداً، عازماً، باذراً بذور التقوى و العمل
 الصالح، راجياً رحمة ربه، قَبِلَ اللهُ توبته، لا يتركه حائراً، و لا يدعه خائفاً، بل يدلّه على
 الطريق، و يأخذ بيده، و يسدّد خطواته، و ما على العبد حينئذ سوى أن يُعجّل بالتوبة
 حتى لا تصير المعاصي طبعاً و راناً^(٢).

و قد ذكر العلماء في معنى قوله تعالى: [ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ]^(٣) عدة أقوال، تصب في
 قائلين:

القول الأول: أن معنى [من قريب] أي من بعض زمان قريب. ففي أي جزء من أجزاء
 هذا الزمان أتى بالتوبة فهو تائب من قريب^(٤).

ثم اختلفوا في تحديد هذا (الزمن القريب) على قولين:

القول الأول: أن القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته^(٥).

القول الثاني: أن القريب ما كان قبل المعاينة و السوق و الغرغرة^(٦)، و غلبة المرء على
 نفسه^(٧).

فهذا القول ذكر آخر أوقات التوبة، بينما ذكر القول الأول أحسن أوقات التوبة^(٨).
 فأحسن أوقات التوبة ما كان في حال الصحة؛ " لأن الرجاء باق، و يصحّ منه الندم
 و العزم على ترك الفعل " ^(٩).

(١) التوبة/ البيانوي (١ / ٥٥)

(٢) التوبة/ د. السدلان ص ١٦

(٣) النساء، الآية: (١٧)

(٤) البحر المحيط / أبو حيان (٣ / ١٩٩)

(٥) تفسير البغوي (١ / ٤٠٧) و انظر: تفسير ابن كثير (١ / ٤٧٤)، و القرطبي (٥ / ٦١) و البحر المحيط
 (٣ / ١٩٨) .

(٦) ابن جرير (٤ / ٢٠٤) و انظر: البحر المحيط (٣ / ١٩٨)، و ابن كثير (١ / ٤٧٤)، و الجلالين ص ٧٩،
 و زاد المسير (٢ / ٣٧)

(٧) القرطبي (٥ / ٦١) و الكشف ص ٢٢٧

(٨) انظر البحر المحيط / أبو حيان (٣ / ١٩٨)

(٩) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٥ / ٦١)

و سَمِيَ اللهُ الزَّمانَ الذي يَتُوبُ فيه المرءُ قبلَ حُضُورِ المَوتِ قَريباً؛ لأنَّ أَمْرَ الحِياةِ قَريبٌ، قالَ تَعالَى: [قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ] (١) (٢).

فهذه المدة قريبة؛ لأنَّ الأجلَّ آتٍ، و كلُّ ما هو آتٍ قَريبٌ (٣)، و مفهومُ هذا القول: أنَّ من أتى بالتوبة بعد هذا الزمان تائب من بعيد، توبته مردودة غير مقبولة.

و أمَّا القالبُ الثاني فهو: أنَّ معنى [مِنْ قَرِيبٍ] (٤) أي من قريب فعلهم الذنب الموجب للتوبة (٥). قال أبو حيان الأندلسي (٦): أي يتدبَّرُ التوبة من زمان قريب من المعصية لئلا يقع في الإصرار (٧). فهم يتوبون من زمان قريب من زمان المعصية فلا يصرون على فعلها (٨). فالتوبة التي تفضَّل اللهُ بها على عبادِهِ، ما كان صاحبها أتى ما أتى من الذنوب بجهالة، لا بعلمٍ و إصرارٍ، ثم تاب من قريب زمن (٩).

و مفهومُ هذا القول: أنه لو تاب من زمان بعيد، فإنه يخرج عن من خُصَّ بكرامة ختم قبول التوبة على الله، المذكورة في الآية بعلى في قوله: [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ] (١٠)، و قوله: [فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] (١١) و يكون

(١) النساء، الآية: (٧٧)

(٢) تفسير البيضاوي (١ / ٣٤٠)

(٣) البحر المحيط / أبو حيان (٣ / ١٩٨)

(٤) النساء، الآية: (٧٧)

(٥) تفسير السعدي ص ١٥٨

(٦) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الجياني، الأندلسي (أثير الدين، أبو حيان) ينتسب لقبيلة نقرة البربرية و لد بـ (مطبخشارش) من أعمال غرناطة في آخر شوال سنة ٦٥٤هـ، أخذ القراءات، ثم طوَّف بلاد الأندلس كثيراً، يبحث عن المعرفة. سمع الحديث من نحو (٤٥٠) شيخاً، و أجازهُ عالم كثير جداً، و كان ملاماً بلغات عدة تولَّى تدريس التفسير بالمنصورية، و الإقراء بجامع الأقرم، له مصنفات كثيرة منها: البحر المحيط، تحفة الأديب، و التذكرة. توفي بالقاهرة في ١٨ صفر عام ٧٤٥هـ). و دفن بمقبرة المنصورية. انظر: معجم المؤلفين

(٧) (٣ / ٧٨٤) و شذرات الذهب ابن عماد (٦ / ١٤٥)

(٨) البحر المحيط / أبو حيان (٣ / ١٩٩)

(٩) النهر الماد بهامش البحر المحيط لأبي حيان (٣ / ١٩٧)

(١٠) أيسر التفاسير / الجزائري (١ / ٥٤١)

(١١) النساء، الآية: (١٧)

من جملة الموعودين بكلمة (عسى) في قوله تعالى: [**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**]^(١) و قد جعل استحقاق قبول التوبة للمعجلين بها: [**ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**]^(٢) فالإشارة في المسند إليه في قوله: [**فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**] للتنبيه على استحضارهم باعتبار الأوصاف المتقدمة البالغة غاية الخوف من الله تعالى و المبادرة إلى طلب مرضاته، يُعرف أنهم أحرىء بمدلول المسند الوارد بعد الإشارة، نظير قوله تعالى: [**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ**]^(٣). والمعنى أنّهم: هؤلاء هم الذين جعلهم الله مستحقين قبول التوبة منهم و هو تأكيد لقوله: [**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ . . .**]^(٤).^(٥)

و المعجل بالتوبة يناله من توفيق الله للتوبة و رحمته ما لا ينال المصّرّ على المعصية و المسوّف بالتوبة. و في ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٦): (من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، و أناب إلى الله، و ندم عليه، فإن الله يتوب عليه. بخلاف من استمر على ذنبه و أصرّ على عيوبه، فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة، و الغالب أنه لا يوفق للتوبة، و لا يبسرّ لأسبابها... إلى أن قال: نعم قد يوفق الله عبده المصّرّ على الذنوب، للتوبة النافعة.. و لكن الرحمة و التوفيق للأوّل، أقرب. و لهذا حتم الله بقوله: [**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**] فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة و كاذبها، فيجازي كلاً منهما بحسب ما استحق بحكمته، و من حكمته، أن يوفق من اقتضت حكمته و رحمته، توفيقه للتوبة و يخذل من اقتضت حكمته و عدله، عدم توفيقه.^(٧)

(١) التوبة، الآية: (١٠٢)

(٢) النساء، الآية: (١٧)

(٣) البقرة، الآية: (٥)

(٤) النساء، الآية: (١٧)

(٥) التحرير و التنوير / ابن عاشور (٦٥ / ٤)

(٦) سبقت ترجمته ص ٥٠ .

(٧) انظر تفسير السعدي ص ١٥٨ باختصار .

فإذا كانت الآية وعدت بالقبول لمن تاب من قريب، قبل مرضه و موته، فالقبول أدعى لمن يتوب عقب الذنب مباشرة.

فالمعجل بالتوبة إذن يُدرك القبول و الفضيلة. فالقبول على أن معنى: [من قريب] من فعلهم الذنب. و الأفضلية على أن معنى [قريب] في حال الصحة، و قبل الموت.

ثانياً: الأمر بالمسارعة إلى التوبة باعتبارها سبب للمغفرة. قال تعالى: [وَسَارِعُوا

إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . . .] (١) أي إلى أسبابها التوبة (٢).

و قد أمر الله في الآية بالمسارعة إلى شيئين: الأول: مغفرة ذنوبهم و ذلك بالتوبة

النصوح، و الثاني: دخول الجنة التي وصفها لهم، قال تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] (٣) أي: أحضرت و هيئت للمتقين.

و المسارعة إلى الجنة هي المسارعة إلى موجبات دخولها و هي الإيمان و العمل الصالح إذ بهما تزكو الروح و تطيب؛ فتكون أهلاً لدخول الجنة (٤).

فالآية تفيد و جوب تعجيل التوبة، وعدم التسويف فيها؛ لقوله تعالى: [وَسَارِعُوا] (٥). (٦)

ثالثاً: مَدْحُ اللَّهِ | من استغفر يوم يذنب، و من تاب يوم يسيء، و من راجع حسابه من الحي القيوم (٧).

(١) آل عمران، الآية: (١٣٣)

(٢) فتح الرحمن / أبو زكريا الأنصاري ص ٩٧، و انظر البيضاوي (١ / ٢٩٦).

(٣) آل عمران، الآية: (١٣٣)

(٤) أيسر التفاسير (١ / ٣٩٧)

(٥) آل عمران، الآية (١٣٣)

(٦) أيسر التفاسير / الجزائري (١ / ٣٨٠)

(٧) إلى الذين أسرفوا على أنفسهم / د. القرني ص ٢٧٢

قال تعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٨ أُولَٰئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٨] (١)

أ) فهذه إحدى خصال عباد الله المتقين، وهي الخصلة الرابعة المحمودة، الواردة في قوله تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] (٢) . " فهم [الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] أي صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم، وما توعد به العاصين، و وعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، وندمهم عليها؛ فلهذا قال الله: [وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ] " (٤).

وهذا الصنف الذي ذكره الله في الآية: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] هم دون الصنف الأول (٥)؛ فألحقهم به برحمته ومنه، فهؤلاء هم التوابون (٦) وإلحاقهم بصنف المحسنين [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ] (٧) يدلّ دلالة واضحة على فضيلة التعجيل بالتوبة، وأن صاحبها ملحق بركب المتقين. قال ابن كثير (٣) في معنى الآية: أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار (٤). فهم الذين يُعجلون بالتوبة من حين وقوعهم في الذنب، و تذكّرهم وعد الله و عقابه.

(٢) آل عمران، الآية: (١٣٥، ١٣٦)

(٣) آل عمران، الآية: (١٣٣)

(٤) تفسير السعدي ص ١٣٢

(٥) يرى الإمام القرطبي - رحمه الله - أن الآيات ذكرت صنفين: الصنف الأول: هم المحسنون [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]، و الصنف الآخر: هم التوابون: [الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ . . .] و يقصد بالصنف الأول هنا: المحسنون.

(٦) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٣٥ / ٤)

(٧) آل عمران، الآية: (١٣٤)

(١) سبق تترجمته ص ٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير (٤١٥ / ١)

و من كانت هذه صفاته فهم المتقون الموعودون في بدء الآيات بجنة عرضها السموات والأرض: [وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] (١) وهم المبشرون بالمغفرة من الله و الجنان في ختام الآيات : [أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] (٢) قال الإمام القرطبي عن هذه الآيات: هذا من صفة المتقين الذين أُعدت لهم الجنة، و ظاهر الآيات مدح بفعل المندوب إليه (٣).

و عليه فالتعجيل بالتوبة فعلٌ محمود عاقبته، ممدوح صاحبه.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسيره (٤): (و قوله [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ] (٥) وصف لهم بملازمة ذكر الله و عدم الغفلة، و لذا إذا فعلوا فاحشة ذنباً كبيراً أو ظلموا أنفسهم بذنب دون الفاحش ذكروا وعيد الله تعالى و نهيهِ عمّا فعلوا فبادروا إلى التوبة و استغفار الله منه) .
 ب) ترتيب الجزاء العظيم - و هو الجنة و المغفرة - للمبشرين بالتوبة يدلّ على عظم هذه الصفة، و يدفع المرء للمبادرة كلما وقعت منه خطيئة، فهؤلاء قد أثنى الله عليهم، و جعل مكافأة صنيعهم و جزاء فعلهم المغفرة و الجنة.

و اسمع لبلاغة القرآن لم يقل بعد قوله: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً . . .] (٦) و هم قد ارتكبوا فاحشة و ظلماً (نغفر)؛ بل قال: [أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ . . .] (٧)؛ لأنّ

(٣) آل عمران، الآية: (١٣٣)

(٤) آل عمران، الآية: (١٣٦)

(٥) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٣٢ / ٤)

(٦) أيسر التفاسير / الجزائري (٣٧٩ / ١)

(٧) آل عمران، الآية: (١٣٥)

(١) آل عمران، الآية: (١٣٥)

(٢) آل عمران، الآية: (١٣٦)

(مغفرة) اسم ثابت دائم، و (نغفر) فعل لا يدوم^(١). [وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ]^(٢) المغفرة و الجنة^(٣). فتأمل الأسلوب القرآني اللطيف؛ بعد ذكره الجزاء: [أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ]^(٤). أردفه و ختمه بـ [نَعْمَ] و حذف المخصوص بالمدح: المغفرة و الجنات.

رابعاً: أن الله تعالى قد أمر بالمسارعة و المسابقة للخيرات، و التوبة من أعظم الحسنات، و هي بوابة الخيرات: قال تعالى: [سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...]^(٥) و قال تعالى: [وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ]^(٦) قال الإمام البغوي: (أي بادروا و سابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة)^(٧) و قال في مدح صفات عباده المؤمنين: [أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ]^(٨) و التوبة من أعظم الحسنات^(٩) و أكبرها؛ بل إنها الطريق الموصل للحسنات و الخيرات؛ إذ المعاصي تحرم العبد من العمل الصالح، و التوبة تفتح له آفاق الخير، و أبواب الطاعات؛ فتنهال عليه - بإذن الله - الحسنات و الخيرات. فالمبادرة للتوبة إذن مما أمر الله به، و امتدح المتصفين به .

(٣) إلى الذين أسرفوا على أنفسهم / د. القرني ص ٢٤٣

(٤) آل عمران، الآية: (١٣٦)

(٥) البحر المحيط / أبو حيان (٣ / ٦١) و الكشاف / للزمخشري ص ١٩٦

(٦) آل عمران، الآية: (١٣٦)

(٧) الحديد، الآية: (٢١)

(٨) آل عمران، الآية: (١٣٣)

(٩) معالم التنزيل / البغوي (١ / ٣٥١)

(١٠) المؤمنون، الآية: (٦١)

(١١) التوبة و الإنابة / ابن القيم ص ٦٥

وجاء في السنة: [توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا]^(١) و الأعمال الصالحة على رأسها التوبة؛ بل هي رأس كل خير. وجاء في صحيح مسلم^(٢): [بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ...]
خامساً: مدح الله من لا يصرّ على معصيته؛ و ترك الإصرار: تعجيل للتوبة، و عدم التسويف أو التأخير:

قال تعالى في معرض ثناءه على عباده المتقين في سورة آل عمران^(٣): [وَكَمْ يَصِرُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ]^(٤) قال الجزائري - رحمه الله - : و قوله : [وَكَمْ يَصِرُّوا] أي يسارعون إلى التوبة؛ لأن الإصرار هو الشدّ على الشيء و الربط عليه^(٥). و هو وصف لهم بعد الإصرار: أي المواظبة على الذنب و عدم تركه و هم يعلمون أنه ذنب ناتج عن تركهم الواجب، أو فعلهم الحرام^(٦).

و المصرّ هالك، و الإصرار: هو التسويف، و التسويف: أن يقول: أتوب غداً، و هذا دعوى النفس، كيف يتوب غداً، و غداً لا يملكه؟!^(٧)
 قال القرطبي^(٨):

(قال علماءنا: الباعث على التوبة و حلّ الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله، و ما ذكره سبحانه من تفاصيل الجنة، و عذاب النار، و دام على ذلك حتى قوي خوفه و رجاءه فدعا الله رغباً و رهباً)^(٩).

(١) رواه البيهقي

(٢) كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، حديث رقم (١٨٦) (١١٠ / ١)

(٣) آل عمران، الآيات: (١٣٣ - ١٣٦)

(٤) آل عمران، الآية: (١٣٥)

(٥) أيسر التفاسير / الجزائري (١ / ٣٧٨)

(٦) المرجع السابق (١ / ٣٧٩)

(٧) الجامع / القرطبي (٤ / ١٣٦)

(٨) سبقته ترجمته ص ٤٣

(٩) الجامع / القرطبي (٤ / ١٣٦) بتصرّف .

فهذا في معرض الثناء على من لا يصرون و مديحهم، و هناك أدلة تدمّ المصّرّين على المعصية ممّا ينبغي معه الفرار إلى الله و التوبة. قال تعالى: [ثُمَّ يَصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا

فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] (١)

سادساً: تأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه؛ و إذا كان الأمر كذلك؛ فإنّه يجب على المرء تعجيل التوبة، و عدم تأخيرها؛ فتأخيرها ذنب تجب التوبة منه، غير ذنب المعصية التي وقع فيها المذنب ابتداءً .

و ما أطف ما قاله الإمام ابن القيم (٢)، في بيان هذه المسألة، فتأمل قوله في كتاب التوبة (٣)، إذ قال: (المبادرة إلى التوبة من الذنب فرضٌ على الفور و لا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها عصي بالتأخير، فإذا تاب من الذنب بقي عليه توبة أخرى، وهي توبته من تأخير التوبة. و قلّ أن تخطر هذه ببال التائب؛ بل عنده إذا تاب من الذنب لم يبقَ عليه شيء آخر، و قد بقي عليه التوبة من تأخير التوبة، و لا يُنجي من هذا إلاّ توبة عامّة، ممّا يعلم من ذنوبه و ما لا يعلم) .

سابعاً: محبة الله (للتوايين) و (الأوّابين) يدفع المرء للتعجيل بالتوبة :

قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] (٤) فالتوّابون من الذنوب هم الذين لا يعودون فيها، و المتطهرين منها لم يصيبوها، و التوّاب الذي كلما أذنب تاب، نظيره قوله تعالى: [فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا] (٥) (٦) .

فالأوّاب: هو الراجع إلى الله بترك المعاصي و فعل الطاعات. و منه قيل للتوبة أوبة. و الأوّاب كالتوّاب (٧) .

(٣) الجاثية، الآية: (٨)

(٤) سقت ترجمته ص ٥٢

(٥) التوبة / ابن القيم ص ١٥٦

(١) البقرة، الآية: (٢٢٢)

(٢) الإسراء، الآية: (٢٥)

(٣) تفسير البغوي (١ / ١٩٨)

(٤) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٣٠

و التَّوَابُ: هو العبد الكثير التوبة، و ذلك بتركه كل وقتٍ بعض الذنوب على الترتيب؛ حتى يصير تاركاً لجميعه (١).

فالآية تدلّ على أن الله يحب هذا الصنف (توّاب)، فينبغي على المرء التحلي به، و المبادرة إلى التوبة من حين معرفة محبة الله للتائب.

كما دلّت - أيضاً - على تعجيل التوبة من خلال صيغة المبالغة (توّاب) فهو كثير التوبة، و كثير التوبة إنّما وُصِفَ بها إتيانه التوبة كل وقت؛ و من كان هذا حاله فهو مُعَجَّلٌ بها مُبادرٌ إليها. فهو سبحانه يوفِّق عباده الصالحين للتوبة كل حين، فإذا ما صارت صفة لازمة لهم، و غَدَوْا (توّابين) أحبهم و قَبَلَهُمْ عنده. فمن رجع عن المخالفات خوفاً من عذاب الله فهو: تائب، و من رجع حياءً من نظر الله فهو: منيب، و من رجع تعظيماً لجلال الله فهو: أوّاب (٢).

ثامناً: النَّصُوصُ الواردة في شأن التوبة تُشير صراحة أو ضمناً إلى وجوب تعجيل التوبة و المبادرة إليها:

و يمكن سردها و تقسيمها كالاتي:

(أ) النصوص التي تبين عفو الله و ترغّب في التوبة تدفع المرء للمبادرة إليها، فمهما كانت الخطيئة عظيمة؛ فعفو الله أعظم. قال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ] (٣)

(ب) مهما كان إسراف المرء على نفسه بالخطايا، فإن باب التوبة مفتوح مُشرع،

فاطرح القنوط و أقبل [لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ] (٤) فهذا النداء الرباني لـ [الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ] (٥) و الإسراف تجاوز الحدّ في العصيان. فإذا كان هذا النداء

(٥) المرجع السابق ص ٧٦

(٦) التوبة / البيانوي (٢٩ / ١)

(١) الشورى، الآية: (٢٥)

(٢) الزمر، الآية: (٥٣)

(٣) الزمر، الآية: (٥٣)

الحاني للمسرفين من ربّ عفوٍ قديرٍ كريمٍ، فكيف بمن هو دون ذلك. و هذا التّداء يدفع المرء للتّعجيل بالتوبة كلّما وقع ذنب، لعلمه أنّ الله يغفر لمن أسرف و طغى، فعموم و تشمل رحمته تدفع العبد للتّعجيل بالتوبة.

(ج) ذكر المغفرة لمن يبادر بالتوبة دافعاً للتّعجيل بها: قال تعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ]^(١) ثم قال سبحانه [وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا

اللَّهُ]^(٢). فهذا خطاب فيه ترفيق للنفس، و داعية إلى رجاء الله، و سعة عفوّه، واختصاصه بغفران الذنوب^(٦). و فيه تطيب لنفوس العباد و تنشيط للتوبة و بعث عليها و ردع عن اليأس و القنوط، و أنّ الذنوب و إن جلت فإنّ عفوّه أجلّ، و كرمه أعظم^(١). و المقصود: تسديد مبادرتهم إلى استغفار الله عقب الذنب.

(د) قبول توبة الكفّار، و مناداة أهل الكتاب - على غيبيهم و ظلالهم - و أمرهم بالتوبة، يدلّ على وجوب المبادرة بالتوبة؛ إذ الخطاب لمن أوغل في الكفر فينادى بالتوبة؛ فكيف بموحّد لكنه عاصٍ؟؟ فحينما يسمع المرء خطاب الله لهؤلاء، يجد في نفسه مسارعة للتوبة؛ فإنه إذا كان يناديهم للتوبة على ما هم عليه، و يقبل توبتهم، فمن باب أولى قبول توبة المسلم المذنب، و هذا يُعمل في النفس شعوراً يجعل المرء يبادر للتوبة و يعجل بها. قال تعالى: [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ]^(٢).

و قال سبحانه: [أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]^(٣) و هذه الآية في معرض الحديث عن النصارى و قولهم بالثلاثية " فأقسم تعالى أنّهم إن لم ينتهوا عن

(٤) آل عمران، الآية: (١٣٥)

(٥) آل عمران، الآية: (١٣٥)

(٦) البحر المحيط / أبو حيان (٥٩ / ٣)

(١) الكشاف / الزمخشري ص ١٩٥

(٢) الأنفال، الآية: (٣٨)

(٣) المائدة، الآية: (٧٤)

قولهم الباطل - و هو كفر - [لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]^(٤)، ثم لكمال رحمته U دعاهم إلى التوبة ليتوب عليهم، و يغفر لهم و هو الغفور الرحيم. [أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ]^(٥) بترك هذا الكفر الباطل و يستغفرون الله منه و الله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين " ^(٦) .

المطلب الثاني : العجلة إلى الخيرات

(٤) المائدة ، الآية (٧٣)

(٥) المائدة، الآية: (٧٤)

(٦) أيسر التفاسير / الجزائري (١ / ٦٥٩)

ميدان الخير واسع فسيح ، وأعمال البر كثيرة متنوعة ، والسعيد من سارع إلى فعل الخير وبادر إليه ؛ فالعمر قصير ، والزمن كثير التقلب والتغيير . فلا بد من اغتنام الساعات والمسابقة إلى الخيرات ، لنيل جنة عرضها الأرض والسماوات .

و قد جاء الأمر بالمسابقة إلى الخيرات ، والمسارعة إليها ، في آيات عدة من كتاب الله ، فتارة يأمر القرآن بها صراحة ، وحيناً يذكرها خلةً للأنبياء — عليهم السلام — الذين يجب التأسى بهم والسير على خطاهم ، وتارة تُذكر في معرض الثناء على مؤمني أهل الكتاب وامتداحهم .

و حينما يكون الحديث عن أصناف الخلق وبيان مراتبهم ؛ يحتل "السابقون" الصدارة في الدنيا بمسارعتهم إلى الخيرات ، وأسبقيتهم إلى دخول الجنات في الآخرة ؛ فمن سبق "هنا" سبق "هناك" .

وسنستعرض - بمشيئة الله - الصور التي أبرزها القرآن في بيان أفضلية المسابقة للخيرات والمسارعة إليها .

فقد انتهج القرآن الكريم في الحث على العمل الصالح والمبادرة إليه وعقد مضمار السباق فيه صوراً شتى :-

أولاً :- عند ذكر الشرائع الربانية ، وما يطرأ عليها من تغيير وتحويل ، وكذا عند بيان تنوع الشرائع الربانية اختباراً للعباد وعقداً لمضمار السباق بين الأمم .

فمن الأول :- قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ أَنْ يَقُولُوا إِذْ سَأَلْتَهُمْ لَنْ نَدْعِيَ الْإِلٰهَ إِلَّا رَبَّنَا ۚ فَقَالُوا كَذٰبٌ كٰذِبٌ ۗ ﴾ (١٨) ﴿١﴾

و هذه الآية وردت ضمن الحديث عن " حادث تحويل القبلة ، والملابسات التي أحاطت به و الدسائس التي حاولها اليهود في الصف المسلم بمناسبته ، والأقاويل التي أطلقوها من حوله ، ومعالجة آثار هذه الأقاويل في نفوس بعض المسلمين ، وفي الصف المسلم على العموم " . (١)

(١) (سورة البقرة - ١٤٨)

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب (١ / ١٧٢)

وانبرت الآيات السابقة لهذه الآية تدحض حجج وأراء السفهاء والمخذولين في شأن تحويل القبلة . وجاءت هذه الآيات قاطعة لباب الجدل ، ومبيّنة أنّ الأمر مرده إلى الله يجعل " لكل أمة قبله خاصة تتوجه إليها ، وأن الواجب التسليم فيها لأمر الوحي ، والتسابق إلى فعل الخيرات".^(١) وفيه صرفٌ للمسلمين بأن يهتموا بالمقاصد ويعتصموا بإصلاح مجتمعهم ، وفي معناه قوله تعالى: ﴿...﴾ (٢) (٣)

كما أنه سبحانه " لما ذكر القبلة التي أمر المسلمون بالتوجه إليها، وذكر من تصميم أهل الكتاب على عدم إتباعها ، وأن كلاً من طائفتي اليهود والنصارى مصمّمة على عدم إتباع صاحبها ؛ أعلم أنّ ذلك هو بفعله ، وأنه هو المقدرّ ذلك وأنه هو موجّه كل منهم إلى قبلته ؛ ففي ذلك تنبيه على شكر الله إذ وفق المسلمين إلى إتباع ما أمر به من التوجّه واختارهم لذلك " .^(٤)

فإنّ " لأهل كلّ ملة قبله " .^(٥) فليهودي وجهة هو مولياها ، وللنصراني وجهة هو مولياها ، وهداكم أيتها الأمة إلى القبلة التي هي القبلة^(٦) .^(٧) قال القرطبي - رحمه الله - : " أي بادروا إلى ما أمركم الله **U** من استقبال البيت الحرام ؛ وإن كان يتضمّن الحثّ على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم ، فالمراد ما ذكر من الاستقبال لسياق الآي . والمعنى المراد: المبادرة بالصلاة أول وقتها . والله أعلم . أ.هـ .^(٨)

و قد نحى الإمام القرطبي منحى الإمام ابن جرير :

(٢) تفسير المراغي (١٤/١)

(٣) (البقرة - ١٧٧)

(٤) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٤١ / ٢)

(٥) البحر المحيط / أبو حيان (٤٣٧ / ١)

(٦) تفسير البغوي (١٢٦ / ١)

(٧) تفسير ابن كثير (٢٠٠ / ١)

(٨) (سورة البقرة - ١٤٨)

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١٢ / ١)

حيث يرى ابن جرير " أن الاستباق في شأن القبلة فيقول :- " وإنما يعنى قوله :
 « (١) قد بينت لكم أيه المؤمنون الحق ، وهدايتكم للقبلة التي
 ضلت عنها اليهود والنصارى وسائر أهل الملل غيركم ؛ فبادروا بالأعمال الصالحة؛
 شكراً لربكم وتزودوا في دنياكم لأخراكم فإنني قد بينت لكم سبيل النجاة فلا عذر لكم
 في التفريط، وحافظوا على قبلكم ولا تضيّعوها كما ضيّعها الأمم قبلكم
 فتضلّوا كما ضلّت " (٢)

و لعنا نلحظ أن الأمر بالمسابقة يجيء شكراً لله على نعمة التوجه للقبلة " الكعبة " ،
 بينما القرطبي يرى أن الأمر بالمسابقة للخيرات يجيء كتعقيب لبيان القبلة " هذه هي القبلة
 فبادروا واستبقوا الخيرات " .

فالآية تحضّ على فعل الخير والاستباق إليه ، وتذكره عقب ذكرها هذه الشريعة الربانية
 ليسارع المرء إلى فعل الخيرات ، قال الإمام أبو حيان الأندلسي :- " هذا أمر بالبدار إلى
 فعل الخير والعمل الصالح ، وناسب هذا أن من جعل الله له شريعة أو قبلة أو صلاة فينبغي
 الاهتمام بالمسارعة إليها " . (٣)

ونقل عن قتادة : (الاستباق في أمر الكعبة رغماً لليهود بالمخالفة) . (٤)

و الخير المذكور في الآية لا يقتصر _ والله أعلم _ على أمر القبلة؛ بل يشملها ويشمل

غيرها، يقول الإمام البيضاوي - رحمه الله - :

" (٥) من أمر القبلة وغيره مما يُنال به سعادة الدارين " (٦)

(٢) (سورة البقرة - ١٤٨)

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٢٩ ، ٣٠)

(٤) البحر المحيط (١ / ٤٣٩)

(٥) المرجع السابق

(١) (سورة البقرة - ١٤٨)

(٢) تفسير البيضاوي (١ / ١٤٩)

و الشأن هنا في امتثال طاعة الله ، لا كما يظنّ البعض أنه في استقبال القبلة فقط ،
 و في إيضاح القول وبيانه يقول العلامة الشيخ السعدي :
 " وليس الشأن في استقبال القبلة؛ فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال؛
 ويدخلها النسخ والنقل من جهة إلى جهة ، ولكنّ الشأن كل الشأن في امتثال طاعة الله ،
 والتقرب إليه ، وطلب الزلفى عنده ، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية ، وهو الذي
 إذا لم تتصف به النفوس حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة ، كما أنها إذا اتصفت به ،
 فهي الراجحة على الحقيقة ، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع ، وهذا الذي خلق الله له
 الخلق ، وأمرهم به " أ.هـ . (١)
 " والأمر باستباق الخيرات هنا مجمل يفصله ذكر أنواع البرّ التي ذكرت في آية: ﴿ ١٧٤ ﴾

وَأَمَّا الْخَيْرَاتُ فَمَنْ سَبَّحَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي لَيْلِيَةٍ أَوْ نَهَارٍ فَسُجِّدَ لَهُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ مِمَّنْ ذَكَرَ اللَّهَ غَائِبًا وَشَاهِدًا يُضَاهِي فَاعِلَهُ

(٢) » ...

فكأنه يقول للمفتونين في مسألة القبلة : إنّ جوهر الدين ولبّه :
 المسارعة إلى الخيرات ؛ فهل رأيتم محمداً ﷺ وأتباعه قصّروا في ذلك أو كانوا السابقين إلى
 كل مكرمة ؟؟ فدعوا الجدل واتبعوا فضائل الدين " (٣) .
 فالخيرات التي أمروا بها: عمومها، قال ابن عاشور:- والمراد: " عموم الخيرات كلها ،
 فإنّ المبادرة إلى الخير محمودة " (٤)

"فالتعبير يتضمّن الحثّ على المبادرة والاستعجال إلى الخيرات وهي جميع الطاعات بالعموم
 . والخيرات جميع خَيْرَة ، وهي الصالحة والفاضلة من الناس والأمر " (٥)
 و الأمر في: ﴿ ١٧٤ ﴾ . « أمرٌ للمؤمنين بأن يستبقوا. (٦)

(٣) تفسير السعدي ص ٥٩

(٤) (سورة البقرة - ١٧٧)

(٥) تفسير المراغي (١٦،١٥/١)

(٦) التحرير والتنوير (٤٣ / ٢)

(١) معجم التعبيرات القرآنية / محمد عتريس ص ١٧

(٢) تفسير أبي السعود (١٤٨ / ١)

" والاستباق من الصفات التي يقع فيها الاشتراك " . (١)

فمن يسابقون إذن؟؟ .

قيل : " سابعوا في الخيرات، واتركوا أهل الملل الضالة". (٢)

فـ " لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ، ومن غيركم . فاستبقوا أنتم الخيرات ، واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره " . (٣)

فهذا يدل على أن الاستباق يقع بين المسلمين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من أهل الملل الأخرى .

يقول الإمام الألويسي : " وفي أمر المؤمنين بطلب التسابق فيما بينهم - كما قال السعد - دلالة على طلب سبق غيرهم بطريق الأولى .

وقيل : الاقتصار على سبق بعضهم إشارة إلى أن غيرهم ليس في طريق الخير حتى يتصور أمر أحد بالسبق إلى الخير عليه " . (٤)

ويرى الشيخ الشعراوي " أن الذي يهديه الله يتجّه إلى الخيرات وكأنه يتسابق إليها.. لأنه لا يعرف متى يموت .. ولذلك كلما تسابق إلى خير كان ذلك حسنة أضافها لرصيده " (٥)

فقله يشير إلى أن المرء في سباق مع نفسه للخيرات .

فيتلخص لدينا مما سبق :-

أن السباق والمسابقة للخيرات قد تكون :-

- ١- بين الإنسان ونفسه .
- ٢- بين المؤمنين مع بعضهم البعض .
- ٣- بين المؤمنين وغيرهم من أهل الملل الضالة .

(٣) انظر البحر المحيط / أبو حيان (١ / ٤٣٩)

(٤) تفسير السعدي ص ٥٩

(٥) الكشف / الزمخشري ص ١٠٣

(٦) روح المعاني / الألويسي (١ / ١٥)

(٧) تفسير الشعراوي (١ / ٦٣٨)

وفي التعبير بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ حَرَجٌ لِّذَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ وَظَلَّتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي حُجْرٍ عُزْبٍ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَبْلَغُ مِنْ الْمَسَارِعَةِ ، وَقَدْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْأَمْرِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ .
يقول أبو السعود:-

" وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة ؛ لما فيه من الحثّ على إحراز قصب السبق " (٢)
" والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإنّ الاستباق يتضمن فعلها وتكمليلها ، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة " (٣)
ثمّ إنه — عزّ وجل — أعقب أمر الاستباق للخيرات ببيان قدرته فقال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ حَرَجٌ لِّذَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ وَظَلَّتْ أَسْمَاعُهُمْ فِي حُجْرٍ عُزْبٍ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ أَبْلَغُ مِنْ الْمَسَارِعَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَيُنشِطُهَا ، مَا رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهَا مِنَ الثَّوَابِ " . (٥)
فالآية كما حوت ترغيباً حوت ترهيباً. " ففي أي موضع تكونوا يحشركم الله لجزاء أعمالكم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ففيها حث على الاستباق بالترغيب والترهيب .

أو في أي المواضع تكونوا يقبض الله أرواحكم، ففيها حث على الاستباق باغتنام الفرصة ؛ فإنّ الموت لا يختص بمكان دون مكان " . (٦)
" ويستدلّ بالآية على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل كالصلاة في أول وقتها ..
والإتيان بسنن العبادات وآدابها ، فله ما أجمعها وأنفعها من آية !! " (٧)

(١) سورة البقرة - ١٤٨

(٢) تفسير أبي السعود (١ / ١٤٨)

(٣) تفسير السعدي ص ٥٩

(٤) سورة البقرة - ١٤٨

(٥) تفسير السعدي ص ٥٩

(١) انظر روح المعاني / الألوسي (١ / ١٥)

(٢) تفسير السعدي ص ٥٩

ثانياً : عند بيان تنوع الشرائع الربانية اختباراً للعباد ؛ وعقداً لمضمار السباق بين الأمم، قال تعالى : ﴿ ١٤٨ ﴾

﴿ ١٤٨ ﴾

(١) » ﴿ ١٤٨ ﴾

جاء في مطلع الآية بيان إنزال القران بالحق وهيمنته على ما قبله من الكتب ، وأمر النبي ﷺ بأن يحكم بين الناس عربهم و عجمهم وأميهم وكتايبهم بما أنزل الله إليه من هذا الكتاب ، وألاً ينصرف عن الحق إلى أهواء الجهلة الأشقياء " . (٢)

ثم بيّن سبحانه بأنه جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً .

قال ابن الجوزي :- " وللمفسرين في معنى الكلام قولان :-

أحدهما: لكل ملة جعلنا شرعة ومنهاجاً ، فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة ، ولأهل القران شريعة. هذا قول الأكثرين.

قال قتادة : الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسى، وعيسى، وأمة محمد ، فلتوراة شريعة ، وللإنجيل شريعة يحلّ الله فيها ما يشاء ويجرم فيها ما يشاء بلاءً ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، والدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد .

والثاني :- أن المعنى : لكل من دخل في دين محمد جعلنا القرآن شرعة ومنهاجا " . (٣)

ورجح الإمام ابن كثير القول الأول ، وبيّن سبب رجحانه بقوله:— (ويدلّ على ذلك قوله تعالى بعده : ﴿ ١٤٩ ﴾ » ﴿ ١٤٩ ﴾ ؛ فلو كان هذا خطاباً

لهذه الأمة لما صحّ أن يقول : ﴿ ١٤٩ ﴾ » ﴿ ١٤٩ ﴾ « وهم أمة واحدة ؛ ولكنّ هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته العظيمة التي لو شاء لجميع الناس كلهم على دين واحد وشرعية واحدة لا ينسخ شيء منها ، ولكنه تعالى شرع لكل رسول

(٣) (سورة المائدة - ٤٨)

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٦٨)

(٥) زاد المسير (٢ / ٣٧٢)

(١) (سورة المائدة - ٤٨)

شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده؛ حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداً ﷺ ، الذي بعثه إلى أهل الأرض قاطبة ، وجعله خاتم الأنبياء كلهم. ولهذا قال تعالى :

«مَنْ أَحْسَنُ عِبَادَةً مِنْهُ لِيُتَّبَعَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ أَنْ تُخَلِّقُوا مِثْلَ نَسَبِهِ مِثْلَ خَلْقِهِ» من الشرائع المختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله. (٢). أ.هـ.

"فتنوع الشرائع لعدة الابتلاء والامتحان، لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص (٣) " فإنه سبحانه " يختبركم وينظر كيف تعملون ، ويتلي كل أمة بحسب ما تقضيه حكمته ، ويؤتي كل أحد ما يليق به ، وليحصل التنافس بين الأمم . فكل أمة تحرص على سبق غيرها؛ ولهذا قال: « أَي بَادِرُوا إِلَيْهَا ، وَأَكْمَلُوهَا ، فَإِنَّ الْخَيْرَاتِ الشَّامِلَةَ لِكُلِّ فِرْعَوْنٍ وَمُتَّبِعِهِ ، مِنْ حَقِّقِ اللَّهُ ، وَحَقِّقِ عِبَادَهُ ، لَا يَصِيرُ فَاعِلُهَا سَابِقًا لغيره ، مستولياً على الأمر ، إلا بأمرين :-

المبادرة إليها ، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ، ويعرض عارضها ، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به " . (٤)

" وإذا كانت المشيئة قد قضيت باختلاف الشرائع فاستبقوا إلى فعل ما أمرتم بفعله وترك ما أمرتم بتركه " . (١) " وابتدروا الخيرات انتهازاً للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم " . (٢) فإنه « وَمَنْ يَسْتَبِقْ إِلَى سَبْقِهَا وَغَدِرْ إِلَى غَدْرِهَا وَغَدِرْ إِلَى غَدْرِهَا وَغَدِرْ إِلَى غَدْرِهَا » (٣) وهناك تظهر ثمرة استباق الخيرات والمبادرة إليها في وقت الرجوع إلى الله تعالى ومجازاته " . (٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٦٩ / ٢)

(٣) انظر : فتح القدير / الشوكاني (٦٢ / ٢)

(٤) تفسير السعدي ص ٢٢٩

(١) فتح القدير / الشوكاني (٦٢ / ٢)

(٢) تفسير البيضاوي (٤٤١ / ١)

(٣) (سورة المائدة - ٤٨)

(٤) البحر المحيط / أبو حيان (٥٠٣ / ٣)

فإنه سبحانه " قد بين - ما كنتم فيه تختلفون - في الدنيا بالدلالة والحجج وغداً بيّنه
بالمجازة " (١) .

وبهذا التنبيه يظهر الفضل بين الحق والمبطل ، والمستقب والمقصر في العمل " ، فإنه وعد
للمبادرين ووعيد للمقصرين " (٢) .

والآية نصّ في المسارعة للخيرات ، يقول الإمام القرطبي :

« (٣) أي سارعوا إلى الطاعات ، وهذا يدل على أن تقديم
الواجبات أفضل) " (٤) أ.هـ " كما تدل على أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد
ما يجزي من العبادات الواجبة ؛ بل يأتي بالمستحبات التي يقدر عليها لتتم وتكتمل ،
ويحصل بها السبق " (٥) .

ثالثاً: - تحقير الدنيا وتعظيم الآخرة ببيان وصف الدنيا وحالها ؛ إذ الاغترار بها
والإقبال عليها هو " سبب الغفلة عن الآخرة ومتطلباتها من العمل الصالح " (٦) ؛ فمن
انكشفت له الدنيا وأبانت له عن حقيقتها سابق إلى العمل الصالح وبادر إليه ، وعلم أن
التنافس في أمور الدنيا مذموم ، وأن التنافس في الآخرة مطلوب محمود فالعقل من نافس
في الباقية ، وزهد في الفانية: -

قال تعالى :

« (٧) »

وكانت هذه الآية عقب الآية التي بين الله فيها أن الدنيا هو ولعب ، ثم ضرب لها

(٥) انظر تفسير الطبري (٦ / ٣٠٠)

(٦) تفسير البيضاوي (١ / ٤٤١)

(٧) سورة المائدة - ٤٨

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٣٧)

(٩) تفسير السعدي ص ٢٢٩

(١٠) أيسر التفاسير / الجزائري (٥ / ٢٧٣)

(١) (سورة الحديد - ٢١)

مثلاً بـ : ¼

« (١) فهو سبحانه "أراد أن الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور .. وأما الآخرة

فهي أمور عظام.. فهذا تشبيه لحال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها. " (٢)

"ولما ذكر ما يؤول إليه أمر الدنيا من الفناء ذكر ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من

العذاب الشديد، ومن رضاه الذي هو سبب النعيم : "¼

« لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل فيها بطلبها له

فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه " (٣)

"ثم لما حقر أمر الدنيا وعظم أمر الآخرة بعث عباده إلى المسارعة إلى ما وعد من ذلك ،

وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة. " (٤)

فقال سبحانه وتعالى : ¼

» (٥)

"فإنه سبحانه حث عباده على المبادرة إلى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي

تكفر عنهم الذنوب والزلات ، وتُحصّل لهم الثواب والدرجات " (٦).

"فالمسارعة إذن إلى سبب المغفرة وهو الإيمان وعمل الطاعات .. وجاء لفظ (سابقوا)

كأنهم في مضمار يجرون إليها غاية مسابقين إليها ؛ " (٧) فإنه "عبر عن العناية والاهتمام

بفعل المسابقة؛ لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل كفعل من

يسابق غيره إلى غاية فهو يحرص على أن يكون الجلي ، ولأن المسابقة كناية عن المنافسة،

أي واتركوا المقتصرين على متاع الحياة الدنيا في الأخرى والخالف " (٨).

(٢) (سورة الحديد - ٢٠)

(٣) انظر : (الكشاف / الزمخشري ص ١٠٨٤)

(٤) تفسير البغوي (٤ / ٢٩٨)

(٥) الكشاف / الزمخشري ص ١٠٨٤

(٦) (سورة الحديد - ٢١)

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٥)

(٢) البحر المحیط / أبو حيان (٨ / ٢٢٥)

(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٧ / ٣٦٧)

وهذه المغفرة والجنة المأمورين بالمسابقة إليها ﴿لَا يَسْتَوِي السَّاجِدُ وَالْمُؤْتِرُ﴾ (١).
 والإيمان بالله ورسوله ، يدخل فيه أصول الدين وفروعه. فعلى العبد أن يحرص على المسابقة
 إلى رضوان الله وجنته بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضي الله من الإحسان في عبادة
 الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع " (٢).
 رابعاً:-

ذِكْرُهَا صِفَةً مَشْتَرَكَةً لِلْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - ، بَعْدَ أَنْ أَتَى - سُبْحَانَهُ - عَلَى كُلِّ
 نَبِيٍّ عَلَى انْفِرَادٍ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا، وَيُدْفَعُ الْعَبْدَ إِلَى الْحِرْصِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ وَالْتِمَازِهَا ؛
 فَالْأَنْبِيَاءُ هُمُ الْقُدُوةُ، وَبِهِمْ تَجِبُ الْأَسُوءَةُ :-

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي السَّاجِدُ وَالْمُؤْتِرُ﴾ (٣).
 قال الشيخ السعدي - رحمه الله - :-

(لَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، كَلَّافاً عَلَى انْفِرَادِهِ، أَتَى عَلَيْهِمْ عَمُومًا فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِي
 السَّاجِدُ وَالْمُؤْتِرُ﴾ أ.هـ (٤).
 " فالجملة واقعة موقع التعليل للحمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين ، وما
 وأتوه من النصر، واستجابة الدعوات، و الإنجاء من كيد الأعداء وما تبع ذلك .. وما
 استحقوا ما وأتوه إلا لمبادرتهم إلى مسالك الخير ، وجدّهم في تحصيلها . وأفاد فعل الكون
 أنّ ذلك كان دأبهم وهجيراهم " (٥)

(٤) (سورة الحديد - ٢١)

(٥) انظر تفسير السعدي / ص ٩٢٢.

(٦) (سورة الأنبياء - ٩٠)

(١) تفسير السعدي / ص ٥٦٩.

(٢) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٩٩ / ١٧)

"فإنَّهم — عليهم السلام — كانوا يسارعون في عمل القربات والطاعات" (١)،
ويبادرون إلى أبواب الخير" (٢)، "ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق
الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهبوا الفرصة فيها" (٣).

"والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف المهمة والجدُّ للخيرات، أي لفعلها، تشبيهاً
للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر إلى المكان المقصود الجادِّ في مسالكه" (٤)
وتأمل السرِّ في تعديّة فعل المسارعة بـ (في) : (فإنَّ تعديّة فعل المسارعة بـ (في) دون
(إلى)؛ للإيدان بكونهم داخلين في الخيرات غير خارجين عنها). أهـ (٥).

"والحقّ سبحانه سارع في استجابة الدّعاء للأنبياء؛ لأنهم كانوا يسارعون
في الخيرات" (٦)

"فإنهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال" (٧) المذكورة في الآية.

خامساً:-

وحيثما يكون حديث القرآن عن المؤمنين تأتي المسارعة إلى الخيرات سمة بارزة وصفة
واضحة لمن تمكّن الإيمان من قلبه والخشية من نفسه :-

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوا مَكْرَهًا أَوْ ضَلَالًا سَأَلُوا لِلَّهِ إِذْ عَصَوْا وَاللَّهُ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٨)

إلى أن قال سبحانه :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابُوا مَكْرَهًا أَوْ ضَلَالًا سَأَلُوا لِلَّهِ إِذْ عَصَوْا وَاللَّهُ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩)

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢٠٣ / ٣)

(٤) تفسير البيضاوي (٤٣١ / ٢)

(٥) تفسير السعدي ص ٥٦٩

(٦) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٩٩ / ١٧)

(٧) تفسير البيضاوي (٤٣١ / ٢)

(٨) انظر : في ظلال القرآن / سيد قطب / (٥٥٩ / ٥).

(٩) تفسير البيضاوي (٤٣١ / ٢).

(١) سورة المؤمنون (٥٧ - ٦٠)

(٢) سورة المؤمنون - ٦١

"لما نفى سبحانه في الآيات التي قبلها الخيرات الحقيقية عن الكفرة ، أتبع بذكر من هو أهل للخيرات عاجلاً وآجلاً ، فوصفهم بأربع صفات : الإشفاق والحشية ، والتصديق بالآيات ومدلولها ، وترك الشرك كلياً ظاهر أو باطناً ، وأن قلوبهم وجلة مع ما يقدمون من العمل الصالح "

" ثم أشار إلى المتصفين بهذه الصفات بأنهم : ¼ « وَمَنْ أَدْرَاكَ مَا يَرْجُونَ » و « وَيَادْرُونَ إِلَيْهَا، »^(٣) فهم في ميدان التسارع في أفعال الخير ، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما يُنجي من عذابه ، فكل خير سمعوا به أو سنحت لهم الفرصة ، انتهبوه وبادروه . قد نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، يسارعون في كل خير ، وينافسون في الزلفى عند ربهم فنافسوهم .

ولما كان السابق لغيره المسارع ، قد يسبق لجده وتشميره ، وقد لا يسبق لتقصيره ، أخبر تعالى أن هؤلاء من القسم (السابقين) فقال :

¼ « فَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ »^(٤) قد بلغوا ذروتها ، وتباروا هم والرعييل

الأول، ومع هذا قد سبقت لهم من الله سابقة السعادة ، أنهم سابقون " .^(٥)

ولما ذكر مسارعتهم للخيرات ، وسبقهم إليها ، ربما وهم واهم أن المطلوب منهم ومن غيرهم أمر غير مقدور ، أو متعسر ؛ قال تعالى : ¼ « فَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ »^(١) أي بقدر ما تسعه، ويفضل من قوتها عنه ، ليس مما يستوعب قوتها ، رحمة منه وحكمة ، لتيسير طريق الوصول إليه ، ولتعمر جادة السالكين في كل وقت إليه " .^(٢)

سادساً :-

(٣) فتح القدير / الشوكاني (٣ / ٦١١)

(٤) المؤمنون - ٦١

(٥) تفسير السعدي ص ٥٩٨

(١) (سورة المؤمنون - ٦٢)

(٢) تفسير السعدي ص: ٥٩٨ .

ذَكَرُ الْمَسَابِقَةِ لِلْخَيْرَاتِ فِي مَعْرِضِ الثَّنَاءِ عَلَى مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

كَمْ يَسِّرُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يَدِينُونَ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ يَخْرُجُونَ فِي سُبُلٍ مُبِينَةٍ ۚ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَاللَّيْلَةَ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ يَخْتَلِفُ أَعْيُنُهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ لَعَلَّ يُؤْتُوا مِنْهَا نَافِثَةً (١) وهي واحدة من الصفات

التي امتدح الله بها من آمن من أهل الكتاب .

" والآيات نزلت في من آمن من أحرار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، وأسد بن

عبيد ، وثعلبة بن شعبة وغيرهم ... وهم المذكورون في آخر السورة ¼ وإن من أهل الكتاب

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ » (٤) (٥)

" ووصفهم سبحانه بخصائص ما كانت في اليهود ؛ فإنهم - أي اليهود - منحرفون عن الحق ، غير متعبدين في الليل ، مشركون بالله ملحدون في صفاته ... متباطئون عن الخيرات " (٦) .

لكن هؤلاء المؤمنون منهم: " كانوا يسارعون في الخيرات، والمسارعة إلى الخيرات قدر زائد على مجرد فعلها ، فهو وصف لهم بفعل الخيرات، والمبادرة إليها، وتكملها بكل ما تتم به من واجب ومستحب. ثم بين سبحانه أن كل ما فعلوه من قليل أو كثير ، فإن الله سيقبله ، حيث كان صادراً عن إيمان وإخلاص . ¼ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ وَاللَّيْلَةَ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ يَخْتَلِفُ أَعْيُنُهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ لَعَلَّ يُؤْتُوا مِنْهَا نَافِثَةً (٢) ، وهم الذين قاموا بالخيرات وتركوا المحرمات ، لقصد رضا الله، وطلب ثوابه " (٣) .

(٣) (سورة آل عمران - ١١٤)

(٤) (سورة آل عمران - ١١٩)

(٥) تفسير ابن كثير (١/٤٠٦)

(٦) تفسير البيضاوي (١/٢٨٩)

(١) سورة آل عمران - ١١٥

(٢) تفسير السعدي ص: ١٢٩

فهؤلاء المسارعون للخيرات ممن آمن من أهل الكتاب ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١) بنص الآية. فالموصفون بتلك الصفات " (٢) - ومنها المسارعة في الخيرات - هم ممن صلحت أحوالهم عند الله، واستحقوا رضاه وثناءه " (٣).

وآثر اسم الإشارة على الضمير في قوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٤)؛ للإشعار بعلّة الحكم والمدح " (٥).

وتأمل قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٨) ، فقال : في الخيرات ،

ولم يقل إلى الخيرات كما وقع في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٩) ؛ للإيدان بأنهم مستقرون في أصل الخير، متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل، لا أنهم خارجون عنها ، منتهون إليها " (١٠) .

سابعاً :-

امتداح السابقين إلى الخيرات، وبيان أفضليتهم مقارنة بالأصناف الأخرى، وبيان أن من سبق في هذه الدنيا إلى فعل الخير فهو سابق إلى الكرامة في الآخرة ؛ فمن سبق هنا سبق هناك ، كما أنهم هم الذين سلموا من الدم وحصل لهم نهاية المدح من الله وأفضل الكرامات :-

قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (١١) :

(٦) ﴿ كُتِبَ عَلَيْهِمُ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٦) :

(٣) سورة آل عمران - ١١٤

(٤) الصفات الواردة في الآية نفسها (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

(٥) انظر تفسير البيضاوي (٢٨٩/١)

(٦) سورة آل عمران - ١١٤

(٧) تفسير أبي السعود (٧٤/٢)

(٨) سورة آل عمران - ١١٤

(٩) سورة آل عمران - ١٣٣

(١٠) تفسير البيضاوي (٢٨٩/١)

(١) سورة فاطر - ٣٢

وردت الآية في معرض الامتنان على المؤمنين وتذكيرهم بجلال القرآن وشرفه ، ثم جاء التذكير هنا بنعمة " توريث " الكتاب لهذه الأمة . "

قال ابن عباس : يريد أمة محمد (٢) ، ثم قسّمهم ورثتهم ، فقال : $\text{وَمَا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{قَالَ الَّذِينَ يُخْفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{لَا يَخْتَفُونَ إِلَّا فِي ظُلْمٍ} \text{وَمَا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{قَالَ الَّذِينَ يُخْفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{لَا يَخْتَفُونَ إِلَّا فِي ظُلْمٍ}$ (٣) (٤) . فإنه لما كانت هذه الأمة

أكمل الأمم عقولاً ، وأحسنهم أفكاراً ، وأرقهم قلوباً ، وأذكاهم نفساً ؛ اصطفاهم تعالى ، واصطفى لهم دين الإسلام و أورثهم الكتاب المهيم على سائر الكتب . " (٥)

$\text{وَمَا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{قَالَ الَّذِينَ يُخْفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{لَا يَخْتَفُونَ إِلَّا فِي ظُلْمٍ}$ - « ، وهو المقرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض

المحرمات ، $\text{وَمَا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{قَالَ الَّذِينَ يُخْفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{لَا يَخْتَفُونَ إِلَّا فِي ظُلْمٍ}$ » هو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض

المستحبات ويفعل بعض المكروهات . $\text{وَمَا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{قَالَ الَّذِينَ يُخْفُونَ فِي الْأَرْضِ} \text{لَا يَخْتَفُونَ إِلَّا فِي ظُلْمٍ}$. وهو المؤدي

للواجبات و المستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات . (٦)

و قد ذكر المفسرون أقوالاً عدة في بيان هذه الأقسام الثلاثة - تصبّ في القول السابق

الذي ذكره ابن كثير - كما تبرز أفضلية السابق بالخيرات .

روي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال : (سابقنا سابق ، ومقتصدنا

ناج ، وظالمنا مغفور له) (١) .

وقد أشكل تقديم الظالم على المقتصد ، وتقديمها على السابق مع أنه أعلى منزلة

منها . وأجاب المفسرون عن هذا الإشكال :-

قال الإمام البغوي - رحمة الله - : " قال أبو بكر الورّاق :-

(٢) الدر المنثور / السيوطي (٢٣ / ٧)

(٣) سورة فاطر - ٣٢

(٤) تفسير البغوي (٥٧٠ / ٣)

(٥) تفسير السعدي ص ٧٥٢

(٦) تفسير ابن كثير (٥٦٢ / ٣) وانظر السعدي ص ٧٥٢

(١) قال الحافظ ابن حجر في " تخرّيج الكشاف " ١٣٩ : رواه سعيد ابن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله

الحرازي عن سمع عمر ، فذكره موقوفاً . وذكره السيوطي في (الدر) من رواية سعيد بن منصور ، وزاد نسبه لابن أبي

شيبه ، وابن المنذر ، والبيهقي في (البعث) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفاً ، ولم يثبت في المرفوع .

رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس ، لأن أحوال العبد ثلاثة : معصية ، وغفلة ، ثم توبة ثم قربة. فإن عصى دخل في حيز الظالمين ، وإذا تاب دخل في جملة المقتصددين ، وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين " (١).

وقال الإمام القرطبي (٢) - رحمه الله - : " التقديم في الذكر لا يقتضي تشریفاً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ " (٣).

ثم نقل عدة أقوال جواباً عن الإشكال السابق منها :

١ - أنه قدّم الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم ، وأن المقتصددين قليل بالإضافة إليهم ، والسابقين أقل من القليل .

٢ - ومنها : أنه قدّم الظالم لثلا يئأس من رحمة الله ، وأخر السابق لثلا يعجب بعمله .

٣ - ومنها : أنه أخر السابق ليكون أقرب إلى الجنات والنعيم؛ " (٤) المشار إليه في

نهاية الآية: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٥) والمصرّح به في الآية التي تليها :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٦) وهذا السابق بالخيرات على علوّ منزلته مقارنة بغيره ؛

إلاّ إنّه لم ينل ذلك إلاّ بإذن الله ، قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٧)

فالقيد في الآية : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ راجع إلى السابق إلى الخيرات ؛ لثلا يغتر بعمله ؛ بل ما

سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته ، فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى ، على ما أنعم به عليه " (٨).

(٢) تفسير البغوي (٣ / ٥٧٢)

(٣) سبق ترجمته ص ٤٣

(٤) الحشر - ٢٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٤ / ٢٢٣)

(١) (سورة فاطر - ٣٢)

(٢) (سورة فاطر - ٣٣)

(٣) (سورة فاطر - ٣٢)

(٤) تفسير السعدي ص ٧٥٢

"والسابق أصله الواصل إلى غاية معنية قبل غيره من الماشين إليها ، وهو هنا مجاز لإحراز الفضل ؛ لأنَّ السابق يحرز سبق ، أو مجاز في بذل العناية لنوال رضا الله ، وعلى الاعتبارين في المجاز فهو مكثي عن الإكثار من الخير؛ لأنَّ السابق يستلزم إسراع الخطوات ، والإسراع إكثار" ^(١) ، "فالسابق الذي سبق إلى الأعمال الصالحة ... وسبق غيره في أمور الدين وهو خير الثلاثة... والسابق إلى الخيرات هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره" ^(٢) وقد أشارت آيات الواقعة أيضاً إلى منزلة السابقين وعلوها قال تعالى :
 « وَأَسْرِعُوا وَبَسُوا وَلَا يَكُفُّوا أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ لَبَّيْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا » ^(٣) وذلك عند الحديث عن أقسام الناس يوم القيامة وأنهم ثلاثة أصناف" ^(٤).

قال تعالى: « وَأَسْرِعُوا وَبَسُوا وَلَا يَكُفُّوا أَعْيُنُهُمْ وَاللَّهُ لَبَّيْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا » ^(٥)

قال ابن كثير :-

"... قسّمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم" ^(١) وفاضل بينهم في المتزلة وما سيؤولون إليه من الجزاء الأخروي فأحظاهم منزلة هم «
 لهم الروح والريحان وجنة النعيم» ^(٢)
 وفي بيان معنى السابقون خمسة أقوال، ذكرها ابن الجوزي في تفسيره ^(٣) ، فقال :
 أحدها : أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة .
 والثاني : أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين .
 والثالث : أنهم أهل القرآن .

^(٥) التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٦٥ / ٢٢)

^(٦) انظر فتح القدير / الشوكاني (٤ / ٤٣٧ ، ٤٣٨)

^(٧) الآيات : (١٠ - ١٢)

^(٨) انظر تفسير ابن كثير (٣٠٣ / ٤)

^(٩) سورة الواقعة (٧ - ١١)

^(١) تفسير ابن كثير (٣٠٣ / ٤)

^(٢) انظر الواقعة الآيات : (٨٨ - ٩٥)

^(٣) (١٣٣ / ٨)

والرابع : الأنبياء .

والخامس : السابقون إلى المساجد وإلى الخروج في سبيل الله .أ. هـ

وصحّح ابن كثير هذه الأقوال ، فقال : " وهذه الأقوال كلها صحيحة؛ فإنّ المراد

بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾

﴿٤﴾. (٥)

أما إعادة ذكرهم وتكريره : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٦) ففيه قولان :

أَنَّهُ للتأكيد (٧) ، وأنّ التكرير للتفخيم والتعظيم ؛ فالسابقون هم الذين اشتهرت حالهم بذلك. (٨) والمعنى : أنّ حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبراً يُخبر به عنهم أدل على مرتبتهم من اسم السابقين .

والقول الثاني:- أن السابقين في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون في الآخرة لدخول

الجنات. (١)

" ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ هم الصنف الثالث في العَدِّ ، وهم الصنف الأفضل من الأصناف

الثلاثة ، ووصفهم بالسبق يقتضي أنّهم سابقون أمثالهم من المحسنين الذين عبّر عنهم بأصحاب الميمنة فهم سابقون إلى الخير ؛ فالنّاس لا يتسابقون إلّا لنوال نفيس مرغوب لكل الناس ، وأمّا الشرّ والضّرّ فهم يتكعون عنه .

وحقيقة السبق : وصول أحد مكاناً قبل وصول أحد آخر وهو هنا مستعمل على سبيل

الاستعارة ؛ فيجوز أن يكون ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ مستعملاً في المبادرة والإسراع إلى الخير في

الدين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٢) ،

(٤) (سورة آل عمران - ١٣٣)

(٥) تفسير ابن كثير (٤/٣٠٣)

(٦) (سورة الواقعة: ١٠)

(٧) انظر : الكشف / الزمخشري ص (١٠٧٥)

(٨) انظر فتح القدير / الشوكاني (٥/١٨٣)

(١) تفسير السعدي ص ٩١٣

(٢) (سورة التوبة : ١٠٠)

(٣) (سورة المؤمنون: ٦١)

ويجوز أن يكون مستعملاً في المغالبة في تحصيل الخير كقوله تعالى : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** (٤) .

ووجه تأخير هذا الصنف مع كونه أشرف من الصنفين الأولين هو أن يقترب به ما بعده، وهو قوله: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** (٥) فالإشارة هي إليهم أي: المقربون إلى جزييل ثواب الله ، وعظيم كرامته ، أو الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم عند الله . (٦)

" وكذا لتشويق السامعين إلى معرفة صنفهم بعد أن ذكر الصنفان الآخرين من الأصناف الثلاثة ترغيباً في الاقتداء بهم. " (٧)

فهؤلاء السابقون استحقوا هذه المترلة من التقريب ونيل الجنان بما سبقوا به غيرهم من العمل الصالح في الدنيا ؛ قال تعالى : **وَالَّذِينَ سَبَقُوا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ**

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (٨) .

(١) » **وَالَّذِينَ سَبَقُوا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ**

" فهم الذين سبقوا هذه الأمة وبدورها للإيمان، والهجرة والجهاد ، وإقامة دين الله. " (٢)

وفي بيان " معنى سبقهم " وتفصيله ذكر ابن الجوزي ستة أقوال :-

" أولها : أنهم الذين صلّوا إلى القبلتين مع الرسول ﷺ

والثاني : أنهم الذين بايعوا الرسول ﷺ بيعة الرضوان وهي الحديبية .

الثالث : أنهم أهل بدر .

(٤) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٧ / ٢٦٤)

(٥) (سورة الواقعة : ١١ ، ١٢)

(٦) فتح القدير / الشوكاني (١٨٣ / ٥)

(٧) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٧ / ٢٦٥)

(١) (سورة التوبة : ١٠٠)

(٢) تفسير السعدي ص ٣٦٤

الرابع : أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ ، حصل لهم السبق بصحبته .
قال محمد بن كعب القرظي : (إنَّ الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ ، وأوجب لهم
الجنة محسنهم و مسيئهم في قوله: « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ » (٣) .
والخامس : أنهم السابقون بالموت والشهادة ، سبقوا إلى ثواب الله تعالى .
والسادس : أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة (٤) .
" والحقّ سبحانه بعد أن ذكر الفرق المتلبّسة بالنقائص ذكر القدوة الصالحة والمثل
الكامل في الإيمان والفضائل والنصرة في سبيل الله ؛ ليحتذي مُتطلب الصلاح
حذوهم " (٥) .

" وهؤلاء السابقين هم من : « الَّذِينَ هَاجَرُوا قَوْمَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ وَفَارَقُوا
أوطانهم . ومن : « الَّذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
وَأَوْوُوا أَصْحَابَهُ » (١) ؛ أمّا الذين « الَّذِينَ آمَنُوا بِرُسُلِهِمْ وَأَنْصَرُوا
سِوَى السَّابِقِينَ الْأُولَى ، أو هم الذين سلكوا سبيلهم في الإيمان والهجرة أو النصر إلى يوم
القيامة " (٢) .

والسابقون ومن اقتفى أثرهم " هم الذين سلموا من الذم وحصل لهم نهاية المدح
وأفضل الكرامات من الله " (٣) ؛ إذ قد رضي عنهم سبحانه وأرضاهم " فعنايته بهم ،
وإكرامه إيّاهم ، ودفاعه أعداءهم : (رضاه عنهم) ، وأمّا رضاهم عنه فهو كناية عن
كثرة إحسانه إليهم حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم سبحانه " (٤) .

(٣) (سورة التوبة - ١٠٠)

(٤) زاد المسير/ ابن الجوزي (٣ / ٤٩٠)

(٥) التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٠ / ١٩١)

(١) تفسير البغوي (٢ / ٣٢٢)

(٢) انظر المرجع السابق

(٣) تفسير السعدي ص ٣٦٥

(٤) التحرير و التنوير / ابن عاشور (١٠ / ١٩٢)

وأنه مع رضاه عنهم - " الذي هو أكبر من نعيم الجنة " - (١) فإنه سبحانه أعدّ لهم وهياً :

(٢) » ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞

" الفوز الذي حصل لهم فيه كل محبوب للنفوس ولذة للأرواح ، ونعيم للقلوب ، وشهوة للأبدان ، واندفع عنهم كل محذور " (٣) .

وإنما حصل لهم ما حصل ووعدوا بما ووعدوا لفضل الله ورحمته ، ثم سبقهم إلى العمل الصالح .

فالسابقون هم المقربون في جنات النعيم :

(٤) » ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞

وتأمل: أنه سبحانه جعلهم (مقربين) لا (قريبين) ؛ " إذ المقرب أبغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء " (٥)؛ وهؤلاء السابقين المقربين تفصح الآيات بأنهم:

(٦) » ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞

" وهذه الثلاثة هي :

(٧) » ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞

والقليل من الآخرين هم (٨) » ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞ من التابعين، هذا عند من

يرى أن (السابقين) في قوله: ۞- نكسر قلوبهم ويؤذيهم ويؤذيهم بسخطهم ويؤذيهم بسخطهم ۞ (٩) ؛ هم جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، و (الآخرين) هم التابعون .

(٥) انظر تفسير السعدي ص ٣٦٥

(٦) سورة التوبة - ١٠٠

(٧) تفسير السعدي ص ٣٦٥

(٨) سورة الواقعة (١٠ - ١٢)

(٩) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٧ / ٢٦٦)

(٣) سورة الواقعة (١٣ - ١٤)

(٤) سورة التوبة - ١٠٠

(٥) سورة التوبة - ١٠٠

(٦) سورة الواقعة - ١٠

أمّا من يرى أنّ الأولين والآخرين هم أصحاب نبينا محمد ﷺ ؛ فيكون السابقين هم؛
الأولون من المهاجرين والأنصار ، وقليل ممن جاء بعدهم ؛ لعجز المتأخرين أن يلحقوا
الأولين ، فقليل منهم من يقارهم في السبق . " (١)

وعلى كلا المعاني نلحظ العناية " بالسابقين " وعلوّ منزلتهم وشرفهم في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: التعجيل في أداء العبادات

(٧) انظر زاد المسير/ ابن الجوزي (٤٩٠/٣)

التعجيل هو أداء الحق قبل وقته ، أو أدائه في أول وقته .
 والواجبات على نوعين : واجبات محددة بوقت ابتداء وانتهاء ، وواجبات محددة
 بوقت ابتداء وغير محددة بوقت انتهاء .
 (١) المحددة بوقت ابتداء وانتهاء :

لا يجوز تقديم أداء الواجبات المحددة بوقت ابتداء وانتهاء عن وقتها ؛ فلا يجوز
 صيام رمضان قبل حلوله ولا أداء الصلاة قبل وقتها في غير السفر ، ولا أداء الحج
 قبل وقته .

ثم إن هذا النوع من الواجبات على نوعين :
 أ) نوع لا يتسع وقتها إلا لها ، ولا يتسع لغيرها كالصيام والحج ، وهذه يستغرق
 أدائها كل وقتها .

ب) ونوع يتسع وقتها لها ولغيرها ، كالصلاة . فوقت الظهر من ميل الشمس عن
 كبد السماء إلى وقت العصر ، وهو أن يبلغ ظل الشيء مثله ، وعنده يبدأ وقت
 العصر ، وينتهي بغروب الشمس ، وهذا الوقت لا تستغرق صلاة الظهر أو العصر
 إلا جزءاً منه ويمكن أن تصلي فيه صلاة غيرها ، ويستحب تعجيل الواجب فيه _
 وهو صلاة الظهر أو العصر _ وأدائه في أول الوقت ، ولكن إن كان الوقت حاراً
 وفي بلاد حارة استحب تأخير صلاة الظهر إلى أن تمتد الظلال ، ويجد السائر إلى
 المسجد ظلاً يسير فيه .

و زكاة الفطر محددة الوقت ابتداءً بساعة الفطر من آخر يوم من رمضان وانتهاءً
 بصلاة العيد، والأصل عدم جواز أدائها في غير وقتها، ولكن أُجيز تقديمها عن ابتداء
 وقتها استحساناً ؛ لضرورة انتفاع الفقير بها على الوجه الأكمل .

و لعل من ذلك تعجيل الحجاج بالرحيل عن منى قبل المغرب من اليوم الثاني عشر
 من ذي الحجة ؛ حيث يجوز لهم التعجيل بالرحيل في هذا اليوم ، ويصح لهم المبيت في
 منى ، ثم الرحيل في اليوم الثالث عشر منه .

الواجبات المحددة بوقت ابتداء وغير محددة الوقت انتهاءً . كالتوبة من الذنب ،
 والكفارات

كلها ، والزكاة ، ونحو ذلك فهذه يجوز تقديمها عن وقت وجوبها ، وبخاصة إذا دعت الحاجة إلى هذا التقديم ، كتقديم الكفارة على الحنث باليمين ، وتقديم الزكاة عن وقت الوجوب ، وتقديم الاستغفار من جميع الذنوب قبل ارتكابها ، ونحو ذلك . فإذا دخل وقت ابتدائها ولم تؤد فإنه يستحب تعجيلها وأداؤها في أول الوقت . (١) وقد جاءت نصوص القرآن تحضّ على التعجيل في أداء العبادات .

قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۚ إِنَّكَ أَبْصَرُ مِنَ يَدْعُواكَ ﴾ (٢) ، وعلى رأس الخيرات ما أمر به المرء من العبادات والواجبات .

يقول الإمام القرطبي :-

" أي بادروا إلى ما أمركم الله عز وجل من استقبال البيت الحرام ، وإن كان يتضمّن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم ، فالمراد ما ذكر من الاستقبال لسياق الآي ، والمعنى المراد المبادرة بالصلاة في أول وقتها " (٣) ثم ساق _ رحمه الله _ أدلة من السنة في هذا الشأن . (٤)

ويقول الإمام السعدي :-

" ويستدلّ بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل كالصلاة في أول وقتها ، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام ، والحج ، والعمرة ، وإخراج الزكاة ، والإتيان بسنن العبادات وآدابها ، فله ما أجمعها وأنفعها من آية " . (٥)

وقد جاءت نصوص من السنة في بيان أفضلية التعجيل في أداء العبادات ، فمنها ما يختص بالصلاة ومنها ما يختص بالزكاة ، وآخر يختص بالصيام . ولعلّ منها ما يختص بالتعجيل في الحج .

و ممّا ورد في تعجيل الصلاة :-

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة / أ.د. محمد رؤاس قلعه جي (١ / ٥٠٢ ، ٥٠٣) .

(٢) (سورة البقرة - ١٤٨)

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢ / ١٤٨)

(٤) انظر المرجع السابق ص ١١٢ - ١١٣

(٥) تفسير السعدي ص ٥٩

ما أخرجه الإمام البخاري عن أبي عمرو الشيباني يقول : حدثنا صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار عبد الله - قال : (سألت النبي ﷺ أيّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ..) (١)

" قال ابن بطال : فيه أنّ البدار إلى الصلاة في أول أوقاتها أفضل من التراخي فيها ؛ لأنّه إنما شرط فيها أن تكون أحب الأعمال إذا أقيمت لوقتها المستحب " (٢)

وقد جاءت بعض النصوص مبينة تحديد التعجيل في صلاة بعينها : ومن ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عائشة قالت : { إن كان رسول الله ﷺ يُصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهنّ ما يعرفن من الغلس } . (٣)

يقول الإمام النووي :-

" وهذا ظاهر في شدة التكبير " (٤) " وفي هذه الأحاديث استحباب التكبير بالصبح " (٥)

وقد ورد في السنة ما يدل على تعجيل الرسول ﷺ أداء الصلاة .. ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن محمد بن عمرو بن الحسن بن علي قال : قدم الحجاج فسألنا جابر بن عبد الله فقال : كان النبي ﷺ يصلّي الظهر بالهاجرة ، والعصر والشمس نقية ، والمغرب إذا وجبت ، والعشاء أحيانا وأحيانا : إذا رأهم اجتمعوا عجل ، وإذا رأهم أبطؤوا أخر ، والصبح كانوا أو كان النبي ﷺ يصلّيها بعَلَس { (٦)

قال الإمام النووي :-

(١) كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها ، حديث رقم (٥٢٧) (١ / ١٧٩)

(٢) فتح الباريء / ابن حجر (٢ / ١٢)

(٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التكبير بالصبح في أول وقتها حديث (٦٤٥) ،

والبخاري كتاب مواقيت الصلاة باب وقت الفجر حديث (٥٧٥) (١ / ١٨٩)

(٤) شرح صحيح مسلم / النووي (٥ / ٢٨١)

(٥) المرجع السابق (٥ / ٢٨٠)

(٦) أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت المغرب حديث رقم (٥٦٠) ، ومسلم كتاب

المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التكبير بالصبح حديث رقم (٦٤٦)

قوله : (كان يصلي بالمهاجرة) هي شدة الحر نصف النهار عقب الزوال .. وقيل : سميت مهاجرة من الهجر وهو الترك ؛ لأن الناس يتركون التصرف حينئذ بشدة الحر ويقبلون . وفيه استحباب المبادرة بالصلاة في أول الوقت " . (١)

وهذا لا يتعارض مع ما جاء في البخاري عن أبي ذر الغفاري **t** قال : { كنا مع النبي **ﷺ** في سفر فأراد المؤذن أن يؤذن للظهر؛ فقال النبي **ﷺ** : أبرد، ثم أراد أن يؤذن فقال له: (أبرد) حتى رأينا فيء التلول ، فقال النبي **ﷺ** : (إن شدة الحر من فيح جهنم ؛ فإذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة) . (٢)

" والذي يجمع بين الحديثين ما رواه أنس أنه إذا كان الحرّ أبرد بالصلاة وإذا كان البرد عجلّ " (٣)

أما صلاة العصر فقد كان النبي **ﷺ** { يصلّيها والشمس مرتفعة حية }^(٤) حتى أنه روي عن أنس **t** قال : { كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان إلى بني عمرو بن عوف فيجدهم يصلون العصر }^(٥) " وهذا يدل على المبالغة في تعجيل صلاة العصر " . (٦)

أمّا المغرب فقد جاء في الصحيحين عن رافع بن خديج **t** أنه قال : { كنا نصلي المغرب مع رسول الله **ﷺ** فينصرف أحدنا و إنه ليبصر مواقع نبله }^(٧) " و مقتضاه المبادرة بالمغرب في أول وقتها بحيث أن الفراغ منها يقع والضوء باق " . (٨)

(١) شرح صحيح مسلم / النووي (٢٨١ / ٥)

(٢) كتاب مواقيت الصلاة ، باب الإبراد بالظهر في يوم السفر ، حديث (٥٣٩)

(٣) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١١٢ / ٢)

(٤) جزء من حديث متفق عليه أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العصر حديث رقم (

٥٥٠) ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر حديث رقم (٦٢١) (

١٩٢

(٥) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت العصر حديث رقم (٥٤٨) ومسلم

كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر حديث رقم (٦٢١) (١٩٤)

(٦) شرح صحيح مسلم / النووي (٢٦٤ / ٥)

(٧) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت المغرب حديث رقم (٥٥٩) ، ومسلم

كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس حديث رقم (٦٣٧)

(

قال ابن حجر: " وأما الأحاديث التي أوردها البخاري في الباب فليس فيها ما يدل على أن الوقت مضيّق ؛ لأنه ليس فيها إلا مجرد المبادرة إلى الصلاة في أول وقتها ، وكانت تلك عاداته ٣ في جميع الصلوات إلا فيما ثبت فيه خلاف ذلك كالإبراد ، وكتأخير العشاء إذا أبطؤوا كما في حديث جابر t والله أعلم " (٢) هذا ما يختص بالصلاة .

أما عن الزكاة فإنه يستحب تعجيلها ؛ وقد بوّب الإمام البخاري في كتاب الزكاة : من أحب تعجيل الصدقة من يومها ؛ وساق فيه حديث عقبه بن الحارث _ t _ أنه قال : { صَلَّى بنا النبي ٣ العصر فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج ، فقلت ، أو قيل له ، فقال : " كنت خلّفت في البيت تبراً (٣) من الصدقة ، فكرهت أن أبيتّه ، فقسّمته " } (٤)

قال ابن حجر :- " قال ابن بطّال : فيه أنّ الخير ينبغي أن يبادر به ؛ فإن الآفات تعرض ، والموانع تمنع ، والموت لا يؤمن ، والتسوية غير محمود . زاد غيره : وهو أخلص للذمة ، وأنفى للحاجة ، وأبعد من المطل المذموم ، وأرضى للرب وأحس للذنب " (٥)

ويجّلي ابن المنير لنا السرّ في ترجمة الباب بهذه الترجمة فيقول : (ترجم المصنف بالاستحباب ، وكان يمكن أن يقول كراهة تبييت الصدقة ؛ لأن الكراهة صريحة في الخبر ، واستحباب التعجيل مستنبط من قرائن سياق الخبر ؛ حيث أسرع في الدخول والقسمة ، فجرى عادته في إثارة الأخصى على الأجلّ) (٦)

أما عن الحج فإنه ينبغي المبادرة و التعجيل بأدائه متى وجدت الاستطاعة :

(٨) فتح الباريء (٥٢ / ٢)

(١) فتح الباريء (٥١ / ٢)

(٢) تبراً : التبر : الذهب ويطلق على الفضة .

(٣) حديث رقم (١٤٣٠) (٤٢٦ / ١)

(٤) فتح الباريء / ابن حجر (٣٨٢ / ٣)

(٥) المرجع السابق .

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ نَزَلَتْ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ (١) فقد نزلت

هذه

على الرسول ﷺ تنصّ على وجوب الحجّ؛ " فلم يؤخر النبي ﷺ الحج بعد فرضه عاماً واحداً ؛ بل بادر إلى الامتثال في العام الذي فرض فيه ، وهذا هو اللائق بهديه وحاله " (٢)

وقد بوّب الإمام البخاري بدء كتاب الحج بهذه الآية : باب وجوب الحج وفضله ، وقول الله: ﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ نَزَلَتْ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ وَالرَّسُولِ فِيهَا آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ (٣) . (٤)
قال العيني في العمدة (٥): " أشار بذكر هذه الآية أنّ وجوب الحج قد ثبت بهذه الآية عند الجمهور "

وقال النووي: " نزلت فريضة الحج سنة تسع " (٦)

وقال - عند ذكر تلك السنة - شيخ الإسلام: -" وفيها نزل صدر آل عمران ، وفيها فرض الحج ، وهي سنة الوفود " (٧)
وبمجموع ما ورد يتبيّن أنّ الحج واجب على الفور ، وأنّ الرسول ﷺ بادر إليه من حين نزول الآيات ؛ فكان هذا فعله ﷺ .

وقد أمر ﷺ بالتعجّل لأداء فريضة الحج ؛ فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : { تعجلوا إلى الحج فإنّ أحدكم لا يدري ما يعرض له } . (٨)

(٦) (آل عمران - ٩٧)

(١) زاد المعاد / ابن القيم (٣ / ٥٩٥)

(٢) (سورة آل عمران - ٩٧)

(٣) انظر صحيح البخاري (٢٥) كتاب الحج باب رقم (١) (١ / ٤٥٣)

(٤) (٤ / ٤٧٧)

(٥) شرح مسلم / النووي (١ / ٣٤)

(٦) المنهاج / ابن تيمية (٢ / ١١٨)

(٧) حديث رقم (٢٨٦٩) (١ / ٣١٣)

قال المناوي: (أي بادروا به فإنَّ أحدكم لا يدري ما يعرض له، زاد الديلمي في روايته من مرض أو حاجة) (١)

كما أخرج الحاكم في مستدرکه عن ابن عباس _ أيضاً _ قال : قال رسول الله ﷺ : (من أراد الحجَّ فليتعجل). (٢)

أما ما يختص بالصيام فقد جاء الأمر بـ (تعجيل الفطر للصائم) :
" فإنَّ من فضل الله وإحسانه أن يتجاوب التشريع الإلهي أو يتلاءم مع الفطرة الإنسانية البشرية ، فلا يصدمها ؛ حتى يتحقق الانسجام ، ويزول النفور ..

ومن أمثلة التجاوب مع الفطرة البشرية : تعجيل الفطر في الصيام ؛ لإزالة الجوع وإطفاء العطش، (٣) ورد في حديث متفق عليه عن سهل بن سعد t أن رسول الله ﷺ قال : { لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر } . (٤)

قال الحافظ ابن حجر: " قال ابن عبد البر : أحاديث تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور صحاح متواترة". وعند عبد الرزاق وغيره بإسناد صحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: (كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطاراً وأبطأهم سحوراً) (٥). (٦)

ويقول الإمام النووي في معنى الحديث وبيانه :-

(٨) فيض القدير / المناوي (٢٥٠ / ٣)

(٩) كتاب المناسك، حديث رقم (١٦٤٥) (١ / ٦١٧)، وقال عنه: " صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأبو صفوان هذا - الراوي ابن عباس - ؛ سَمَّاهُ غيره " مهران " مولى لقريش ، ولا يعرف بالجرح " أ . هـ

(١) انظر أخلاق المسلم وعلاقته بالخالق / أ. د. وهبة الزحيلي ص ٣٧٩.

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب الصوم ، باب تعجيل الإفطار ، حديث رقم (١٩٥٧) (٢ / ١٥٢) ، وأخرجه مسلم كتاب الصيام ، باب فضل السحور ، وتأكيده استحبابه ، واستحباب تأخيره ، وتعجيل الفطر ، حديث رقم (١٠٩٨) (٢ / ٧٧١) .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب الصيام حديث رقم (٧٥٩١) .

(٤) فتح الباري / ابن حجر العسقلاني (٢٤٩ / ٤)

" فيه الحث على تعجيل الفطر بعد تحقق غروب الشمس ، ومعناه لا يزال أمر الأمة منتظماً وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة ، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه " (١)

فالفطر إنما يكون عند تحقق الغروب . " وقد اتفق العلماء : أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين ، وكذا عدل واحد في الأرجح " (٢)

ويؤكد هذا المعنى ما أخرجه الشيخان عن ابن أبي أوفى أنه قال: { كُتِبَ مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس ، قال لبعض القوم : يا فلان قم فاجدح^(٣) لنا ، فقال : يا رسول الله لو أمسيت ، قال : انزل فاجدح لنا ، قال : يا رسول الله فلو أمسيت! قال : انزل فاجدح لنا ، فتزل فجدح لهم ، فشرب النبي ﷺ ، ثم قال : (إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم) (٤)

والحديث - كما يظهر - (٥) " فيه الحث على تعجيل الفطر واستجابته "

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي / إعداد أساتذة مختصين بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير (١٦٩ / ٧)

(٦) فتح الباري / ابن حجر (٢٤٩ / ٤)

(٧) (الجدح: هو خلط الشيء بغيره، والمراد هنا خلط السويق ونحوه بالماء وتحريكه حتى يستوي يعود. يقال : المجدح مجنح الرأس يساط به الأشربة وقد يكون له ثلاث شعب) انظر شرح مسلم (١٧١/٧) ، وفتح الباري (٢٤٧/٤)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب متى يجزئ فطر الصائم؟ حديث رقم (١٩٥٥) (٢ / ٥٨١) ، وأخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب فضل السحور حديث رقم (١١٠١) (٥٣) (٢ / ٧٧٣). كما روى البخاري بمثله في كتاب الصوم ، باب تعجيل الإفطار حديث رقم (١٩٥٨) (٢ / ٥٨٢) وكذا باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره ، حديث رقم (١٩٥٦) (٢ / ٥٨١) ، ومسلم أيضاً في كتاب الصيام باب فضل السحور حديث رقم (١١٠١) (٥٢) .

(٢) انظر شرح صحيح مسلم (١٧٢ / ٧)

وقد بين العلماء الحكمة من تعجيل الفطر في الصيام، " قال المهلب : والحكمة في ذلك أن لا يزداد في النهار من الليل ، ولأنه أرفق بالصائم ، وأقوى له على العبادة " .
(١) أ.هـ -

" وأيضاً في تأخيره تشبّه باليهود فإنهم يفطرون عند ظهور النجم " (٢)
قال ابن حجر - رحمه الله - : - عند شرحه (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) :
" قال ابن دقيق العيد - : في هذا الحديث ردّ على الشيعة في تأخيرهم الفطر إلى ظهور النجوم ، ولعل هذا هو السبب في وجود الخير بتعجيل الفطر ؛ لأنّ الذي يؤخّره يدخل في فعل خلاف السنة " أ.هـ (٣)

ثم يعلّق على مقولة ابن دقيق العيد فيقول : " وما تقدّم من الزيادة عند أبي داود - من حديث أبي هريرة : (لأنّ اليهود والنصارى يؤخّرون) (٤) - أولى بأن يكون سبب هذا الحديث ؛ فإنّ الشيعة لم يكونوا موجودين عند تحديته ر بذلك " . (٥)
وتعجيل الفطر هو ما كان يفعله الرسول ر ؛ يؤكّد ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أبي عطية قال : دخلت أنا ومسروق على عائشة y فقال لها مسروق :
رجلان من أصحاب محمد ر كلاهما لا يألّوا عن الخير (٦) ؛ أحدهما يعجّل المغرب والإفطار . والآخر يؤخّر المغرب والإفطار . فقالت : من يُعجّل المغرب والإفطار ؟ قال : عبد الله . فقالت : هكذا كان رسول الله ر يصنع " (٧)
قال ابن حجر - : " قال الشافعي في " الأم " :

(٣) فتح الباري / ابن حجر (٤ / ٢٤٩)

(٤) نيل الأوطار / الشوكاني (٤ / ٥٢٩)

(٥) فتح الباري (٤ / ٢٤٩)

(٦) كتاب الصوم ، باب ما يستحب من تعجيل الفطر حديث رقم (٢٣٥٣) (٢ / ٣٠٥) ، وأخرجه الحاكم في مستدرّكه كتاب الصوم حديث رقم (١٥٧٣) (١ / ٥٩٦) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخّرجه .

(٧) فتح الباري (٤ / ٢٤٩)

(١) لا يألّوا عن الخير : أي لا يقصّر عنه . (شرح صحيح مسلم (٧ / ١٦٩)

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل السحور حديث رقم (١٠٩٩) (٥٠) (٢ / ٧٧٢) .

(تعجيل الفطر مستحب ولا يكره تأخيره إلا لمن تعمده ورأى الفضل فيه ، ومقتضاه : أن التأخير لا يكره مطلقاً ، وهو كذلك ؛ إذ لا يلزم من كون الشيء مستحباً أن يكون نقيضه مكروهاً مطلقاً " . (١)

أما ما يختص باستحباب تعجيل الجنازة :

فقد جاء الأمر في السنة صريحاً بتعجيل المشي بالجنازة ؛ فقد رُوي عن أبي هريرة **t** عن النبي **ﷺ** أنه قال : { أسرعوا بالجنازة ؛ فإن تك صالحة فخيرٌ تقدّمونها إليه ، وإن يك سوى ذلك فشرٌ تضعونه عن رقابكم } (٢)

قال الإمام النووي :- " فقولهُ **ﷺ** : (أسرعوا بالجنازة) فيه الأمر بالإسراع للحكمة التي ذكرها **ﷺ** " . أ.هـ (٥)
والمراد بالإسراع : شدة المشي " . (٦)

" ونقل ابن قدامة أن الأمر فيه للاستحباب بلا خلاف بين العلماء . وشذّ ابن حزم فقال بوجوبه .. ويستحب الإسراع ؛ لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع ؛ لئلا ينفى المقصود من النظافة ، وإدخال المشقة على المسلم ، قال القرطبي : مقصود الحديث أن لا يتباطأ بالميت عن الدفن ؛ ولأن التباطؤ ربما أدّى إلى التباهي والاختيال " . (١)

قال ابن عبد البر :

(والذي عليه جماعة العلماء في ذلك ترك التراخي وكراهة المطيطى ، والعجلة أحب إليهم من الإبطاء) (٢) . أ.هـ .

(٣) فتح البارئ (٤ / ٢٤٩)

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري كتاب الجنائز ، باب السرعة بالجنازة حديث رقم (١٣١٥) (١ /

٣٩١) ، ومسلم كتاب الجنائز ، باب الإسراع بالجنازة حديث رقم (٩٤٤) (٢ / ٦٥١)

(٥) شرح صحيح مسلم / النووي (٧ / ١٣)

(٦) فتح البارئ (٣ / ٢٣٦)

(١) فتح البارئ (٣ / ٢٣٧)

(٢) التمهيد / ابن عبد البر (١٦ / ٣٤)

قال ابن القيم: (٣)

(وكان ٣ إذا صلى على ميت تبعه إلى المقابر ماشياً أمامه... وكان يأمر

بالإسراع بها

- أي الجنائز - حتى إن كانوا ليرمّلون بها رملاً، وأما ديب الناس اليوم خطوة

خطوة؛ فبدعة مكروهة مخالفة للسنة، ومتضمنة للتشبه بأهل الكتاب اليهود^(٤)

أ.هـ

(٣) سبق ترجمته ص ٥٢

(٤) زاد المعاد / ابن القيم (١ / ٥١٧)

المطلب الرابع : تعجيل الجزاء (١)

شرع الله — U — لعبده عدداً من التكاليف، و أمره بالقيام بها، و وعده في مقابل ذلك ثواباً إن هو أحسن، و عقاباً إن هو أساء ، يُعَجِّلُه لصاحبه في هذه الدار الفانية. و هذا التعجيل الرباني للجزاء الإلهي في العاجلة، قد يكون محموداً للعبد باعتبار سببه و أثره.

و قد تكون نتيجته غير محمودة للعبد بما يظهر من أثر عليه. و أيّاً كان الأمر فإثماً وقع على العبد ما وقع من جزاء دنيوي أو أخروي؛ فهو بفعله و كسبه، و الله — تعالى — عادل حكيم خبير؛ فلا يُجْرِي على عبده إلا ما يستحقه و يكون أهلاً له من خير و شر، و حسن و سوء، و مدح و ذم. فأفعال الله كلها مثلى و عُليا؛ و إدراجنا له (٢) في نوع العجلة المحمودة؛ إنما هو باعتبار كسب العبد و اعتبار أثر هذا الكسب على العبد؛ فالحكم عليه من جهة العبد إذن لا من جهة المولى سبحانه.

فيمكننا القول بأنّ الجزاء الإلهي منه ما هو عاجل، و منه ما هو آجل. و الجزاء الإلهي العاجل المحمود منه ما يختص بالثواب، و منه ما يختص بالعقاب. و ما يختص بالثواب ممّا ورد في القرآن على أنواع:

١- تعجيل مقيد بوعده أو حادثه. و منه قوله تعالى: [وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ...] (٣).

(١) الجزاء : الغناء والكفاية كقوله تعالى : (لا تجزي نفس عن نفس شيئا) . والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن

خييراً فخيراً وإن شراً فشر . التعريف (١ / ٢٤٠)

(٢) أي مبحث تعجيل الجزاء الإلهي .

(٣) الفتح، الآية: (٢٠)

٢- تعجيل مقيّد بوقت أو زمن. كتعجيل البشارة بالجنة للمؤمن عند الاحتضار: [تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَتْخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ] (١).

٣- تعجيل مطلق لم يرد له تحديد، لكن شرطه محبة الله: و من ذلك قول المصطفى e: (تلك عاجل بشرى المؤمن) (٢)، للعبد الذي يعمل العمل محبة لله ثم يضع الله له القبول في الأرض؛ مصداقاً لقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] (٣).

أما ما يختص بالعقاب: فهو تعجيل عقوبة العبد في الدنيا - إذا أراد الله به خيراً - قال e: (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا) (٤) [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ] (٥).
و لعلنا - الآن - نأتي على ما يختص بالثواب (٦) فنبين أنواعه، و نفصلها:
فالأول منه: ما كان الجزاء فيه متعلقاً بمحادثة أو وعد ربّاني .

(١) فصلت، الآية: (٣٠)

(٢) رواه مسلم كتاب البر و الصلة و الآداب، باب إذا أتى على الصالح فهي بشرى و لا تضره، حديث رقم (٢٦٤٢) (٤ / ٢٠٣٤)

(٣) مريم، الآية: (٩٦)

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب (٥٦) ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (٢٣٩٦). و قال عنه: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. (٤ / ٦٠١) . و ذكره الإمام ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث رقم (٤٤١٨) من كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك و قول الله U: [وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلُّوا] و صححه، (٨ / ١٥٧) . و صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢ / ٢٨٥) .

(٥) الشورى، الآية: (٣٠)

(٦) الثواب و المثوبة : جزاء الطاعة. انظر : مختار الصحاح (١ / ٣٨) . وقال الراغب : الثواب : ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله ، فسمى الجزاء ثواباً تصوراً أنه هو ، ألا ترى أنه جعل الجزاء نفس الفعل في قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة) الآية. و الثواب يقال في الخير و الشر ، لكن الأكثر المتعارف في الخير و استعماله في الشر استعارة . انظر : المفردات / الراغب ص ٨٣ .

قال تعالى : [وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] (١)

فهذا الموعود، وإن كان في حادثة معينة إلا أنه يشملها ويشمل غيرها.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (٢) - رحمه الله - :

" لا تحسبوها وحدها ، بل ثم شيء كثير من المغانم سيتبعها " (٣).

فالله سبحانه قد وعد عباده المؤمنين [مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا] (٤)، وهذا وعد منه سبحانه لعباده المؤمنين بما يستفتحه عليهم إلى يوم القيامة يأخذونها في أوقاتها التي قدر وقوعها فيها (٥). [فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ] (٦) غنيمة خير، وقيل: صلح الحديبية.

فهذه الآيات الواردة في سورة الفتح من وعد بتعجيل بعض ما وعد الله به المؤمنين، كان بسبب رضاه عنهم في بيعة الرضوان فإنه مع التعجيل قد أثابهم أيضاً فتحاً قريباً. قال تعالى: [لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا] (٧) فأول جزاء مُعَجَّلٌ ذَكَرْتَهُ الْآيَةَ:

(رضا الله): [لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] (٨) فقد أنال الله المبايعين رضوانه، وهو أعظم خير في الدنيا والآخرة. (٩)

(١) الفتح، الآية: (٢٠)

(٢) سبق ترجمته ص ٥٠

(٣) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٨٧٢

(٤) الفتح، الآية: (٢٠)

(٥) فتح القدير / الشوكاني (٦٣ / ٥)

(٦) الفتح، الآية: (٢٠)

(٧) الفتح، الآية: (١٨)

(٨) الفتح، الآية: (١٨)

(٩) التحرير و التنوير / ابن عاشور (١٤٦ / ٢٦)

و في الآية يخبر سبحانه بفضلته و رحمته (برضاه) عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيّضت وجوههم، و أكسبتهم سعادة الدنيا و الآخرة. (١)

فهذا الدرس كله حديث عن المؤمنين و مع المؤمنين، مع تلك المجموعة التي سمعت الرسول ﷺ يقول لها: (أنتم اليوم خير أهل الأرض) (٢). (٣)

فهؤلاء قد رضي الله عنهم؛ حتى سُميت البيعة (بيعة الرضوان) (لرضا الله عن المؤمنين فيها) (٤).

و سبب هذه البيعة: أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه و بين المشركين يوم الحديبية، في شأن مجيئه، و أنه لم يجيء لقتال أحد، و إنما زائراً هذا البيت، فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان **t** (٥) لمكة في ذلك.

فجاء خبر غير صادق أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين (٦). فبايعوه تحت الشجرة على قتال المشركين و أن لا يفرّوا حتى يموتوا. فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال، التي هي من أكبر الطاعات، و أجلّ القربات (٧).

أما الجزء الثاني الذي كشفته لنا الآيات:

[فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ] (٨)

(شكراً لهم على ما في قلوبهم) (٩)

أما الجزء الثالث :

(١) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٨٧١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الحديبية حديث (١٦٨٥)

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب (٥٠٤ / ٧)

(٤) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٨٧١

(٥) كان الرسول ﷺ قد بعث قبله خراش ثم أمر عمر لكن عمراً أشار عليه ببعث عثمان؛ لأن له فيهم يداً .

(٦) و كانوا نحواً من ألف و خمسمائة.

(٧) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٨٧١

(٨) الفتح، الآية: (١٨)

(٩) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٨٧١

[وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا] ^(١) هو هذا الصلح بظروفه التي جعلت منه فتحاً، و جعلته بدءاً فتوح كثيرة. قد يكون فتح خيبر واحداً منها. و هو الفتح الذي يذكره أغلب المفسرين على أنه هو هذا الفتح القريب الذي جعله الله للمسلمين. ^(٢)

فإن الله قد عوضهم على الرضا بقضائه و الصبر على أمره [فَتْحًا قَرِيبًا] ^(٣).

و الجزء الرابع في الآية التي تليها: [وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يُأْخَذُونَهَا] ^(٤) هي الغنائم. و إما أن تكون (مع الفتح إن كان المقصود: هو فتح خيبر. و إما تالياً له، إن كان الفتح هو هذا الصلح، الذي تفرغ به المسلمون لفتوح شتى). ^(٥) و وصف الغنائم بجملة [يَأْخَذُونَهَا] دال على تحقيق حصول فائدة هذا الوعد لجميع أهل البيعة، و بشارة لهم بأنه لم يهلك منهم أحداً قبل حصولهم على هذه الغنائم وكذلك كان والحمد لله. ^(٦) و فيه زيادة تحقيق لكون الفتح قريباً. ^(٧)

والتذييل في الآية بقوله: [وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا] ^(٨) فيه بشرى التعجيل والإثابة و في ذلك يقول سيد قطب ^(٩): (وهو تعقيب مناسب للآيات قبله. ففي الرضا والفتح،

(١) الفتح، الآية: (١٨)

(٢) في ظلال القرآن / سيد قطب (٥٠٥ / ٧)

(٣) زاد المسير / ابن الجوزي (٤٣٥ / ٧)

(٤) الفتح، الآية: (١٩)

(٥) في ظلال القرآن / سيد قطب (٥٠٥ / ٧)

(٦) أيسر التفاسير / الجزائري (١٠٧ / ٥)

(٧) التحرير و التنوير / ابن عاشور (١٤٨ / ٢٦)

(٨) الفتح، الآية: (١٩)

(٩) سيد قطب: باحث إسلامي مصري . من مواليد قرية موشا في أسيوط، ولد سنة (١٣٢٤) هـ تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، انضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة، وتولى تحرير جريدتهم و سُجن معهم ، إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم . من آثاره: في ظلال القرآن، مشاهد القيامة في القرآن. انظر: معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٨٠٤ / ١) ، و الأعلام / الزركلي (١٤٧ / ٣)

و الوعد بالغنائم تتجلى القوة و القدرة، كما تتجلى الحكمة و التدبير، و بهما يتم الوعد الإلهي الكريم). (١)

و من جملة الجزاءات التي حصلت لهم و وعدهم الحق سبحانه بتعجيلها، ما أشارت إليه الآيات التالية: [وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَتَكُونُ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] (٢)

و هذه الجملة مستأنفة بيانياً إذ قوله تعالى: [وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا] (٣)؛ يُثِيرُ فِي نَفْسِ أَحَدِهِمْ سَوْالًا و هو: هل بعد هذا الفتح و الغنائم من غنائم أخرى؟ فكان الجواب: [وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا] (٤) (٥)

و هذا الوعد بشرى من الله للمؤمنين سمعوها و أيقنوها، و علموا أن الله أعد لهم مغائم كثيرة، و عاشوا بعد ذلك ما عاشوا و هم يرون مصداق هذا الوعد الذي لا يُخلف. و هنا يقول لهم: إنه عَجَّلَ لهم هذه. (٦)

فالتعجيل في الآية فيه قولان:

أحدهما: أنها غنيمة خير . قاله مجاهد (٧)، و قتادة (٨)، و الجمهور .

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب (٧ / ٥٠٥)

(٢) الفتح، الآية: (٢٠)

(٣) الفتح، الآية: (١٨، ١٩)

(٤) الفتح، الآية: (٢٠)

(٥) أيسر التفاسير / الجزائري (٥ / ١٠٩) حاشية (١)

(٦) في ظلال القرآن / سيد قطب (٧ / ٥٠٦)

(٧) مجاهد: مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. قال خُصِّيف: كان مجاهد أعلم بالتفسير، و عطاء بالحج. و قال له ابن عمر: و ودت أن نافعا يحفظ كحفظك. مات سنة مائة، أو إحدى و مائة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع و هو ساجد، و مولده سنة إحدى

و عشرين. انظر: السيوطي: طبقات الحفاظ (٣٥)، و الذهبي: سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٤٩)

(٨) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطّاب البصري، أحد الأعلام، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين. قال ابن المسيّب: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة. وقال ابن سيرين: قتادة من أحفظ الناس. كان ضريراً أكمه. ولد سنة ستين، و مات سنة سبع عشرة و مائة. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (٥ / ٢٦٩)، و السيوطي: طبقات الحفاظ ص ٤٧.

و الثاني: أنه الصلح الذي كان بين الرسول **e** و بين قريش ^(١).
قال ابن جرير ^(٢): (و أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ما قاله مجاهد. و هو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب: المغانم الكثيرة من مغانم خيبر، و ذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة، و لم يفتحوا فتحاً أقرب — من بيعتهم رسول الله **e** — من فتح خيبر و غنائمها) ^(٣).

و جاء في الدر المنثور ^(٤): عن مجاهد: ([وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً] ^(٥) المغانم الكثيرة التي وعدوا؛ ما يأخذون حتى اليوم، [فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ] ^(٦) قال: عَجَّلَتْ لَهُمْ خيبر)

قال موسى بن عقبة ^(٧) :

(و لما قدم رسول الله **e** المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة أو قريباً منها، ثم خرج غازياً إلى (خيبر) سنة سبع، و كان الله **U** قد (وعده) إيّاها و هو بالحديبية).
و في رواية ابن إسحاق: (أن رسول الله **e** عام الحديبية قد نزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة و المدينة؛ فأعطاه الله - **U** - فيها خيبر) ^(٨).

ثم إن رسول الله **e** قسّم خيبر على ستة و ثلاثين سهماً، كلّ سهم بمجموع مائة سهم، فعزل منها النصف، و قسّم النصف الباقي.. و كانت خيبر غنيّة بالتمر و الطعام، و

(١) زاد المسير / ابن الجوزي (٤٣٥ / ٧)

(٢) سبق ترجمته ص ٤٢

(٣) جامع البيان / الطبري (٢٨٢ / ٢١)، و يرى سيد قطب أن الأقرب و الأرجح: صلح الحديبية. انظر: في ظلال القرآن / (٥٠٦ / ٧)

(٤) الدر المنثور / السيوطي (٤٨٥ / ١٣) و قد أخرجه عن ابن جرير: انظر جامع البيان (٢٧٩ / ٢١ ، ٢٨٠)

(٥) الفتح، الآية: (٢٠)

(٦) الفتح، الآية: (٢٠)

(٧) موسى بن عقبة بن أبي عيَّاش القرشي مولا هم المدنيّ، الأسدي المطرقي. كان بصيراً بالمغازي، ألفها في مجلد، فكان أول من صنّف في ذلك. كان مالك يقول: عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة؛ فإنها من أصح المغازي. ثقة يعدّ في صغار التابعين. أدرك ابن عمر و جابر، و حدّث عن أم خالد، و نافع. مات سنة إحدى وأربعين ومائة. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (١١٤ / ٦)، و السيوطي: طبقات الحفاظ ص ٦٣.

(٨) ابن القيم / زاد المعاد (١٢٩ / ٤)

ردّ المهاجرون إلى الأنصار منائحهم من النخيل بعدما رجعوا من خيبر إلى المدينة). (١)
 فقوله تعالى: [وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا] (٢): قال المفسرون: هي الفتوح التي تُفتح على
 المسلمين إلى يوم القيامة. (٣)

ثمّ إنّه سبحانه ذكر منّة أخرى: [وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ] (٤)؛ حيث صرف عنهم
 قتال قريش لهم، وإلا لكانوا يتعرّضون لأتعب قد تحول بينهم وبين ما أوتوه من فتح
 خيبر و الفوز بغنائمها. (٥)

[وَلَتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ] (٦) و لتكون هذه الكفة (٧) و الغنيمة [آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ] أمانة
 يُعرفون بها:

١- أنّهم من الله بمكان (٨) و أنه هو المتولي حياطتهم و حراستهم في مشاهدتهم
 و مغيبهم (٩).

٢- أو صدق الرسول ﷺ في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية.

٣- أو وعد المغانم (١٠).

٤- أو عنواناً لفتح مكة (١١).

(١) روضة الأنوار في سيرة النبي المختار/ صفى الرحمن المباركفوري ص ١٧٨، ١٧٩ باختصار .

(٢) الفتح، الآية: (١٩)

(٣) زاد المسير / ابن الجوزي (٤٣٥ / ٧)

(٤) الفتح، الآية: (٢٠)

(٥) أيسر التفاسير / الجزائري (١٠٩ / ٥) حاشية (٢)

(٦) الفتح، الآية: (٢٠)

(٧) أنوار التنزيل / البيضاوي (٢٩٨ / ٣) و تفسير الكشاف / الزمخشري ص ١٠٢٧

(٨) أنوار التنزيل / البيضاوي (٢٩٨ / ٣)

(٩) معالم التنزيل / البغوي (١٩٤ / ٤)

(١٠) أنوار التنزيل / البيضاوي (٢٩٨ / ٣)

(١١) حيث ورد أن الرسول ﷺ رأى فتح مكة في منامه- ورؤيا الأنبياء صلوات الله عليهم وحي - فتأخّر ذلك
 إلى السنة القابلة، فجعل فتح خيبر علامة و عنواناً لفتح مكة . انظر: الكشاف / الزمخشري ص ١٠٢٧ .

ثم إن هذا التعجيل فيه تثبيت لكم وهداية وزيادة: [وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] (١) يزيدكم بتلك الآية هدى (٢)، ويزيدكم بصيرة و يقيناً بصلح الحديبية و فتح خيبر (٣)، و ثقة بفضل الله و توكلأً عليه. (٤)

فهذه إحدى البشائر الإلهية التي كانت فيها إثابة بالفتح و وعداً بالغنيمة.

و هذا إحدى الجزاءات الإلهية العاجلة التي من الله بها على المؤمنين.

و في الجزاء الإلهي العاجل عنصر يتمثل في التعديل الذي تحتمه أفعالنا في علاقاتنا مع الله. و ليس ما يهمنا هو هذه العلاقة الخارجية التي تتيح لنا أن ننال مكافأة، أو نتعرض لعقاب؛ و إنما يهمنا علاقة أخرى أكثر عمقاً - كل ما عداها ليس إلا رمزاً تختلف درجة كماله - فموقفنا في مواجهة الشريعة يجد إجابة العاجلة عند الله في قبوله أو رده، قبل أن يحدث أي رد فعل خارجي، فموقفنا هو الذي يجعلنا مرضيين أو مردودين عنده - سبحانه - .

و القرآن يبرز هذا الجانب الخاص. ليؤكد من خلال تعبيره الشفاف: [لَقَدْ

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] (٥) (٦)؛ فكل نصر و تمكين و تثبيت فهو جزاء إلهي عاجل يُثيب به عباده المؤمنين.

و النوع الثاني من الجزاء الإلهي المتعلق بالثواب - الوارد ذكره في القرآن - :

هو تعجيل البشارة للمؤمن بالجنة في الدنيا:

و هو جزاء معجل مقيد بزمن الاحتضار. قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا

تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْأَتْخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ] (٧) و ذلك عند

(١) الفتح، الآية: (٢٠)

(٢) فتح القدير/الشوكاني (٦٣/٤)

(٣) معالم التنزيل/البغوي (١٩٤/٤)

(٤) أنوار التنزيل/البيضاوي (٢٩٨/٣)

(٥) الفتح، الآية: (١٨)

(٦) دستور الأخلاق في القرآن/د. محمد دراز ص٣٥٦، ٣٥٧ بتصرف

(٧) فصلت، الآية: (٣٠)

الممات يبشروهم بالجنة^(١). فملائكة الرحمن تنزل عليهم بالبشرى من عند الله بالسرور و
الخبور^(٢).

قال ابن كثير^(٣): (قال مجاهد^(٤)): يعني عند الموت قائلين: [أَلَّا تَخَافُوا] مِمَّا تُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ
مِنَ أَمْرِ الْآخِرَةِ، [وَلَا تَحْزُنُوا] عَلَى مَا خَلَقْتُمُوهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا؛
فَإِنَّا نَخْلِفُكُمْ فِيهِ، [وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ] فَيُبَشِّرُونَهُمْ بِذَهَابِ الشَّرِّ وَحُصُولِ الْخَيْرِ^(٥).
فهذه البشرى نصّ عليها العلماء أنها في زمن الاحتضار.

و هناك من يرى أنها في زمن الاحتضار وغيره؛ لما يدل على قوله تعالى: [تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ] من تكرار نزولهم عليهم^(٦).
قال الإمام القرطبي^(٧): (قال وكيع^(٨)): البشرى في ثلاثة مواطن: عند الموت، و في القبر،
و عند البعث^(٩)).

و لما كان من تدنو منيته؛ يشعر - في حينها - بقرب الفراق و ترك الأهل و
الأصحاب؛ فيشعر بالخوف مما سيُقدم عليه من أحوال الآخرة، و ينتابه الحزن و الأسى
على من سيخلف في هذه الدنيا من الأهل و الأولاد؛ فقد بشر الله **U** المستقيمين على
دينه بالطمأنينة و الفوز بالجنة^(١٠).

(٢) معاني القرآن/ الفراء (١٨ / ٣)

(٣) الرائد دروس في التربية/ مازن الفريح (٩٣ / ١)

(٤) سبق ترجمته ص ٤٣

(٥) سبق ترجمته ص ١٠٦

(٦) ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم (١٠٧ / ٤)

(٧) تيسير الكريم الرحمن: السعدي ص ٨١٩

(٨) سبق ترجمته ص ٤٣

(٩) وكيع ابن الجراح بن مَليح بن عَدِي بن فَرَسِ المَرْوَأَسِي. أبو سفيان الجوفي الحافظ، محدث العراق، أحد الأعلام .
ولد سنة ١٢٩، وقيل: ثمان. كان ثقة مأموناً كثير الحديث حجة. روى عن أبيه، وحماد. وروى عنه سفيان، وخلق. قال
أحمد: ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ، ولا رأيت معه كتاباً قط ولا رقعة. عُرض عليه القضاء فامتنع. مات وهو
حاج سنة ١٩٦. - (فَيْد). انظر: الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٤٠/٩) السيوطي : طبقات الحفاظ ص ١٢٧ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٢٣٤ / ١٥)

(١) المهدي الإسلامي للغرائز عند الإنسان / عبد الرحمن الزيد ص ٦٨ بتصرف

و إنما استحقَّ هؤلاء البشارة عند الموت، (و الفضائل العظيمة) و المنازل الرفيعة؛
لأنهم آمنوا بدين الله حقاً، و استقاموا عليه صدقاً (١).

و في ذلك يقول سيد قطب (٢): (و الاستقامة على قوله: (ربنا الله) الاستقامة
عليها بحقها و حقيقتها؛ شعوراً في الضمير، و سلوكاً في الحياة. الاستقامة عليها و الصبر
على تكاليفها.. أمر و لا شك كبير و عسير. و من ثمَّ استحق عند الله هذا الإنعام
الكبير.. صحبة الملائكة، و ولائهم، و مودّتهم. هذه التي تبدو فيما حكاها الله عنهم. و هم
يقولون لأوليائهم المؤمنين: لا تخافوا، و لا تحزنوا، أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. ثم
يصورون لهم الجنة، و يزيدونها لهم جمالاً و كرامة: نُزُلاً من غفور رحيم. فهي من عند الله
أنزلكم إياها بمغفرته و رحمته. فأبى نعيم بعد هذا النعيم؟) (٣).

فالملائكة ألقوا بتأمينهم (٤) بشارتهم؛ لأن وقوع النعيم في النفس موقع المسرة إذا لم
يخالطه توقع المكروه، و وصف الجنة بـ [**الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**] (٥) تذكير لهم بأعمالهم
التي وُعدوا عليها بالجنة، و تعجيل لهم بمسرة الفوز برضا الله، و تحقيق وعده.

و نظير هذه الآيات من التبشير عند الموت، قوله تعالى: [**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ
أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ**] (٦)، فإن كانت قد نزلت في
أشخاص بعينهم إلا أنها شاملة.

فقد قيل أنها (نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل و أبي ذر (١) و سلمان الفارسي (٢))

(٢) الرائد دروس في التربية/ مازن الفريخ (٩٣ / ١)

(٣) سبق ترجمته ص ١٠٥

(٤) في ظلال القرآن / سيد قطب (٢٤٠ / ٢٤)

(٥) أي قولهم: (أي قولهم لا تخافوا و لا تحزنوا)؛ و لما كان الخوف مما يتوقع من المكروه أعظم من الحزن على
الفائت قدّمه، ثم لما وقع الأمن لهم بُشّروا بما يؤولون إليه من دخول الجنة، فحصل لهم الأمن التام و السرور العظيم .

(البحر المحيط / أبو حيان (٤٩٦ / ٧))

(٦) فصلت، الآية: (٣٠)

(١) الزمر، الآية: (١٧)

- رضي الله عنهم - و الصحيح أنها شاملة لهم و لغيرهم... فهؤلاء الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة). (٣)

فهذه البشرى لا يُقدَّر قدرها، و لا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم الله بها. شاملة في الحياة الدنيا و في الآخرة عند الموت، و في القبر و في القيامة. (٤)

و كذا قوله تعالى: [**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ^٨ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ^٨ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] (٥)

قال ابن سعدي (٦):

(فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً لذلك كانت [**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

وَ فِي الْآخِرَةِ] (٧) ... و أما في الآخرة: فأولها، البشارة عند قبض أرواحهم). (٨)

(٢) أبي ذر: اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً؛ و أصح ما قيل عنه: جندب بن جنادة الغفاري. كان من كبار الصحابة و فضلائهم، أحد السابقين الأولين، كان خامس من أسلم. انصرف بعد إسلامه إلى بلاد قومه و أقام بها؛ حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة. كان رأساً في العلم و الزهد و الجهاد. توفي سنة إحدى و ثلاثين بالربذة. و قيل اثنتين و ثلاثين. (انظر: ابن الأثير: أسد الغابة (٣٤٣ / ١) ، و الذهبي: سير أعلام النبلاء (٤٦ / ٢) و السيوطي: طبقات الحفاظ ص ٦).

(٣) هو سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام. صحب النبي ﷺ و خدمه و حدث عنه. له في مسند بقي ستون حديثاً، و أخرج له البخاري أربعة أحاديث، و مسلم ثلاثة أحاديث. كان لبيباً حازماً من عُقلاء الرجال و عبادهم و نبلائهم. كان عبداً فكاتب و أعتق و أعانه رسول الله ﷺ على أدائه. ثم شهد الخندق حراً. و لم يفته بعدها مشهد. مات في خلافة عثمان بالمدائن سنة ست و ثلاثين. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء (٥٠٥ / ١) ، الإصابة (٢٢٣ / ٤) .

(٤) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٥٣ / ٤)

(٥) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٧٨٨ باختصار

(٦) يونس، الآيات: (٦٢ - ٦٤)

(١) سبق ترجمته ص ٥٠

(٢) يونس، الآية: (٦٤)

(٣) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٣٨٦

و غيرها من الآيات.

و قد كان هذا جزاءً مُعَجَّلًا و ثواباً.

قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (١)

فالجنة جزاؤهم الذي عجلت البشارة به في الدنيا فهو سبحانه (جزاهم على إيمانهم و استقامتهم بالنجاة من النار و الخلود في دار الأبرار) (٢) و الملائكة تبشروهم بالجنة و أنها [نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ] (٣) أي ثواباً. (٤)

فالجنة جزاء المؤمنين و ثوابهم و قد عجلت لهم البشارة في الدنيا. (فبهمهمم العالية، و نفوسهم التواقفة للخير و الكمال؛ استوجبوا بشرى على لسان رسول الله e، و الثناء الجميل من رب العالمين) (٨)

و النوع الثالث من الجزاء الإلهي العاجل المتعلق بالثواب هو :

ما جاء في صحيح مسلم (٥) عن أبي ذر t قال: قيل لرسول الله e: أرايت الرجل يعمل العمل من الخير، و يحمده الناس عليه؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) و لمسلم (٦) - أيضاً - في رواية أخرى: (و يحبّه الناس عليه).

(٤) الأحقاف، الآيتان: (١٣، ١٤)

(٥) المسجد و بيت المسلم / الجزائري ص ٢٣

(٦) فصلت، الآية: (٣٢)

(٧) البحر المحيط / بو حيان (٧ / ٤٩٧)

(٨) أيسر التفاسير / الجزائري (٤ / ٤٧٧)

(١) كتاب السير و الصلة و الآداب باب (٥١) إذا أثنى على الصالح فهي بشرى و لا تضره

حديث رقم (٢٦٤٢). (٤ / ٢٠٣٤)

(٢) التخريج السابق لكن الرواية عن ابن عمران .

قال العلماء: معناه هذه البشرية المعجّلة له بالخير، و هي دليل البشرى المؤخّرة إلى الآخرة بقوله: [بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٍ ...] (١). (٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٣): (أما البشارة في الدنيا، فهي الثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين.... و في الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم) (٤)

قال الإمام النووي^(٥): (قال العلماء: و هي دليل على رضا الله تعالى عنه - أي المؤمن - و محبته له، فيُحبّبه إلى الخلق؛ ثم يُوضع له القبول في الأرض) (٦)

وهو مصداق لقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا] (٧).

فهذا من نعمة الله على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان و العمل الصالح، أن يجعل لهم وداً: أي محبة و وداً في قلوب أوليائه، و أهل السماء و الأرض، و إذا كان لهم من الخيرات، و الدعوات، و الإرشاد و القبول، و الإمامة ما حصل، و لهذا ورد في الحديث الصحيح: (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي أَحَبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي في أهل السماء: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ) (٨).

و إنما جعل الله لهم القبول لأنهم و دوه، فودّدهم إلى أوليائه و أحبابه (٩)، و عجل لهم بذلك البشارة.

(٣) الحديد، الآية: (١٢)

(٤) انظر صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الحاشية (٤/٢٠٣٤)

(٥) سبق ترجمته ص ٥٠

(٦) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٣٨٦

(٧) سبق ترجمته ص ٤٥

(٨) صحيح مسلم بشرح النووي / إعداد مجموعة من الأساتذة بإشراف علي أبو الخير (١٦ / ١٤٤٤)

(٩) مريم، الآية: (٩٦)

(١) أخرجه البخاري كتاب الآداب، باب: المقّة من الله تعالى حديث رقم (٤٠٤٠) (٤ / ١٠٩٨) و مسلم في

كتاب البر و الصلّة باب: إذا أحبّ الله عبداً، حبّبه إلى عباده حديث رقم (٢٦٣٧) (٤ / ٣٠٢٠)

(٢) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٥٣٥

فمن أحبه الله و أحبه المؤمنون من عباده حصلت له السعادة و الفلاح و الفوائد الكثيرة في الثناء و الدعاء له حياً و ميتاً، و الاقتداء به. (١)

و ذكر ابن قتيبة (٢): (إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ماذا يتبعه من الثناء) (٣)

و عن الأصمعي قال: كان يقال: الثناء يُضاعف كما تضاعف الحسنات .. (٤)

فالثناء هو أحد صور الجزاء، و إذا وقع على عبد في هذه الدار كان معجلاً.

فقد كانت عائشة رضي الله عنها (٥) تتمثل قول الشاعر:

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَ إِنَّ مَنْ
أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى (٦)

و هذا الثناء و حمد الناس للعبد على عمل الخير دون قصد منه؛ لا يُعدّ من الرياء في شيء، فإذا دخل العبد في عمل الخير بإخلاص، و خرج منه بإخلاص، فأطلع الله عليه خلقه، و العبد لا يحبّ إطلاعهم، و سرّ العبدُ ب صنع الله و فضله عليه؛ فهذا السرور ليس من الرياء: [قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] (٧). (٨)

(٣) الرائد دروس في التربية و الدعوة / مازن الفريح (١٧٦ / ١)

(٤) العلامة الكبير، ذو الفنون عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوْرِي. أبو محمد. ولد سنة (٢١٣) كان ثقة ديناً فاضلاً. ولي قضاء (الدِّيَنَوْر)، و كان رأساً في علم اللسان العربي، و الأخبار و أيام الناس. من تصانيفه: غريب القرآن، عيون الأخبار، و مشكل القرآن، و غيرها. مات في شهر رجب ست و سبعين و مائتين . انظر: السذهبي:

سير أعلام النبلاء (٢٩٦ / ١٣) . معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٢٩٧ / ٢)

(٥) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار كتاب الحوائج باب الشكر و الثناء (و رفعه) . ص ٢٩٦

(٦) المرجع السابق ص ٢٩٦

(٧) عائشة رضي الله عنها: زوج النبي e، و أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، كان فقهاء الصحابة يرجعون إليها. يروى عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. و قال عطاء: كانت أفقه الناس، و أعلم الناس، و أحسن الناس رأياً في العامة. توفيت سنة سبع و خمسين. انظر: ابن الأثير: أسد

الغاية (٣٤١ / ٥)، و السيوطي: طبقات الحُفَاط ص ٨

(٢) عيون الأخبار / ابن قتيبة ص ٢٩٧. (لم أجد له نسبة).

(٣) يونس، الآية: (٥٨)

(٤) الرائد دروس في التربية و الدعوة / مازن الفريح (٤٧ / ١)

قال ابن حزم^(١): (فالثناء على المؤمن من قبل الصالحين يعني رضا الله عليه، و أنّ ثوابه الجنة إن شاء الله رب العالمين)^(٢).

^(٥) ابن حزم: الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسي الأصل البيزدي الأموي مولا هم القرطي الظاهري. كان شافعيّاً ثم تحوّل ظاهريّاً، و كان صاحب فنون و ورع و زهد، و إليه المنتهى في الذكاء و الحفظ، و سعة الدائرة في العلوم، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، و أوسعهم معرفة مع توسّعه في علم اللسان و البلاغة و الشعر و السير و الأخبار. له: (المحلّ) و (الملل و النحل) و غيرها. مات في جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و أربعمئة. انظر: السيوطي: طبقات الحُفّاظ ص ٤٣٦ .

^(٦) رسالة في مداراة النفوس / ابن حزم ص ١١

أما ما يخصّ العقاب من الجزاء الإلهي العاجل فهو :

تعجيل العقوبة في الدنيا :

فمِمَّا لا شك فيه أن للمعاصي آثاراً سيئة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: [**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**] (١)

فالآية أفصحت أن ظهور الفساد [**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**] أي بسبب معاصيهم وذنوبهم، كما في قوله تعالى : [**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**] (٢).

[**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**] أي لِيُذِيقَهُمْ عِقَابَ بَعْضِ عَمَلِهِمْ [**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**] عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ، وَ يَرْجِعُونَ إِلَى الْمَنْهَجِ الْقَوِيمِ. (٣)

فإنَّه سبحانه وتعالى قد أفسد أسباب دنياهم و محققها؛ لِيُذِيقَهُمْ وَبِالْبَعْضِ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُعَاقِبَهُمْ بِجَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ. (٤)

فهو - سبحانه - يبتليهم بنقص الأموال و الأنفس و الثمرات اختباراً منه لهم و مجازة على صنيعهم. (٥)

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي (٦): ([**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي**] أي ليعلموا أنه المجازي على الأعمال فعجل لهم نموذجاً من جزاء أعمالهم في الدنيا. [**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**] عن أعمالهم التي أثرت لهم من الفساد ما أثرت فتصلح أحوالهم، و يستقيم أمرهم.

(١) الروم، الآية: (٤١)

(٢) الشورى، الآية: (٣٠)

(٣) معجم التعبيرات القرآنية / محمد عتريس: ص ٤٦٥

(٤) الكشاف / الزمخشري ص ٨٣١

(٥) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٤ / ٤٤٥)

(٦) سبق ترجمته ص ٥٠

فسبحان من أنعم ببلائه، و تفضّل بعقوبته، و إلاّ فلو أذاقهم جميع ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) (١)

قال تعالى : [وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلٰى ظُهُرِهِمْ مِنْ دَابَّةٍ] (٢) فالله سبحانه يعجّل بالعقوبة بعضها، لا جميعها.

ذكر ابن كثير (٣) ما رواه ابن أبي حاتم عن علي t مرفوعاً : ([وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ] (٤) ... ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، و الله تعالى أحلم من أن يُثني على عبده العقوبة في الآخرة...) (٥)

و أخرج الحاكم في مستدركه : (من أصاب ذنباً في الدنيا فعوقب به فالله أعدل من أن يُثني عقوبته على عبده) (٦)

و الحقّ سبحانه يعجّل العقوبة لمن يشاء - في هذه الدنيا - و ينطوي تحت ذا التعجيل خيرية عظمية.

قال e : (إذا أراد الله بعد خيراً عجلّ له عقوبته في الدنيا، و إذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه) (٧)

قال ابن حجر - في شرح حديث الثلاثة الذين خلفوا - :
(و لهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب، و أخر من كذب للعقاب الطويل) (٨)

(١) تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٧٠٠

(٢) النحل، الآية: (٦١)

(٣) سبق ترجمته ص ٤٣

(٤) الشورى، الآية: (٣٠)

(٥) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٤ / ١٢٥)

(٦) كتاب التفسير: تفسير سورة حم عسق (٤ / ٤٢٩) وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

(٧) سبق تخريجه و قد صححه ابن حجر (٨ / ١٥٧)

(٨) فتح الباري / ابن حجر (٨ / ١٥٧)

فمن رحمة الله بعباده أن عجل لمن شاء منهم جزاء سيئاتهم في حياتهم الدنيا بما ابتلاهم به من المصائب و المكارِه التي تصيبهم فيخرجون منها و ليس عليهم ذنب يوافقون به ربهم يوم القيامة.

فمن أراد الله به خيراً ابتلاه فعن أبي هريرة **t** قال: قال **e**: (من يرد الله به خيراً يصب منه) (١)

فتعجيل العقوبة من رحمة الله بخلقه و من تمام إحسانه و كرمه و محبته لهم.

عن علي بن أبي طالب **t** قال: قال رسول الله **e**: (من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة. و من أصاب حداً فستره الله عليه و عفا عنه، فالله أكرم من أن يعود إلى شيء قد عفا عنه) (٢). (٣)

فتعجيل العقوبة للعبد سواء حداً، أو ابتلاء و مصيبة يكفر خطاياها و سيئاته فيرفعه عند الله درجات؛ و لهذا كان خيراً للعبد و رحمة .

(١) أخرجه البخاري كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض حديث رقم (٥٦٤٥) (١٨٠٨/٤)

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء لا يزني الزاني و هو مؤمن حديث رقم (٢٦٢٦) و قال: هذا حديث حسن غريب صحيح (١٦/٥) و ابن ماجه في كتاب الحدود باب: الحد كفارة رقم (٢٦٠٤) (ذنباً) بدل (حداً) و الحاكم في المستدرک كتاب الحدود حديث رقم (٨١٦٥) (٤٢٨/٤) و قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه. و وافقه الذهبي .

(٣) العفو في القرآن /فايزة النافع ص٢٤١

المبحث الثاني :

" العجلة المذمومة " وفيه مطالب :

المطلب الأول : استعجال الأمور المرغوبة لذاتها

المطلب الثاني : استعجال الأمور المكروهة لذاتها

المطلب الأول: استعجال الأمور المرغوبة لذاتها.

العجلة بالدعاء

وفيه :

الاستعجال بالدعاء بالشر

استعجال إجابة الدعاء

الاستعجال في الدعاء

" الدعاء عبادة عظيمة تظهر فيها روح العبادات كلها وهي الذلّ والخضوع والافتقار إلى الله تعالى ، بالإضافة إلى ما فيه من التعرّض لرحمة الله وفضله فلذلك كان الدعاء أفضل العبادة ، وما من عبادة إلا وهي متضمنة للدعاء ، والله سبحانه يحب من يدعوه ، ويلجّ في دعائه ". (١)

وللدعاء آدابٌ ينبغي على المرء التحلي بها ، وشروط ينبغي أن يحققها ؛ حتى يكون دعائه مقبولاً بإذن الله . وله موانع تمنع الإجابة .

فمن الشروط :

" إطابة المطعم والملبس ، والإخلاص ، وعدم التعليق .

ومن الموانع :

الغفلة ، والاعتداء في الدعاء ، والاستعجال في الدعاء .

ومما يخص البحث في هذا الشأن : الاستعجال بالدعاء على النفس أو الأهل أو الولد والمال ، وأكثر ما يكون ذلك حين الغضب . وكذا الاستعجال في الدعاء بأن يدعو المرء ويدعو فإذا لم يرَ الإجابة استحسر وترك الدعاء وهذا ما سُنِّبَته في هذا المبحث _ إن شاء الله _

الاستعجال بالدعاء على النفس

(١) الدروس اليومية / راشد آل عبد الكريم ص ٧١

شرع الله | للناس هذه العبادة العظيمة _ الدعاء _ ، وجعل لها آداباً تُقرب الداعي من ربه ، وتجعله أحرى بالإجابة ، ومن ذلك ألا يدعو المرء على نفسه أو أهله أو ولده وماله فقد يوافق ساعة إجابة فيستجاب. وقد ذمّ القرآن هذه الصفة ، وذكر أنّها من عجلة المرء وعدم تأنيه .

قال تعالى : ﴿سَأَلْنَا رَبَّ هَلْ نَدْعُوهُ بِالْحَسَنِ وَالْكَافِرِينَ كَلْبًا يُكَفِّرُ بِنَدَائِهِمْ وَالسَّوْءُ مَا يُلْقُونَ﴾ (١) »

وقد اختلفت عبارات المفسرين في المراد بـ (الإنسان) ، (ودعائه بالشر)

على أقوال :-

فالقول الأول : أنه اسم جنس يراد به الناس . (٢)

" فالإنسان هنا ليس واحد معيناً ، والمعنى : أن في طباع الإنسان أنه إذا ضجر وغضب دعا على نفسه وأهله وماله بالشر أن يصيبه كما يدعوا بالخير أن يصيبه " . (٣)

وهذا الدعاء الناتج منه في حال الغضب يكره أن يقع على من دعا عليه ، ولا يجب ذلك .

روى الطبري عن مجاهد : ﴿سَأَلْنَا رَبَّ هَلْ نَدْعُوهُ بِالْحَسَنِ وَالْكَافِرِينَ كَلْبًا يُكَفِّرُ بِنَدَائِهِمْ وَالسَّوْءُ مَا يُلْقُونَ﴾ ... (٤)

قال : " ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته ، فيعجل ، فيدعو عليه ، ولا يجب أن يصيبه " . (٥) أ.هـ .

" وهذا من جهل الإنسان وعجلته حيث يدعو على نفسه وأولاده بالشر عند الغضب ، ويبادر بذلك الدعاء ، كما يبادر بالدعاء في الخير " . (٦)

فالدعاء بالشر هنا يشمل :-

أ) دعوة المرء على نفسه وغيره بالهلاك ونحوه وقت الغضب .

(١) (سورة الإسراء - ١١)

(٢) زاد المسير / ابن الجوزي (١٣ / ٥)

(٣) البحر المحيط / أبو حيان (١٣ / ٦)

(٤) (سورة الإسراء - ١١)

(٥) تفسير الطبري (٤٨ / ٥)

(٦) تفسير السعدي ص ٤٨٤

" فعن ابن عباس في قوله : ﴿ كَرِهَ اللَّهُ مُشْرِكِيهِمْ ﴾ (١) »

يعني قول الإنسان اللهم اغضب عنه واغضب عليه " . (٢)

قال ابن كثير :-

" يخبر عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أي بالموت والهلاك والدمار واللعنة " . (٣) أ . هـ .

وهذا الاستعجال بالدعاء بالشر لا يستجيبه اللطيف لرحمته وحكمته .

قال الشيخ السعدي :-

(ولكنَّ الله من لطفه يستجيب له في الخير ، ولا يستجيب له بالشر.. ¼ ﴿ كَرِهَ اللَّهُ مُشْرِكِيهِمْ ﴾)

» ﴿ كَرِهَ اللَّهُ مُشْرِكِيهِمْ ﴾ (٤) (.. (٥)

" فالحقَّ سبحانه أنَّما يذكرُّ عباده أياديه عندهم .. بأنَّه لو استجاب لهم في الشر كما

يستجيب لهم في الخير لهلكوا " (٦)

ويدخل في تفسير قوله تعالى : ¼ ﴿ كَرِهَ اللَّهُ مُشْرِكِيهِمْ ﴾

» ﴿ كَرِهَ اللَّهُ مُشْرِكِيهِمْ ﴾ (٧) " أنَّ العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله

، ربما دعا عليهم دعوة، لو قبلت منه لهلكوا ولأضره ذلك غاية الضرر ، ولكنه تعالى حلیم

حكيم " . (٨) وقد جاءت الأدلة صريحة في النهي عن الدعاء على النفس أو الغير بالشر.

(١) (سورة الإسراء - ١١)

(٢) تفسير الطبري (٥ / ٤٧)

(٣) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٨)

(٤) (سورة يونس - ١١)

(٥) تفسير السعدي ص ٤٨٤

(٦) انظر تفسير الطبري (٥ / ٤٧)

(٧) (سورة يونس - ١١)

(٨) تفسير السعدي ص ٣٧٦

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث جابر الطويل مرفوعاً : (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم) (١) .

وهذا من الاعتداء في الدعاء " فالذي يدعوا على نفسه أو أهله أو ماله فقد اعتدى على حق نفسه " (٢) .

وقد أخرج الحديث أيضاً الإمام أبو داود في كتاب الصلاة ، باب النهي أن يدعوا الإنسان على أهله وماله (٣) .

قال صاحب عون المعبود :-

(لا تدعوا دعاء سوء على أنفسكم بالهلاك ومثله (ولا تدعوا على أولادكم) بالعمى ونحوه (ولا تدعوا على أموالكم) أي من العبيد والإماء (٤) بالموت وغيره .

(لا توافقوا) نهي للداعي وعلّة النهي أي لا تدعوا على من ذكر لثلاث توافقوا .. ساعة إجابة ونيل فيستجاب دعوتكم السوء) . (٥) أ . هـ .

و ما أكثر ما نرى اليوم لهذه الصورة من واقع ملموس و متكرر .

(ب) الدعاء بما يحسبه المرء خيراً وهو شرّ . (٦)

" فإنّ الإنسان قد يبالغ في الدعاء طلباً لشيء يعتقد أنّ خيره فيه ، مع أنّ ذلك الشيء

يكون منبع شره وضرره ، وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال

ذلك الشيء ، وإنما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولاً مغترّاً بظواهر الأمور غير متفحّص عن حقائقها وأسرارها " . (٧)

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر حديث (٣٠٠٩) (٤ / ٢٣٠٤)

(٢) الدعاء ومثله من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١ / ١٧٦)

(٣) حديث رقم (١٥٣٢) عن عبادة بن الصامت عن جابر غير أنه ذكره مستقلاً ولم يذكره في أثناء القصة التي وردت في حديث جابر كما في مسلم . (٤ / ٢٣٠٤)

(٤) المال يعمّ هذا وغيره .

(٥) عون المعبود / أبو الطيب محمد شمس الحق (٤ / ٢٧٤)

(٦) انظر تفسير البيضاوي (٢ / ٢٩٣)

(٧) التفسير الكبير / الفخر الرازي (١٩ / ١٦٢)

" ويدخل في هذا الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ؛ فإنَّ العبد عليه أن يطمع في رحمة الله التي وسعت كل شيء وفي عفوه ومغفرته وجوده وفضله فيسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة . ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من قول : { ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } (١)

و لهذا لما عاد النبي ﷺ مريضاً صار كالفرخ من الضعف فسأله " هل كنت تدعو بشيء ؟ " قال : نعم كنت أقول : (اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا) قال رسول الله ﷺ : " سبحان الله لا تطيقه، أفلا قلت : (اللهم آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ؟ " (٢) (٣)
القول الثاني : أن المراد بالإنسان " الكافر " :-

فإنه يدعو ويستعجل بالدعاء جحوداً واستهزاءً قال تعالى : ¼

(٤) »

قال الشوكاني :

" وقيل: المراد بالإنسان هنا القائل هذه المقالة هو الكافر يدعو لنفسه بالشر، وهو استعجال العذاب دعاءه بالخير " (٥)

و لا أدلّ على ذلك من دعوة " النضر بن الحارث " (٦) على نفسه فإنه القائل _ كما ذكر عنه الحق سبحانه مقالته _ في سورة الأنفال :

¼

(١) متفق عليه أخرجه البخاري كتاب الدعوات، باب: قول النبي ﷺ " ربنا آتنا في الدنيا حسنة " حديث (٦٣٨٩)

(٤ / ٢٠٠٦) ، وأخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الدعاء : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، حديث (٢٦٩٠) (٤ / ٢٠٧٠)

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الذكر والدعاء باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، حديث (٢٦٨٨) (٤ / ٢٠٦٨)

(٣) الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١ / ١٧٧)

(٤) (سورة يونس - ١١)

(٥) فتح القدير / الشوكاني (٣ / ٢٦٥)

(٦) تفسير البغوي (٢ / ٢٤٥)

(١) » $\text{y-} \dots \text{y-} \dots \text{y-} \dots$

فقد دعا على نفسه بالشر " وكان الأولى أن يقول : اللهم إن كان هذا هو الحقّ فاهدنا إليه " (٢)

ومن يرى أن الآية يُقصد بها الكافر الإمام أبو السعود حيث قال عن معنى الآية عند بيانه لقوله تعالى: $\text{y-} \dots \text{y-} \dots \text{y-} \dots$: (٣)

" بيان لحال المهدي إثر بيان حال الهادي وإظهار لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفرادهِ وهو الكافر ... فالمعنى أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر الكبير ، ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الأليم ، وهو أي بعض أفرادهِ أعني الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إمّا بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم : $\text{y-} \dots \text{y-} \dots \text{y-} \dots$:

(٤) » $\text{y-} \dots \text{y-} \dots \text{y-} \dots$

ومن قال : $\text{y-} \dots \text{y-} \dots \text{y-} \dots$ (٥)

إلى غير ذلك مما حكى عنهم ، وإمّا بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازاً كما هو ديدنهم " (٦) .

(١) (سورة الأنفال - ٣٢)

(٢) انظر تفسير السعدي .

(٣) (سورة الإسراء - ١١)

(٤) (سورة الأنفال - ٣٢)

(٥) (سورة هود - ٣٢)

(٦) روح المعاني / الألويسي (٢٣ / ١٥) نقل هذا القول الألويسي، وهو في تفسير أبي السعود (١٥٨/٥) .

استعجال إجابة الدعاء

أمر الله _ ا _ عباده بالدعاء ؛ فقال U : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (١) ، وأخبر _ ا _ عباده بقربه منهم ، وإجابته دعوتهم ، فقال : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٢) ..

" وكان خالد الربيعي يقول : عجت لهذه الأمة في ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٣) أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ، وليس بينهما شرط . قال له قائل : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٤) فهذا هنا شرط ، وقوله : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٥) ، فليس فيه شرط العمل ، ومثل قوله : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٦) فهذا هنا شرط ، وقوله : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٧) ليس فيه شرط . وكانت الأمم تفرع إلى أنبيائها في حوائجهم حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك " (٨)

قال الإمام أبو حيان : (وظاهر قوله : ﴿ كَلِمَاتٌ نَادِيَةٌ ﴾ (٩) عموم الدعوات إذ لا يريد دعوة واحدة ، والهاء في دعوة هنا ليست للمرة وإنما المصدر هنا بُني على فعلة نحو رحمة والظاهر عموم الداعي ؛ لأنه لا يدل على داعٍ مخصوص) (١٠)

(١) (سورة غافر - ٦٠)

(٢) (سورة البقرة - ١٨٦)

(٣) (سورة غافر - ٦٠)

(٤) (سورة البقرة - ٢٥)

(٥) (سورة يونس - ٢)

(٦) (سورة غافر - ١٤)

(٧) (سورة غافر - ٦٠)

(٨) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٢ / ١٨٦)

(٩) (سورة البقرة - ١٨٦)

(١٠) البحر المحيط / أبو حيان (٢ / ٤٦)

و قال الإمام ابن كثير: (والمراد من هذا أنه تعالى لا يَحْتَبِ دَعَاءَ دَاعٍ ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء ففيه ترغيب في الدعاء وأنه لا يضيع لديه)^(١)

" وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كحديث أبي هريرة رفعه: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء) صححه ابن حبان^(٢) والحاكم^(٣) ".^(٤)

" ومن فقه عن الله ﷻ قوله: ﴿يَرْوِطُ يَمْكُوتُ﴾^(٥) كيف لا يكون هذا حسبه حتى يعلم أن ملكاً كتب إلى عبد من عبيده " ارفع إليّ حوائجك "؛ لامتلاً سروراً، واثكل على هذا الكتاب، مع أنه عبد مثله لا يقدر على شيء في الحقيقة؛ فهذا كتاب رب العالمين ينطق بأن الله تعالى قال هذا ولم يخرجه مخرج الأمر؛ بل أبرزه في معرض القول؛ فقال: ﴿يَرْوِطُ يَمْكُوتُ﴾^(٦) فمَنْ يعلم حشو ما في هذه الكلمة استشفى به، ثم إذا دعا دعا على يقين من الإجابة ".^(٧)

ولم يقتصر الأمر في القرآن على مجرد الدعاء فقط؛ بل إنه سبحانه أمر عباده بالإلحاح في الدعاء فقال: ﴿إِن يَسْأَلُواكَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَاسْأَلْنِي﴾^(٨) والضرعة: الإلحاح .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي :

(أمر بدعائه (تضرعاً) أي : إلحاحاً في المسألة ...)^(٩)

ومما ينافي الإلحاح استعجال إجابة الدعاء؛ فإن من " أهم آداب الدعاء أن لا يستعجل الداعي في دعوته، فيستحسر ويترك الدعاء، واللائق بالعبد أن يلازم الطلب ولا ييأس

(١) تفسير ابن كثير (٢٢٤ / ١)

(٢) انظر صحيح ابن حبان كتاب الأدعية باب : ذكر البيان بأن دعاء المرء لله جل وعلا من أكرم الأشياء عليه حديث (١٧٠) (١٥١ / ٣)

(٣) كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح حديث (١٨٠١) (١ / ٦٦٦)

(٤) فتح الباري / ابن حجر (١١٤ / ١١)

(٥) (سورة غافر - ٦٠)

(٦) (سورة غافر - ٦٠)

(٧) نوارد الأصول في أحاديث الرسول / الترمذي الحكيم (٤ / ٦٣)

(٨) (سورة الأعراف - ٥٥)

(٩) تفسير السعدي ص ٢٩٦

ولا يستعجل ، فإنَّ العبد لا يعرف المصلحة هل هي في وقوع المطلوب عاجلاً أو في تأخيرها أو في دفع بلاء آخر لا يدره هو أو ادخار الأجر له في الآخرة ؟ وليس ذلك من شأن العبد فعليه أن يكل الأمور إلى عالم الغيب والشهادة ويسأل الله تعالى ، ثم إنَّ الدعاء عبادة عظيمة وليس مجرد قضاء الحاجات السريعة فقط . وقد ورد النهي عن استعجال الدعاء ، وأنَّ ذلك من موانع الإجابة " (١)

فقد روى أبو هريرة **t** أن رسول الله **r** قال : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يُستجب لي) . (٢)

ومعنى الحديث : " أنه يستجاب لأحدكم الدعاء ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال : (فيقول) الداعي (قد دعوت) أي مرة بعد أخرى يعني مرات كثيرة ، أو طلبت شيئاً وطلبت آخر فلم يُستجب لي ، وهو إما استبطاء ، أو إظهار يأس ، وكلاهما مذموم " . (٣)

قال ابن عبد البر : (في هذا الحديث دليل على خصوص قول الله **U** : ﴿ وَمَنْ يَدْعُنِي أَجْبِبْ لَهُ ﴾ (٤) ، وأنَّ الآية ليست على عمومها ألا ترى أنَّ هذه السنة الثابتة خصت منها الداعي إذا عجل ، فقال : قد دعوت فلم يُستجب لي . والدليل على صحة هذا التأويل قول الله **U** ﴿ وَمَنْ يَدْعُنِي أَجْبِبْ لَهُ ﴾ (٥) (أ.هـ) . (٦)

وذكر الزرقاني في شرحه قول ابن بطال :

(١) الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١ / ١٨٤)
(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري . وقد أخرجه البخاري في كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل حديث (٦٣٤٠) . (٤ / ١٩٩٤) .
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل ، فيقول : دعوت فلم يستجب لي . حديث (٢٧٣٥) (٤ / ٢٠٩٥)
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود / لأبي الطيب محمد شمس الحق (٤ / ٢٥٠)
(٤) (سورة غافر - ٦٠)
(٥) (سورة الأنعام - ٤١)
(٦) التمهيد / لابن عبد البر (١٠ / ٢٩٦)

(ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ، ويكون على رجاء الإجابة ، ولا يقنط من الرحمة ، فإنه يدعوا كريماً) . (١)

وما أسرع القنوط إلى قلب من يستعجل إجابة دعوته فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: " لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل " قيل : يا رسول الله ما الاستعجال ؟ قال يقول قد دعوتُ ، وقد دعوتُ ، فلم أرَ يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) (٢)

و لعل الحكمة في المنع من الاستعجال :-

١_ أن ذلك طريق إلى ترك الدعاء ؛ لأنّ هذا القول الصادر عن قلب متضجر ونفس مائلة يؤدي إلى الانقطاع وترك الدعاء ؛ ألا تراه قال في منتهى الحديث : (فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) و الاستحسار كما " قال أهل اللغة : الإعياء والانقطاع عن الشيء ، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَىٰ بَخِيلٍ ذُنُوبِهِمْ وَالْبَخِيلُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ۖ وَهُمْ مُصِرُّونَ ۚ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُلَاقُونَكَ يَوْمَئِذٍ بِالْحَيَاةِ وَأَنفُسِهِمْ يُحْشَرُونَ ۚ ﴾ (٣) أي لا ينقطعون عنها " . (٤)

وقد أبان فضيلة الشيخ السعدي أنّ الانقطاع عن الدعاء يدخل المرء في صنف المعتدين في الدعاء ، وذلك عند بيانه لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ يَدْعُونَ إِلَىٰ بَخِيلٍ ذُنُوبِهِمْ وَالْبَخِيلُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ ۖ وَهُمْ مُصِرُّونَ ۚ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُلَاقُونَكَ يَوْمَئِذٍ بِالْحَيَاةِ وَأَنفُسِهِمْ يُحْشَرُونَ ۚ ﴾ (٥) " أي المتجاوزين للحدّ في كل الأمور ، ومن الاعتداء : كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له ، أو ينقطع في السؤال .. " (٦) فإذا ما انقطع عن السؤال كان قد ترك عبادة من أهم العبادات .. الدعاء " . (٧)

(٧) شرح الزرقاني (٢ / ٤٧)

(١) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول : " قد دعوت فلم يستجب لي " حديث (٢٧٣٥) (٩٢) (٤ / ٢٠٩٦)

(٢) (سورة الأنبياء - ٢٠)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧ / ٢١١)

(٤) (سورة الأعراف - ٥٥)

(٥) تفسير السعدي ص ٢٩٦

(٦) انظر الدعاء ومزله من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١ / ١٨٥)

٢_ المنّ بالدعاء ، و تبخيل الرب الكريم :-

" قال ابن بطّال : المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء ، فيكون كالمأنّ بدعائه ، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للربّ الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء " (١)

٣_ منافاة هذا القول مع إظهار الاستسلام والافتقار لله :

وفي ذلك يقول ابن حجر : " وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء ، وهو أنه يلزم الطلب ، ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار ، حتى قال بعض السلف : لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة " . (٢)

٤_ " أن الاستعجال والتضجر من التأخر فعل من له حقّ عند آخر يقتضيه ؛ وليس لأحد من الله حقّ حاصل عنده متأخر عنه فيستعجل به ويتضجر من تأخره ، مع أن إجابة الدعاء فضل من الله تعالى على العبد الداعي يعطيه إذا شاء تفضلاً وتكرماً ، ولكنه يعطيه في الوقت المناسب على الوجه المناسب الذي يريده هو لا على ما يريده العبد " (٣) " وهل استعجال العبد إلا من قلة فقهه لا يعي أن ربه قد خار له حين يأتي وقته فيعطيه أكثر ممّا سأل " . (٤)

وقال بعضهم : " لا يكن تأخر أمدّ العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك ، فهو الذي ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد " (٥)

٥_ قنوط الداعي وضعف يقينه وتسخطه ؛ مما يمنع من إجابة دعوته .

ففي الحديث : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يُستجب لي) (٦)

(١) فتح الباري / لابن رجب (١١ / ١٦٩)

(٢) المرجع السابق (١١ / ١٧٠)

(٣) انظر الدعاء ومترلته من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١ / ١٨٦)

(٤) نواذر الأصول / للحكيم الترمذي (٤ / ٦٤)

(٥) الحكم العطائية مع شرحها غيث المواهب العلية / لابن عطاء ص ٦٤

(٦) سبق تخريجه ص ١٣٠

" قال الباجي يحتمل أن يريد بقوله (يستجاب) الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة أي تحقق وقوعها ، أو الإخبار عن جواز وقوعها ؛ فإن أُريد الوجوب فهو بأحد ثلاثة أشياء : تعجيل ما سألته ، أو يكفر عنه به ، أو يدخر له ، فإذا قال قد دعوت فلم يُستجب لي بطل وقوع الإجابة وعَرِيَّ الدعاء { من جميعها } ، وإن أُريد به الجواز فيكون بفعل ما دعا به ومنعه من قوله : (دعوت فلم يُستجب لي) ؛ لأنه من ضعف اليقين والتسخط " . (١)

و إلى ذلك المعنى يشير ابن حجر فيما نقله عن العلماء حيث قال :
 " قال الداوودي : يخشى على من خالف وقال : قد دعوت فلم يُستجب لي أن يُحرم الإجابة وما قام مقامها من التكفير أو الادخار " . (٢)
 وهو بذلك يشير إلى حديث أورده في بدء كتاب الدعوات أخرجه الحاكم في مستدرکه وصححه :

عن أبي سعيد الخدري **t** أن رسول الله **r** قال : (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : - إما أن يُعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها " (٣) (٤) .
 " فهو يستدل بذلك على أن دعوة المؤمن لا ترد . ثم ذكر قول ابن الجوزي : " اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد ؛ غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة ، أو يعوّض بما هو أولى عاجلاً أو آجلاً " . (٥)
 قال المظهري :

" ومن له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاؤه ؛ لأنّ الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل ؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يملّ من العبادة وتأخير الإجابة " (٦)

(١) شرح الزرقاني (٤٨ / ٢)

(٢) فتح الباري / ابن حجر (١٧٠ / ١١)

(٣) حديث رقم (١٨١٦) كتاب الدعاء والتكبير والتنهيل والتسيح والذكر (١ / ٦٧١)

(٤) فتح الباري / ابن حجر (١٧٠ / ١١)

(٥) المرجع السابق (١٧٠ / ١١)

(٦) شرح الزرقاني (٤٨ / ٢)

٦ _ " وقد يكون في تأخير القبول إلحاح العبد ومبالغته في الدعاء، فإنَّ الله يحب الملحين في الدعاء ، مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار . ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يُفتح له ، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له " (١)

" وروي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا دعا العبد قال الله تعالى : يا جبرائيل احبس حاجة عبدي فيني أحبّ صوته ، وقد أجبتة إلى ما سألت) ، ومن فقه هذا لم يستبطئ إجابته ولم يستعجل ربه " (٢)

هذا ومما ينبغي التفطن له أنه ليس من معنى الاستعجال : سؤال الداعي ربه أن يعجل له الإجابة . (٣)

(١) شرح الزرقاني (٤٨ / ٢)

(٢) نوادر الأصول / للحكيم الترمذي (٦٤ / ٤)

(٣) انظر تحفة الذاكرين / ص ٥٠

العجلة بقراءة القرآن
و بيانه

" لأنه كان إذا نزل عليه شيء عجل به يريد حفظه من حبه إياه ، فقليل له : لا تعجل فإثماً سنحفظه عليك " (١) وهو مراد عامر الشعبي من قوله : " إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له ، وحلاوته في لسانه ، فنهى عن ذلك حتى يجتمع ؛ لأن بعضه مرتبط ببعض " . (٢)

فسبب عجلته - U - به - على هذا القول : مزيد حبه - R - وحرصه . (٣)

٣ - شدة حرصه وكمال اعتناؤه بالقرآن (تلقياً وحفظاً) :-

فقليل له U : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَزَلَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ فَاقْرَأُوهُ سَلِيحًا وَعَجِلُّوا بِهِ حَتَّى يُبَيِّنَ لَكُمُ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ كَلِمَاتٍ لَمْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَكُمْ وَكُنْتُمْ تَكْفُرُونَ » (٤) .

لأنه كان - R - إذا ألقى جبريل - U - الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة ، لكمال اعتناؤه بالتلقي (٧) وشدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله إلى ما ينبغي فنهاه عن العجلة بقراءة القرآن مع جبريل ؛ بل أمره أن يُنصت لقراءة جبريل حتى ينتهي ثم يقرؤه هو بعد ذلك ، فإن الله يبسر له حفظه . (٨)

فالمولى عز وجل تكفل بحفظه في صدر الرسول R قال تعالى: " إِنْ شِئْنَا لَنُنزِّلَنَّكَ فِي الْقُرْآنِ نِسْرًا يُعْزِمُكَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ " (١)

« إِنْ شِئْنَا لَنُنزِّلَنَّكَ فِي الْقُرْآنِ نِسْرًا يُعْزِمُكَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ » (١) جمعه في صدرك ونقرأه ، « إِنْ شِئْنَا لَنُنزِّلَنَّكَ فِي الْقُرْآنِ نِسْرًا يُعْزِمُكَ وَاللَّهُ يَخْتَارُ » (٢) فاستمع له و أنصت (٣) .

(٣) تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٧)

(٤) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٩ / ٦٩)

(٥) روح المعاني / الألويسي (٢٩ / ١٤١)

(٦) (سورة القيامة - ١٦)

(٧) تفسير أبي السعود (٦ / ٤٤)

(٨) أضواء البيان الشنقيطي (٤ / ١٠٢)

(١) (سورة القيامة - ١٧)

(٢) (سورة القيامة - ١٨)

(٣) الاستماع: الإصغاء. والإنصات: السكوت، فقد يستمع ولا ينصت فلهذا اجمع بينهما. انظر: الديباج

(٢ / ١٥٨)

« إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷻ - بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا

أَتَاهُ جَبْرِيلُ اسْتَمَعَ ، فَإِذَا انْطَلَقَ جَبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ - ﷻ - كَمَا قَرَأَهُ . » (٥)

و فِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّنْقِيطِيُّ... " فِيهِ النَّهْيُ عَنِ تَحْرِيكِ لِسَانِهِ ﷻ ، وَبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ جَمْعُهُ وَقِرْآنُهُ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ﷻ كَانَ لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى اسْتِيعَابِ مَا يُوحَى إِلَيْهِ يَحْرِكُ لِسَانَهُ عِنْدَ الْوَحْيِ فَنُهِىَ عَنِ ذَلِكَ .

وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى مَدَى هَذَا النَّهْيِ ، وَمُدَّةَ هَذِهِ الْعَجَلَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

« (٦) »

وَفِيهِ الْإِيْمَاءُ إِلَى حَسَنِ الاسْتِمَاعِ وَالْإِصْغَاءِ عِنْدَ الْإِيْحَاءِ بِهِ كَمَا فِي آدَابِ

الاسْتِمَاعِ « (٧) » (٨) .

فَالنَّهْيُ عَنِ الْعَجَلَةِ بِالْقُرْآنِ جَاءَ فِي آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ تَعَالَى :

« (١) »

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ :

« (٢) »

(٤) (سورة القيامة - ١٩)

(٥) أضواء البيان / الشنقيطي (٤ / ١٠٢) وما ورد جزء من حديث سبق تخريجه ص ١٣٧ حاشية (٢)

(٦) سورة طه (١١٤)

(٧) سورة الأعراف (٢٠٤)

(٨) أضواء البيان (٨ / ٣٧٤)

(١) سورة طه (١١٤)

(٢) (سورة القيامة - ١٦ - ١٩)

وبين سبحانه أنه سيثبتته في صدره فلا ينساه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾ (٦)

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾ (٤) لتقرأه على الناس على تؤدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في

تلاوته فلا يفهم عنك. (٥)

فما الذي نهي الله نبيه ﷺ عن العجلة به . أهو لفظه أم بيانه أم تعجيل كتابته ؟ أم

تعجيل الوحي ذاته ؟ .

وهل النهي عن العجلة بالقرآن أثناء نزول جبريل - U - به ، أم هو نهي عن العجلة

به في سائر أحواله ؟ وما سرّ ورود النهي عن العجلة بالقرآن في معرض الحديث عن

القيامة قبل آية النهي وبعدها ؟

هذا ما سنعرفه في طيات هذا المطلب ونجيب عنه .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهَوْنَ ﴾ (١)

فإنه عز وجل يأمر نبيه ﷺ بعدم التعجل في حفظ القرآن الكريم ومذاكرته مع

جبريل - U - .

ومعلوم أنّ الرسول - ﷺ - إنما كان يفعل ذلك _ من مسابقة الملك في

تلوّف الوحي _ بدافع الشوق إلى الذكر الحكيم الذي يأتي علاجاً ناجحاً للمسلمين

فيما يحتاجون إليه في العبادات والمعاملات. (٢) ومع ذلك نُهي عن العجلة به وإن كان

دافع العجلة وسببها محموداً .

(٢) (سورة الأعلى - ٦)

(٤) (سورة الإسراء - ١٠٦)

(٥) تفسير الطبري (١٥ / ١٧٩)

(١) (سورة القيامة - ١٦)

(٢) الهدي الإسلامي للغرائز عند الإنسان / د. / الزيد ص ٢٤

وقد نماه الله عن ذلك وبيّن له الطريقة المثلى في ذلك بأن يستمع لجبريل وينصت ثم إذا فرغ يقرأه ، ووعده الله بأن يجمعه في صدره ويثبته في قلبه ؛ فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا فرغ قرأ كما قرأه .

والمولى إذ ينهى رسوله _ ر _ عن ذلك ليس من باب ذم فعّاله _ U _ إنما "رحمة" به وشفقةً لما كان يلاقيه من الشدة " (١) ودلالة له ولأتمته إلى خلق أتم وأدب جمّ يحصل منه السماع والحفظ ، والإنصات والضبط . فهو نهي عن أمرٍ إلى ما هو أكمل وأتمّ منه وتعليم له ولأتمته من بعده؛ إذ هو المبلّغ للشريعة عند ربّ العزة جلّ وعلا.. وإذا كان النهي ورد في حقّ القرآن فغيره من العلوم أولى، وإذا نُهي عن ذلك المصطفى فسواه من أتمته بالنهيّ أولى.

والسؤال الذي يطرح نفسه:

ما الذي عفا الله _ عز وجل _ نبيّه _ ر _ عن العجلة به ؟ ومتى كان ر يتعجّل بالقرآن ؟

أكان ذلك أثناء نزوله أم في عامة أحواله ؟ ..

أما عن زمن تعجّله بالقرآن ..

فقد ورد عن جماعة من المفسرين قولان:-

القول الأول: أنه كان ر يتعجّل بقراءة القرآن أثناء نزول الوحي عليه بواسطة جبريل _ U _ ، فقد كان ر كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله إلى ما هو الأسهل والأخفّ في حقّه؛ لئلا يشق عليه (٢) ، وهو معنى قوله عز وجل:

»ISSSEW (٣)

(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٩ / ٣٢٥)

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١٧٥)

(٢) (سورة طه _ ١١٤)

كما أن التصريح في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ إِسْمِعُوا بَأْسَ رَبِّكِ بِمِصْرَ اللَّيْلِ إِسْمَعُوا وَأَصْحَكُم بَصَرٌ﴾ (١) كان عن تحريك لسانه أثناء نزول الوحي عليه . (٢)

القول الثاني: أن ذلك كان في سائر أحواله _ عليه الصلاة والسلام _ ؛ حيث " كان يكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه " (٣) **لكن القول الراجح** _ والله أعلم _ هو ما رجّحه الإمام الطبري (٤) _ رحمه الله _ بعد أن أورد القولين فقال:

" وأشبهه القولين بما دلّ عليه ظاهر التزليل القول الذي ذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؛ وذلك أن قوله ﴿يَوْمَ إِسْمِعُوا بَأْسَ رَبِّكِ بِمِصْرَ اللَّيْلِ إِسْمَعُوا وَأَصْحَكُم بَصَرٌ﴾ (٥) ينبئ أنه إنما نُهي عن تحريك اللسان به متعجلاً فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكّر إنما تكون من النبي ﷺ من بعد جمّع الله له ما يدرس من ذلك. وقوله ﴿يَوْمَ إِسْمِعُوا بَأْسَ رَبِّكِ بِمِصْرَ اللَّيْلِ إِسْمَعُوا وَأَصْحَكُم بَصَرٌ﴾ (٦) إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى تثبته فيه . وقرآنه: حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك. " (٢) أما عن كونه كان يستذكر القرآن مخافة أن ينساه؛ فقد ضمّن الله له ذلك، قال تعالى: ﴿يَوْمَ إِسْمِعُوا بَأْسَ رَبِّكِ بِمِصْرَ اللَّيْلِ إِسْمَعُوا وَأَصْحَكُم بَصَرٌ﴾ (٣) فأخبر الله نبيه ﷺ أن يحفظ عليه القرآن ونهاه عن أن يعجل بقراءته. " (٤)

فتبيّن ممّا سبق أن الله نهي نبيه عن العجلة بالقرآن أثناء نزول الوحي عليه ، فما المنهي عن أن يعجل به من القرآن _ عليه الصلاة والسلام _ أقرأته ، أم بيانه ، أم ماذا ؟

(٣) (سورة القيامة _ ١٦)

(٤) انظر أضواء البيان / الشنقيطي (٨ / ٣٧٤)

(٥) تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٨)

(٦) سبقت ترجمته ص ٤٢

(٧) (سورة القيامة _ ١٧)

(١) (سورة القيامة _ ١٧)

(٢) تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٨)

(٣) (سورة الأعلى _ ٦)

(٤) تفسير الطبري (٣٠ / ١٥٤)

ذكر المفسرون عدة أقوال .. أهمها :-

- (١) لا تعجل بقراءته مع جبريل _ U _ من قبل أن يُتم جبريل تبليغه لك، وقد كان R إذا ألقى جبريل عليه القرآن يتبعه حين يتلفظ بكل حرف ، وكل كلمة خوفاً أن يصدُر جبريل _ U _ ولم يحفظه ؛ فنهى عن ذلك ؛ إذ ربما يشغله التلفظ بالكلمة عن سماع ما بعدها. (٥)
- (٢) لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يُقضى إليك وحيه، فإذا قضينا إليك وحيه فتكلم به. (٦)

و الفرق بين هذا القول وسابقه:

أنَّ الأوَّل: نهيٌ عن محاكاة جبريل والترديد خلفه، لئلا يختلط السماع بالأداء. أمَّا الثاني: فنهى عن أن يقرأه على الناس قبل أن يتمَّ الوحي تماماً وينقضي، ودافع هذا حرصه على تبليغ أمته، وربما كان ذلك ردّاً على سؤال سائل. . والله أعلم .

(٣) لا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك وإنما اقرأه على تؤدة ورتله وبيّنه (١)؛ لأنَّ عجلة التلاوة تُذهب بمعانيه، وليتمكن من تقراء عليهم من سماع القرآن ومعرفته وفهمه .

و المصطفى R أمرَ بعدم العجلة بتلاوة القرآن ليس لأمته ومن يسمعه منه ؛ إنّما حتى لو كان ذلك بينه وبين ربه في الصلاة وغيرها ..

قال تعالى: ﴿يَتْلُوهُ سَوِيًّا﴾ (١) ﴿يَتْلُوهُ سَوِيًّا﴾ (٢) . إلى قوله: ﴿يَتْلُوهُ سَوِيًّا﴾ (٣) .

"اقرأه بتؤدة، (٣) وتأنّ، و تمهّل ؛ فإنّه أعون على فهمه وتدبره " (٤) .
وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت (حفصة) (١) _ y _ :-

(٥) تفسير المراغي (٦ / ١٣٠)

(٦) تفسير الطبري (٢٩ / ١٨٨)

(١) تفسير الطبري (١٥ / ١٧٩)

(٢) (سورة المزمل ١ - ٤)

(٣) الطبري (٢٩ / ١٢٦) قال ابن حجر : (ورد عن السلف تفسيرها فعند الطبري بسند صحيح عن مجاهد ..)

يريد : تؤدة . انظر فتح الباري (٩ / ٨٩)

(٤) ابن كثير (٤ / ٤٢٥)

" كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها (٦) " (٧)
 و قد حرص الصحابة والسلف على التآني في قراءة القرآن وعدم العجلة به، تطبيقاً لأمر
 الله، وتأسياً بسنة رسول الله ﷺ .

فقد أخرج مسلم^(١) عن حذيفة^(٢) _ t _ قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة
 فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية
 فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ " (٣)
 لذا أنكر ابن مسعود^(٤) على رجل سرعته في القراءة حين قال: " قرأت المفصل
 البارحة ، فقال عبد الله _ t _ : هذا كهذا الشعر إننا قد سمعنا القرائن ، وإنّي لأحفظ
 القرائن التي يقرأ بها النبي ﷺ ثمانية عشرة سورة من المفصل ، و سورتين من آل حم " . (٥)

(٥) حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم طلقها فاتاه جبريل
 فقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة، فإنها صوامة قوامة فراجعها. قال الواقدي : وتوفيت في شعبان سنة
 خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة. وقيل: ماتت في خلافة عثمان بالمدينة . انظر : أسد
 الغابة ٧ / ٦٥ . الإصابة ١٢ / ١٩٧ . شذرات الذهب ١ / ٥٢ . سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٢٧)

(٦) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً حديث (٧٣٣) (١ / ٥٠٧)

(٧) تفسير المراغي (٦ / ٢٣٤)

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أبو الحسن الإمام الحافظ صاحب الصحيح ، أحد الأئمة
 الحفاظ صنف الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، له العلل والتميز والأسماء والكنى وغيرها. مات في رجب
 سنة ٢٦١ هـ. انظر: طبقات الحفاظ ص ٢٦٠

(٢) من نُجباء أصحاب رسول الله ﷺ . وهو صاحب سره ﷺ . ابن جابر العيسى اليماني ، أبو عبد الله . حليف
 الأنصار ، من أعيان المهاجرين . له في الصحيحين اثنا عشر حديثاً ، شهد أُحداً ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمّار .
 ولي إمرة المدائن لعمر ، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان ، وثوفي بعد عثمان بأربعين ليلة . ندبه رسول الله ﷺ ليلة
 الأحزاب ليحسب له خبر العدو . وعلى يده فُتح الدِّيْنور عتوة . مات حذيفة بالمداين سنة ست وثلاثين ، وقد شاخ .
 (انظر : أسد الغابة (١ / ٤٦٨) ، الإصابة (٢ / ٢٢٣) ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٦١))

(٣) كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل . حديث رقم (٧٧٢) (١ / ٥٣٦)

(٤) عبد الله بن مسعود بن الحارث بن عاقل أبو عبد الرحمن الهذلي المكي ، من كبراء الأصحاب وأخذ القرآن عن
 رسول الله ، وحفظ من في رسول الله سبعين سورة . كان من السابقين الأولين ومن مهاجري الحبشة ، شهد بدرًا ،
 واحتز رأس أبي جهل فأتى به النبي ﷺ كان أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، كان من نبلاء الفقهاء ،
 ومن أوعية العلم وأئمة الهدى . مات بالمدينة آخر سنة اثنتين وثلاثين وله نحو (٦٠) سنة ، دفن بالبقيع t .

انظر :- (أسد الغابة (٣ / ٣٨٤) والإصابة (٢ / ٣٦٠) ، وطبقات المفسرين (١ / ٤) ومعرفة القراء الكبار
 (١ / ٣٢))

وقرأ علقمة (١) على عبد الله (٢) _ وكان حسن الصوت _ فقال : " رتل فداك أبي وأمي ؛ فإنه زينٌ للقرآن " (٣)
قال ابن مفلح (٤) :
" أقلّ الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة " (٥) وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها (٦) .

و في أهمية الترتيل، وترك العجلة بقراءة القرآن يضرب الإمام ابن حجر مثلاً رائعاً فيقول:
" إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة مثمّنة ، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة ، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات ، وقد يكون بالعكس .. " (٧) أ.هـ .

(٥) متفق عليه . أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب الترتيل في القراءة ، حديث (٤٧٥٦) (١٩٢٤ / ٤)
ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب ترتيل القراءة واجتناب الهدّ وهو الإفراط في السرعة . وجاء في رواية مسلم أن الرجل هو (نهيك بن سنان) حديث (٨٢٢) (٥٦٤ / ١)
(١) علقمة بن قيس ابن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي الكوفي ، ولد في حياة النبي ﷺ وقرأ القرآن على ابن مسعود وسمع من عمر وعلي وعائشة ، وروى عنه إبراهيم بن سويد وغيره . وكان أشبه الناس بابن مسعود سمتاً وهدياً وعلماً وكان أعرج من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وقال علقمة قرأت القرآن في سنتين (حفظاً) ، وكان يقرأ القرآن في خمس وقد قام بالقرآن في ليلة عند البيت توفي سنة (٦٢) وقيل (٦١) وقيل غير ذلك .
(انظر : معرفة القراء الكبار (١ / ٥١) ، (طبقات الحفاظ / السيوطي ص ١٢) .

(٢) أي : ابن مسعود ، سبق ترجمته ص ١٤٥

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى باب كيف قراءة المصلي ، حديث (٢٢٥٩) (٥٤ / ٢) وابن أبي شيبة في مصنفه ، باب في قراءة القرآن ، حديث (٨٧٢٤) (٢٥٥ / ٢)
(٤) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٣ له مؤلف جليل : (الآداب الشرعية والمصالح المرعية) يقع في مجلدين وله الفروع في الفقه الحنبلي أجاد فيها وأحسن على مذهبه .
(انظر : كشف الظنون (١ / ٤٢) (١٢٥٦ / ٢) .

(٥) { وهذا القول قول الشافعي انظر : سنن البيهقي الكبرى باب كيف قراءة المصلي (٥٢ / ٢) }

(٦) الآداب الشرعية (٢ / ٢٩٧) .

(٧) فتح الباري (٩ / ٨٩) .

قال الدكتور خالد اللاحم : " والصحيح أن من أسرع فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن وهو : ثواب القراءة ، ومن رتل وتأمل فقد حقق المقاصد (١) كلها وكَمَلَ انتفاعه بالقرآن ، واتبع هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام _ رضوان الله عليهم _ . "

(٤) لا تعجل في كتابه وإملائه :

فعن مجاهد **t** _ في قوله: ﴿لَا تَجْرِي فِي سَبِيلِهِ مِثْلُ شَذْوَانٍ﴾ (٢) قال : " لا تمله على أحد حتى تتمه لك " (٣) .

فَعُوْتُبَ عَلَى إِكْتَابِهِ وَإِمْلَائِهِ مَا كَانَ اللَّهُ يَنْزِلُهُ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابَةٍ مِنْ كَانَ يَكْتُبُهُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبِينَ لَهُ مَعَانِيهِ " لا تتله على أحد ولا تمله عليه حتى نبينه لك " (٤) .

(٥) لا تعجل ببيانه :- أخرج ابن الجعد (٥) في مسنده (٦) عن شعبة (٧) قال: (سألت

عُقَاةَ **u** (٨) عن قوله **U** : ﴿لَا تَجْرِي فِي سَبِيلِهِ مِثْلُ شَذْوَانٍ﴾

(١) (قراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد : هي " الثواب ، والمناجاة والمسألة ، الشفاء ، والعلم ، والعمل " فمتى قرأ القرآن مستحضراً المقاصد الخمسة معاً كان انتفاعه بالقرآن أعظم ، وأجر أكبر ، وهذه المقاصد مجموعة في قولك: (ثم شع) (انظر : مفاتيح تدبر القرآن / د. اللاحم ص ٢٥)

(٢) (سورة طه - ١١٤)

(٣) تفسير الطبري (١٦ / ٢٢٠) ، و كذا أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عنه به .

(٤) تفسير الطبري (١٦ / ٢٢٠)

(٥) علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي روى عن شعبة وخلق وروى عنه أحمد ، والبخاري ، وأبو داود، وخلق .. مات سنة ثلاثين ومائتين عن ست وتسعين سنة وأشهر. انظر: طبقات الحفاظ (١ / ١٧٨) ، لسان الميزان (٧ / ٣١٠) .

(٦) (١ / ١٥٧)

(٧) شعبة بن الورد العتكي الأزدي مولاهم أبو بسطام الواسطي . الحافظ العلم ، أحد أئمة الإسلام . نزل البصرة ورأى الحسن وابن سيرين وخلق . روى عنه الأعمش وخلق . له نحو ألفي حديث . قال سفيان : شعبة أمير المؤمنين في الحديث . أول من فتن في العراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، ولد سنة اثنتين وثمانين ومات سنة ستين ومائة. انظر : الشذرات ٢٤٧/١ . طبقات الحفاظ ص ٨٣ . و طبقات المفسرين (١ / ٦٢) .

(٨) قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ ، أبو الخطاب ، أخذ القرآن ومعانيه ، وروى عن أنس بن مالك وعن غيره . قال أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة . كان من العلماء . اهتمه أناس بالقدر . ولد سنة ستين ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة. انظر : الشذرات ١٥٣/١ . طبقات الحفاظ ص ٤٧ . طبقات المفسرين (١ / ١٤) .

﴿سورة طه﴾ (١) قال : يتبين لك بيانه) . (٢)

و مثله (٣) عن ابن عباس.

و جاء في تفسير مجاهد (٤): (لا تتله على أحد حتى نبيّن له ك). (٥)

فإنّ U نهي نبيه _ ر _ عن العجلة بالقرآن حتى يتبين له بيانه، فالمراد ببيانه ؟
بيان معانيه :

" و لا تعجل يا محمد بقراءة القرآن على أصحابك من قبل أن يُوحى إليك بيان معانيه،
فلا تتله على أحد حتى نبيّن له ك) (٦)، وعلى هذا التأويل يكون قضاء
الوحي تمام معانيه " (٧)، ويكون المراد بالبيان في قوله تعالى: $\text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي} - \text{وَمَا يَرَىٰ أَكْبَرًا} - \text{وَمَا يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ}$ -

$\text{وَمَا يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} - \text{وَمَا يَرَىٰ أَكْبَرًا} - \text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي} (1) \text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي} (1) \text{وَمَا يَرَىٰ أَكْبَرًا} - \text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي}$

﴿سورة طه﴾ (٨) « بيان ألفاظه وليس بيان معانيه ؛ لأنّ بيان

معانيه ملازم لورود ألفاظه " (٩) ، فالحقّ وعد نبيه ر بيانه : ﴿سورة طه﴾

" أيّ علينا أن نترّله قرآناً فيه بيان للناس " (١٠)

فالحقّ وعد (وعليه) فقوله تعالى : $\text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي} - \text{وَمَا يَرَىٰ أَكْبَرًا} - \text{وَمَا يَسْمَعُ أَصْفَىٰ مِنِّي}$

﴿سورة طه﴾ (١١) أراد به بيانه للناس...

(١) (سورة طه - ١١٤)

(٢) وكذا أخرجه عن قتادة عبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

(٣) انظر : (الدر المنثور / السيوطي (٥ / ٦٠٢)

(٤) سبقت ترجمته ص ١٠٦

(٥) (٤٠٣ / ١)

(٦) تفسير الطبري (١٦ / ٢٢٠)

(٧) التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٦ / ١٨٩)

(٨) (سورة القيامة - ١٦ - ١٩)

(٩) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٩ / ٣٢٥)

(١٠) تفسير الواحدي (٢ / ١١٥٤)

(١١) (سورة طه - ١١٤)

و لقاتل أن يقول: ظاهر ذلك للمنع من تعجيل نفس القرآن لا بيان ما هو المراد منه؛ لما فيه من الإضمار المخالف للأصل.

و إنما منعه من تعجيل القرآن أي من تعجيل أدائه عقب سماعه؛ حتى لا يختلط عليه السماع^(٢) بالأداء^(٣)؛ وإلا فلو أراد به البيان، لما منعه عنه بالتّهي، للاتفاق على أنّ تعجيل البيان بعد منهيّ عنه " (٤) .

﴿سورة البقرة﴾ : بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه " (٥) .

(٢) نهي عن تبليغ ما كان مُجْمَلًا قبل أن يأتي بيانه: - (٦)

و ردّ هذا القول الإمام الألوّسي وعلّل ذلك: " بأنّ تبليغ الجمّل وتلاوته قبل البيان ممّا لا ريب في صحته ومشروعيته " (٧) .

" وقد احتجّ بقوله تعالى: ﴿سورة البقرة﴾ (٨) بعض العلماء الذين يرون جواز تأخير البيان عن المبيّن متمسكين بأنّ (ثمّ) للتراخي؛ وهو متمسك ضعيف؛ لأنّ التراخي الذي أفادته (ثمّ)، إنّما هو تراخٍ في الرتبة لا في الزمن، ولأنّ (ثمّ) قد عطفت مجموع الجملة ولم تعطف لفظ (بيانه) خاصّة، فلو أريد الاحتجاج بالآية؛ للزم أن يكون تأخير البيان^(١) حقًا لا يخلو عنه البيان^(٢)؛ وذلك غير صحيح" (٣).

(٦) لا تعجل بالحكم :

(٢) (عن اللحياني - السماع كله الذكر المسموع الحسن الجميل ... وكل ما التذّته الأذن من صوتٍ حَسَنٍ سماع ..) انظر: لسان العرب / لابن منظور (٨ / ١٦٥) مادة (سمع) .

(٣) (الأداء: هو ما يؤديه الإنسان على الوجه الذي أمر به . انظر: مختصر تعريفات الجرجاني ص(١١)) .

(٤) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٩ / ٣٢٥)

(٥) الأحكام / الأمدي (٣ / ٣٩)

(٦) تفسير أبي السعود (٦ / ٤٤)

(٧) روح المعاني / الألوّسي (١٦ / ٢٦٦)

(٨) (سورة القيامة - ١٩)

(١) أي المعنى .

(٢) أي اللفظ .

(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٩ / ٣٢٥)

"فَالْتَهَىٰ فِي : (لا تعجل) نهي عن الحكم بما من شأنه أن يتزل فيه قرآناً^(٤)، بناءً على ما أخرجه جماعة^(٥) عن الحسن " أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلمس القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص ، فتزلت : $\frac{OwAVV,wwV}{4}$ القرآن :

«^(٧) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أردنا أمراً وأراد الله غيره)^(٨) .
(٧) لا تستعجل الوحي :

وهذا الاستعجال المنهي عنه على نوعين :

(١) استعجال الوحي في قضية معينة .

قال الماوردي : إنه نهي عن العجلة بطلب نزوله ، وذلك أن أهل مكة و أسقف بجران قالوا :

يا محمد اخبرنا عن كذا، وقد ضربنا لك أجلاً ثلاثة أيام فأبطأ الوحي عليه ، وفشت المقالة بين اليهود ، وزعموا أنه - عليه الصلاة والسلام - قد غلب ، فشق ذلك عليه - صلى الله عليه وسلم - ، واستعجل الوحي ، فتزلت : (ولا تعجل) .^(١)
(٢) استعجال الوحي عامة :

رغبة في الإكثار من نزول القرآن، إسرعاً بعظة الناس وصلاحهم، فالمنهي عنه هو سؤال التعجيل أو الرغبة الشديدة في النفس التي تُشبه الاستبطاء لا مُطلق مودة الازدياد، فقد قال

^(٤) روح المعاني / الألوسي (٢٦٨ / ١٦)

^(٥) أخرجه الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كلهم عن الحسن : الدر المنثور (٥١٣ / ٢)

^(٦) (سورة طه - ١١٤)

^(٧) (سورة النساء - ٣٤)

^(٨) الدر المنثور (٥١٣ / ٢)

^(١) روح المعاني / الألوسي (٢٦٨ / ١٦)

النبي ﷺ في شأن قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - : "وددنا لو أن موسى صبر حتى يقصّ الله علينا من أمرهما أو من خبرهما" (٢) . (٣)

وقد أشكلت مناسبة: $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{4}$ - $\frac{1}{4}$ ، $\frac{1}{4}$ - $\frac{1}{4}$ ، « لما قبلها ؛ فاجتهد

الأئمة في معرفة المناسبة، قال الإمام السيوطي :

" ووجه مناسبتها لأول السورة وآخرها عسرٌ جداً ؛ فإنَّ السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء، وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي^(٤) أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله: { $\frac{1}{4}$ } (٥) قال يعرض عليه كتابه فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفاً، فأسرع في القراءة. فيقال له: { لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا } أن نجتمع عملك، وأن نقرأ عليك ، { فإذا قرأناه عليك، فاتبع قرآنه } بالإقرار بأنك فعلت { ثم إن علينا بيانه } أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته . انتهى. وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح أنها نزلت في تحريك النبي لسانه حالة نزول الوحي عليه.

وقد ذكر الأئمة لها مناسبات: منها: أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة، وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه، وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه، والتشاغل بالحفظ قد يصدُّ عن ذلك، فأمر بالألّا يُبادر إلى التحفظ، لأن تحفيظه مضمون على ربه وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه. ثم لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلق بالإنسان المبتدأ بذكره، ومن هو من جنسه فقال: كلا، وهي كلمة ردع، كأنه قال : بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة .

(٢) أخرجه البخاري كتاب التفسير، باب (فلما جاوزا قال لفتاه) ، حديث (٤٧٥٦) (٤ / ١٧٥٧)

(٣) التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٦ / ١٨٩)

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن علي فخر الدين الرازي القرشي الشافعي المفسر المتكلم، كان فريد عصره، أتقن كثيراً من العلوم، وصنّف بها، توفي يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ . انظر: طبقات المفسرين/الداوودي(٢/٢١٥).

(٥) (سورة القيامة - ١٣)

ومنها أن عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة، أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدينية في الدنيا، التي تنشأ عنها المحاسبة عملاً وتركاً كما قال **U** في الكهف ¼ ووضع الكتاب فترى الجرمين مشفقين مما فيه إلى أن قال ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل» ^(١) الآية وقال في سبحان ¼ فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم إلى أن قال ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن» ^(٢) الآية وقال في طه ¼ يوم ينفخ في الصور ونحشر الجرمين يومئذ زرقاً إلى أن قال فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه» ^(٣)

و منها: أن أول السورة لما نزل إلى: ¼ ولو ألقى معاذيره» ^(٤) صادف أنه في تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذي نزل، وحرّك به لسانه من عجلته، خشية من تغلّته فتزل: ¼ لا تحرك به لسانك لتعجل به إلى قوله ثم إن علينا بيانه» ^(٥) ثم عاد إلى الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به .

قال الفخر الرازي: ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب مثلاً مسألة فتشاغل الطالب بشيء عرض له فقال له: ألقى إليّ بالك وتفهمّ ما أقول ثم كملّ المسألة، فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسباً للمسألة بخلاف من عرف ذلك.

ومنها: أن النفس لما تقدم ذكرها في أول السورة، عدل إلى ذكر نفس المصطفى **e** كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الأحوال ^(١). ومن ذلك قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ} ^(٢)، فقد يقال: أي رابط بين أحكام الأهلة، وبين حكم إتيان البيوت؟ وأجيب بأنه من باب الاستطراد لما ذكر أنّها مواقيت للحج، وكان هذا من أفعالهم في الحج، كما ثبت في سبب نزولها ذكر معه من باب

(١) الآيات (٤٩ - ٥٤)

(٢) الآيات (٧١ - ٨٩)

(٣) الآيات (١٠٢ - ١١٤)

(٤) سورة القيامة - (١٥)

(٥) سورة القيامة (١٦ - ١٩)

(١) الإيتقان/ السيوطي (٢ / ٢٩٤)، انظر: فتح الباري / ابن حجر (٨ / ٦٨٠) وما بعدها .

(٢) سورة البقرة: (١٨٩)

الزيادة في الجواب على ما في السؤال، كما سُئل عن ماء البحر، فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته. أهـ (٣)

" فقوله تعالى : ﴿لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُدُودًا لِلنَّاسِ سُدُودًا﴾ (٤) » قد اكتنفه من جانبيه

قوله تعالى : ﴿لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُدُودًا لِلنَّاسِ سُدُودًا﴾ (٥) وقوله :

﴿فَهَذَا مِنْ بَابِ قَوْلِكَ لِلرَّجُلِ ، وَأَنْتَ

تحدثه بحديث ، فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر، أقبل علي واسمع ما أقول وافهم عني، ونحو هذا الكلام، ثم تصل حديثك فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول قاطعاً له، وإنما يكون به مشوقاً للكلام. وكان رسول الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن، حرّك لسانه بذكر الله ، فقيل له: تدبّر ما يوحى إليك، ولا تتلفه بلسانك ، فإنما نجّمه لك ، ونحفظه عليك " . (٧)

ومنها : أنّها تضمّت التأني والتثبت في تلقي العلم، وأن لا يحمل السامع شدة محبته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه، ل من آداب الرب U التي أدب بها نبيه e أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل من قراءته ثم يقرأه بعد فراغه عليه. فهكذا ينبغي لطالب العلم لسامعه أن يصبر على معلمه، حتى يقضي كلامه ، ثم يعيده عليه أو يسأل عما أشكل عليه منه ، ولا يبادره قبل فراغه. وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه منها:

قوله : ﴿لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُدُودًا لِلنَّاسِ سُدُودًا﴾ (١) ... والثالث قوله : ﴿لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُدُودًا لِلنَّاسِ سُدُودًا﴾

{ ﴿لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سُدُودًا لِلنَّاسِ سُدُودًا﴾ (٢) } فضمن لرسوله e أن لا ينسى ما أقرأه إياه، وهذا يتناول القراءة

وما بعدها. وقد ذمّ الله سبحانه في هذه السورة من يؤثر العاجلة على الآجلة، وهذا لاستعجاله

(٢) الإتيان/ السيوطي (٢ / ٢٩٤)

(٤) (سورة القيامة: ١٦)

(٥) (سورة القيامة (١٤ - ١٥)

(٦) (سورة القيامة : ٢٠ - ٢١)

(٧) (البرهان/ الزركشي (١ / ٤٨)

(١) (سورة طه ١١٢ - ١١٤)

(٢) (سورة الأعلى _ ٦)

بالتمتع بما يفني، وإيثاره ما يبقى، ورتب كل ذمّ ووعيد في هذه السورة على هذا الاستعجال و محبة العاجلة، فأرادته أن: يفجر أمامه ؛ هو من استعجاله وحبّ العاجلة ، وتكذيبه بيوم القيامة؛ من فرط حب العاجلة وإيثاره لها، واستعجاله بنصيبه، وتمتعه به قبل أوانه، ولولا حبّ العاجلة وطلب الاستعجال لتمتّع به في الآجلة أكمل ما يكون. وكذلك تكذيبه وتوليه وترك الصلاة؛ هو من استعجاله ومحبه العاجلة. و **Q** سبحانه وصف نفسه بضد ذلك فلم يعجل على عبده؛ بل أمهله إلى أن بلغت الروح التراقي وأيقن بالموت، وهو إلى هذه الحال مستمرّ على التكذيب والتولّي. و **Q** تعالى لا يعاجله؛ بل يمهلُه ويحدث له الذكر شيئاً بعد شيء، ويُصرّف له الآيات، ويضرب له الأمثال، وينبّهه على مبدئه من كونه نطفة من مني يعني ، ثم علقه، ثم خلقاً سوياً؛ فلم يعجل عليه بالخلق وهلة واحدة، ولا بالعقوبة إذ كذب خيره وعصى أمره؛ بل كان خلقه وأمره وجزاؤه بعد تمهّل وتدرّج وأناة؛ ولهذا ذمّ الإنسان بالعجلة بقوله: { وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }^(٣) وقال : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ }^(٤) " (٥) .
و استنبط العلماء عدة فوائد من الآيات الواردة في النهي عن العجلة بالقرآن :

- (١) على طالب العلم أن يتخلّص من سمة التعجل في القراءة والفهم ، وأن يهيب نفسه لاستيعاب العلم النافع والتوجيهات التربوية السديدة .
- و المعلم عليه أن يتّسم بطابع الصبر في تعليمه الطلاب دون تعجّل في إيصال المعلومات لهم، ودون تعجّل في فهمهم لما يستقبلونه من موضوعات علمية . (١)
- (٢) وفائدة إسناد القراءة إلى نون العظمة ؛ للمبالغة في إيجاب التأني **إِسْنَادُ الْقِرَاءَةِ إِلَى نُونِ الْعِظْمَةِ** (٢) فكن مقفياً له، ولا ترأسله . (٣)

(٣) (سورة الإسراء - ١١)

(٤) (سورة الأنبياء - ٣٧)

(٥) التبيان في أقسام القرآن (١ / ١٠٠)

(١) الهدى الإسلامي للغرائز عند الإنسان / د. / الزيد ص ٢٧

(٢) سورة القيامة (١٨)

(٣) تفسير أبي السعود (٩ / ٦٧)

فقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُ أَصْوَابَ سَمْعِ الْوَالِدِينَ﴾ (١) ﴿لَا يَسْمَعُ سَمْعَ الْوَالِدِينَ﴾ (٢)

﴿لَا يَسْمَعُ سَمْعَ الْوَالِدِينَ﴾ (٤) هو كقوله تعالى: ﴿تَلَّوْا عَلَيْنَا مِثْلَ الْبُحَارِ﴾ (٥)

﴿بِالْحَقِّ﴾ (٥) ، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ (٦)

ونحو ذلك مما يكون الربُّ فعله بملائكته؛ فإنَّ لفظ (نحن) هو للواحد المطاع ، الذي له أعوان يطيعونه ، فالربُّ تعالى خَلَقَ الملائكة وغيرها . تطيعه الملائكة أعظم مما يطيع المخلوق أعوانه ، فهو سبحانه أحقُّ باسم (نحن) و (فعلنا) ، ونحو ذلك من كل ما يستعمل. (٧)

(٣) لم يقل أحد من السلف أن النبي ﷺ سمع القرآن من الله تعالى، كما يقول ذلك بعض المتأخرين. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ (١) و في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال لي النبي ﷺ : { اقرأ عليّ القرآن . قلت : اقرأ عليك و عليك أنزل ؟ ، قال : إني أحبُّ أن أسمع من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٢) قال : حسبك ، فنظرت فإذا عيناه تذرفان من البكاء} .

والنبي ﷺ سمعه من جبريل ، هو الذي نزل عليه به ، وجبريل سمعه من الله تعالى كما نصَّ على ذلك الإمام أحمد وغيره من الأئمة . قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ

(٤) سورة القيامة (١٧-١٩)

(٥) سورة القصص (٣)

(٦) سورة يوسف (٣)

(٧) كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير (١٢ / ٢٨٩)

(١) سورة آل عمران (١٦٤)

(٢) سورة النساء (٤١)

عَلَى قَلْبِكَ يَا ذَن لِّلَّهِ» (٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ¼ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنذِرِينَ» (٤)، وَقَالَ تَعَالَى: ¼ وَإِذَا
بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ» (٥).

(٤) " كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى
يتكلم النبي ﷺ بأولها مخافة أن ينساها، فترلت: ¼ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ» (٦) بعد
ذلك شيئاً فقد كفتكته " (٧).

(٥) * وفي الآية ردُّ على من زعم أن القرآن مفترى من قِبَلِ الرسول ﷺ وليس من الله؛
وذلك بسبب تبديل آية مكان آية، قال تعالى: ¼ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ» (١) (٢).

(٦) تولَّى الله جل وعلا حفظ القرآن بنفسه، ولم يكله أحد حتى يغيّر فيه أو يبدل أو
يحرّف، قال تعالى: ¼ وَاللَّهُ يَشْفِئُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رِجَالِهِ مَا كَانَ لِأَعْيُنِنَا مِنْ شَيْءٍ لِنُنزِلَهُ فَتُرْجَمَ» (٣)
وقال سبحانه وتعالى: ¼ وَاللَّهُ يَشْفِئُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رِجَالِهِ مَا كَانَ لِأَعْيُنِنَا مِنْ شَيْءٍ لِنُنزِلَهُ فَتُرْجَمَ» (٤)
وقال: ¼ وَاللَّهُ يَشْفِئُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ رِجَالِهِ مَا كَانَ لِأَعْيُنِنَا مِنْ شَيْءٍ لِنُنزِلَهُ فَتُرْجَمَ» (٥)

(٢) سورة البقرة (٩٧)

(٤) سورة الشعراء (١٩٤)

(٥) سورة النحل (١٠١ - ١٠٢)

(٦) سورة الأعلى (٦)

(٧) تفسير القرطبي (٢٠ / ١٨)

(١) سورة النحل (١٠٢)

(٢) انظر أضواء البيان / الشنقيطي (٢ / ٤٥٣)

(٣) سورة الحجر (٩)

(٤) سورة القيامة (١٦ - ١٧)

« (٥) وقال في النبي ﷺ (٣) »
 « (٦) (٧) »

و قوله تعالى: « فيه إشارة إلى أنه نزل مُفَرَّقاً، وإشارة إلى أن جمعه على هذا النحو الموجود برعاية وعناية من الله تعالى، وتحقيقاً لقوله تعالى: « ويشهد لذلك أن هذا الجمع الموجود من وسائل حفظه كما تعهدّ تعالى بذلك - والله تعالى أعلم - .

(٧) « فيه الإيماء إلى حسن الاستماع والإصغاء عند الإيحاء به كما في آداب الاستماع: « (٨) (٩) »

(٨) عطف جملة « على قوله تعالى: « (٩) »

يشير إلى أن المنهي عنه استعجال مخصوص، وأن الباعث على الاستعجال محمود. وفيه تَلَطُّف مع النبي ﷺ ؛ إذ أتبع نهي عن التعجّل الذي يرغبه بالإذن له بسؤال الزيادة من العلم، فإنّ ذلك مجمع كل زيادة سواء كانت بإنزال القرآن أم بغيره من الوحي والإلهام إلى الاجتهاد تشريعاً وفهماً، إيماءً إلى أن رغبته ﷺ في التعجّل رغبة صالحة؛ كقول النبي ﷺ لأبي بكر حين دخل المسجد فوجد النبي ﷺ راکعاً فلم يلبث أن

(٥) سورة فصلت (٤٢)

(٦) سورة النجم (٤)

(٧) أضواء البيان / الشنقيطي (٣ / ٣٤٦)

(٨) سورة الأعراف (٢٠٤)

(٩) أضواء البيان / الشنقيطي (٣ / ٣٤٦)

(١) سورة طه (١١٤)

يصل إلى الصف؛ بل ركع ودبّ إلى الصف راععاً؛ فقال له **ر** : "زادك الله حرصاً ولا تُعُدّ" (٢). (٣)

(٩) « أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال؛ فإن ما أوحى إليك تناله لا محالة. (٤)

و ذكر ابن الجوزي في تفسيره عدة أقوال لبيان $\frac{1}{4}$ **ر** : »

أحدها: زدني قرآناً، قاله مقاتل.

والثاني: فهماً،

والثالث: حفظاً، ذكرهما الثعلبي (٥).

قال ابن كثير (١) - رحمه الله -، قال ابن عيينة - رحمه الله - : (ولم يزل **ر** في زيادة، حتى توفاه الله **U**) (٢).

و قال الطبري (٣): "يقول تعالى ذكره وقل يا محمد ربّ زدني علماً إلى ما علّمتني" (٤).
 " وهذا القول متضمّن للتواضع لله تعالى والشكر له ؛ عندما علم من ترتيب التعلّم أي :
 علّمتني يا رب لطيفة في باب التعلّم، وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزدني علماً إلى علم؛ فإنّ
 لك في كل شيء حكمة وعلماً" (٥).

وكان **ر** كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علماً" (٦) حتى قيل: ما أمر رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم (٧).

(١) انظر البخاري كتاب صفة الصلاة ، باب إذا ركع دون الصف ، حديث (٧٥٠) (١ / ٢٧١)

(٢) التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٦ / ١٩٠)

(٣) مناهل العرفان (٤ / ٧٢)

(٤) زاد المسير (٥ / ٣٢٧)

(٥) سبقت ترجمته ص ٤٣

(٦) تفسير ابن كثير (٣ / ١٦٨)

(٧) سبقت ترجمته ص ٤٢

(٨) تفسير الطبري (٢ / ٧٠٧)

(٩) الكشاف / الزمخشري (ص ٦٦٧)

(١٠) تفسير الواحدي (٢ / ٧٠٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كان رسول الله ﷺ يقول: " اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال " (٨).

(٧) تفسير النسفي (٣ / ٦٩) ، وانظر فتح الباري (١ / ١٤١)

(٨) أخرجه عبد بن حميد (١ / ٤١٥): ١٤١٩، وابن أبي شيبة كتاب الدعاء ، باب ما كان يدعو به النبي ﷺ حديث (٢٥١) (٢٩٣٩٣) (٥٠ / ٦) ، وعنه ابن ماجه في سننه كتاب العلم ، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ، حديث (٢٥١) (٩٢ / ١) ، وكتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ : (٣٨٣٣) (٢ / ١٢٥٩) . كما أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ ، باب في العفو والعافية حديث (٣٥٩٩) (٥ / ٥٧٨) وقال: حسن غريب من هذا الوجه.. عن أبي كريب كلهم عن عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عنه مرفوعاً. وموسى بن عبيد: اختلف فيه قال أحمد: لا يكتب حديثه، وقال ابن سعد: ثقة، وليس بحجة انظر: ميزان الاعتدال (٦ / ٥٥١) ، وقال الصنعاني في سبل السلام : إسناده حسن. (٤ / ٢٢٤)

المطلب الثاني : استعجال الأمور المكروهة لذاتها.

استعجال العذاب

وردت لفظة العذاب في القرآن قرابة (٩٨) مرة، وتحدّث القرآن كثيراً عن (استعجال العذاب)، وكانت أكثر الصور التي أبرزها القرآن عن العجلة؛ (استعجال العذاب) حتى قال الثعالبي^١ - رحمه الله - : " لفظ الاستعجال لم يأت في القرآن إلا للعذاب " ^٢ أ. هـ .

^١ - الثعالبي : - عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المفسّر المشهور ، رحل في طلب العلم أواخر القرن الثامن رحل إلى بجاية ثم إلى تونس ، ثم المشرق ولقي العراقي وأخذ عنه الحديث وغيره وأجازته ، ثم إلى مكة ثم مصر ثم تونس ولقي (ابن مرزوق) وأخذ عنه وأجازته للتدريس ثم عرض عليه تفسيره فسُرّ به وأثنى عليه (تفسير الثعالبي (١١٩/٤) .

^٢ - انظر تفسير الثعالبي (٥٢٥/١) .

فقد استعجل الكفار عذاب أنفسهم و طالبوا به ؛ وجاء ذلك في نحو (٢٠) آية صريحة بلفظ العجلة كقوله تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ }^١، وقوله تعالى : { أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ }^٢ وغيرها كثير .

و آيات أخر ورد فيها استعجال العذاب؛ ليس بلفظ العجلة صراحة؛ لكنها بمعناها، وتدل على مقتضاها، وكان ذلك في صور عدة:-

المطالبة بتعجيل العذاب إذا تأخر، قال تعالى { وَلَنْ أَخْرَنَّا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ }^٣

الدعاء على أنفسهم بالعذاب سخريةً واستهزاءً، جهلاً وعناداً، وجاء ذلك كثيراً: من نحو قوله تعالى:- { اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ }^٤

وقوله U:- { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ }^٥ وقوله تعالى: { فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ

إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ }^٦ وكذا قوله تعالى: { فَاتِنَّا بِمَا تَعَدْنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ }^٧

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سفههم وجهلهم ، وعتوهم وعنادهم .

استعجال العذاب عن طريق الاستفهام عن تأخيره إنكاراً واستبعاداً: ومن ذلك ما حكاه القرآن عن المشركين وهم يسألون أنبياءهم تهماً وسخرية: { مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^٨، ولا تكاد تخلو قصة نبي من هذا الاستفهام الإنكاري.

^١ - (سورة الحج-٤٧)، (العنكبوت -٥٣).

^٢ - (سورة الشعراء -٢٠٤)، (الصفافات - ١٧٦).

^٣ - (سورة هود - (٨)).

^٤ - (سورة الأنفال - ٣٢).

^٥ - (سورة ص - ١٦).

^٦ - (سورة الشعراء ص- ١٨٧).

^٧ - (سورة الأعراف - ٧٠) (هود - ٣٢) (الأحقاف - ٢٢).

^٨ - (سورة يونس - ١٤٨)، (سورة الأنبياء - ٣٨)، (سبأ - ٢٩)، (يس - ٤٨) (الملك - ٢٥)

و بالمقابل فهناك آيات أَمَرَتُ الْمُؤْمِنِينَ بِعَدَمِ اسْتِعْجَالِ عَذَابِ الْكُفَّارِ.. قَالَ تَعَالَى :

{سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} ١ عذاب الكفار ٢ .

و قد أمر الله الأنبياء بالصبر على أقوامهم مهما بدرَ منهم من الكفر وعدم الإيمان ،
وَأَلَّا يَسْتَعْجِلُوا عَذَابَهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ ؛ وَجَاءَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ آيَاتِ :-

قال تعالى :- {فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا} ٣ وقال سبحانه : {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ
الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ . . .} ٤

ونسنتعرض أصناف المستعجلين العذاب ، ونوعية العذاب الذي استعجلوه ، وطريقة
عرض القرآن لاستعجال العذاب ، وبيان منهج القرآن في دعوة المستعجلين للعذاب ؛ مع
بيان صور استعجال العذاب بشيء من الإيضاح والتفصيل .

و لعلِّي أُشير إلى أن القرآن حين تحدّث عن استعجال العذاب أبرز استعجال المشركين
والكفار عذاب أنفسهم حتى بلغ ذلك ما يقرب من (٤٠) آية؛ لذا فإنني سأبدأ به في
التقسيم والبيان.

أصناف المستعجلين العذاب :-

١ - الكفار والمشركين الذين يستعجلون ما وعدوا به من العذاب :

استعجال مشركي الأمم المسابقة عذاب أنفسهم ، وطلبهم ذلك من أنبيائهم عليهم السلام
قال تعالى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} ٥

استعجال كفار قريش العذاب ، ومطالبتهم النبي ﷺ والمؤمنين بتعجيله {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ

هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابِ الْيَمِّ} ٦ ، وقوله تعالى :

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} ٧ .

١ - (الأنبياء - ٣٧) .

٢ - انظر تفسير ابن كثير (١٨٨/٣) .

٣ - (مرم - ٨٤) .

٤ - (الأحقاف - ٣٥) .

٥ - (سورة هود - ٣٢) .

٦ - (سورة الأنفال - ٣٢) .

٧ - (سورة الحج - ٤٧، والعنكبوت - ٥٣) .

وهذا العذاب الذي استعجله كلا الصنفين على نوعين أيضاً :-

استعجال العذاب الذي وعدوا به في الآخرة: - قال تعالى: { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ }^١ .

أ- استعجال العذاب الذي وعدوا به في الدنيا واستبطؤه :-

قال تعالى عن قوم هود :- { فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرٌ نَّابِلٌ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }^٢ .

وقال عن كفار مكة: { وَلَنْ نُخَرِّجَهُمْ عَنْهَا وَلَا نُؤْتِيهِمْ أَجْرًا وَنُكَلِّمُهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَحْبِسُهُ }^٣ ، وقال

تعالى عنهم - أيضاً - : { فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا تَمِثِلُ ذُنُوبَ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ }^٤ وغيرها كثير^٥ .

٢- استعجال المؤمنين عذاب الكفار غضباً لله ، وجاءت الآيات في بيان هذا الاستعجال على نوعين :-

استعجال الأنبياء عذاب الكفار المعاندين المعرضين عن الحق، المستهزئين بالشرع،

الجاهلين بقدرة الله وقدره. ومجموع ما جاء بلفظ العجلة صراحة ثلاث آيات: قال

تعالى: - { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ }^٦ فهنا خاطب الله رسوله ﷺ

بقوله { وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } أي لا تستعجل للكفار العذاب فإن لهم يوماً موعوداً^٧ . فإن

ضاق صدر الرسول ﷺ يوماً بما يقولون أو يفعلون و يمحرون ؛ وجد في صبر إخوانه من

^١ - (سورة ص - ١٦) .

^٢ - (سورة الأحقاف - ٢٤) .

^٣ - (سورة هود - ٨) .

^٤ - (سورة الذاريات - ٥٩) .

^٥ - (سورة الحج - ٤٧) (العنكبوت - ٥٣)، (الشعراء - ٢٠٤) (الصفافات - ١٧٦) وغيرها .

^٦ - (سورة الأحقاف - ٣٥) .

^٧ - الصبر في القرآن / د. يوسف القرضاوي ص ١٠٩ .

الرسول قبله ما يشد أزره ، ويمضي عزمه ، ويذهب همه^١. " لذا كان المصطفى ﷺ إذا رأى من قومه أذى " استحضر ما أمره الله به من الإقتداء بأولي العزم في صبرهم^٢ .
أ- وتذكر ما عاناه إخوانه من الأنبياء في سبيل الدعوة ؛ فيكون ذلك دافعاً له على الصبر والاحتساب .

فقد قسم رسول ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار^٣ : إنَّ هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فقال عبدالله ابن مسعود: يا عدو الله ، أما لأخبرنَّ رسول ﷺ بما قلتَ ، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فاحمرَّ وجهه ثم قال : (رحمةُ الله على موسى لقد أُودي بأكثر من هذا فصبر)^٤ .

فلا بدّ لحملة الدعوة - خاصة الأنبياء - من الصبر، والحذر من الآفات التي تعترض طريق الصبر وتعوِّقه (كالاتعجال)^٥ ؛ لذا قرن الله U بينهما في الآية { فَاصْبِرْ } { وَكَلَّا تَسْتَعْجِلُ لَهُمْ } ؛ فإنه - سبحانه - لما أمر نبيه بالصبر الذي هو أعلى الفضائل ، نهاه عن (العجلة) التي هي أحسن للرزائل^٦ { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ }^٧ العذاب ولا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم^٨ ؛ فإن الاستعجال ينافي العزم ، ولأنَّ في تأخير العذاب تطويلاً لمدة صبر الرسول ﷺ بكسب عزمه قوة^٩ .

^١ - المرجع السابق ص ١٠٥ .

^٢ - الصبر في القرآن / القرضاوي ص ٨٩ .

^٣ - قال ابن حجر في فتح الباري (٥٦/٨) : وفي رواية الواقدي أنه معبد بن قشير من بني عمرو بن عوف ، وكان من المنافقين .

^٤ - رواه أحمد في مسنده حديث (٣٦٠٨) (١ / ٣٨٠) وحديث (٤١٤٨) (١ / ٤٣٥) (واللفظ له) ، وأخرجه الشيخان في صحيحهما، فالبخاري أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء باب (٢٨) حديث (٣٤٠٥) (٢ / ١٠٥٦) ، وفي كتاب المغازي باب غزوة الطائف حديث (٤٣٣٥ ، ٤٣٣٦) (٣ / ١٣٠٩) ، أما الإمام مسلم قد أخرجه في كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث (١٠٦٢) (٢ / ٧٣٩) .

^٥ - الصبر في القرآن / القرضاوي ص ١٠٩ .

^٦ - تفسير المراغي (٩ / ١٧١) .

^٧ - الأحقاف - ٣٥ .

^٨ - قال الكرمي في الناسخ والمنسوخ (١ / ١٩١) : (الآية منسوخة بآية السيف) .

و ما تضمنته هذه الآية من النهي عن طلب تعجيل العذاب لهم جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى: { وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلُمُ قَلِيلاً }^٣ وقوله تعالى: { فَمَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُؤَيْدًا }^٤ ° أَنْظِرْهُمْ قَلِيلاً و لا تستعجل لهم، وأخرج الخطاب للرسول ٣ (فمهّل) ؛ مع أن الذي يمهّلهم هو الله على جهة التهديد والوعيد^٦ ثم علّل سبحانه النهي عن الاستعجال لهم بالعذاب بأن العذاب واقع بهم فلا يؤثر في وقوعه تطويل أجله ولا تعجيله^٧. قال تعالى: { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَمَهَلٌ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ }^٨ ومثل هذا ما جاء في أواخر سورة مريم من النهي عن طلب تعجيل عذاب كفار مكة ، قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوذُّهُمْ أَزْوَاجًا فَلَا تَعْبُلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا }^٩ فلا تعجب - يا محمد - من حال مسارعتهم إلى الشر والفساد ، ولا تعجل علينا بمطالبتنا بهلاكهم^{١٠} بسبب تصميمهم على الكفر وعنادهم للحق وتمردهم عن داعي الله سبحانه^{١١}) فلا تستبطئ عذابهم وتحب تعجيله^{١٢} فإنما نؤخر هلاكهم ليزدادوا إثماً ، ونحن نعدّ أعمالهم كليهما ونخصيهما حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها^{١٣} بالعذاب إمّا في الدنيا وإلا ففي الآخرة^{١٤} .

^١ - تفسير الطبري (٢٦ / ٣٧) .

^٢ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (٥٧ / ٢٦) .

^٣ - (سورة المزمل - ١١) .

^٤ - (سورة الطارق - ١٧) .

^٥ - أضواء البيان / الشنقيطي (٧ / ٢٤١) .

^٦ - النبيان في أقسام القرآن (٦٨ / ١) .

^٧ - التحرير والتنوير (٥٧ / ٢٦) .

^٨ - (سورة الأحقاف - ٣٥) .

^٩ - (سورة مريم - ٨٣، ٨٤) .

^{١٠} - أيسر التفاسير / الجزائري (٣ / ٣٣٢) .

^{١١} - فتح القدير / الشوكاني (٣ / ٤٣٩) .

^{١٢} - المحرر الوجيز / ابن عطية (٤ / ٣٢) .

^{١٣} - جامع البيان / الطبري (٨ / ٣٧٩) .

^{١٤} - المحرر الوجيز / ابن عطية (٤ / ٣٢) .

فلم نترك تعجيلهم لخير أردناه بهم^١ مع عتوهم وطغيانهم وإعراضهم؛ { إِنَّمَا نَعِدُّهُمْ عِدًّا }
 ونؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله قال تعالى: { إِنَّمَا نُمِلِّي لَهُمْ
 لِيُزَادُوا إِثْمًا }^٢. وقال تعالى: { نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ }^٣.
 فالآية هي للنبي ٣ عند طلب تعجيل هلاك المشركين؛ إذ أن حياتهم مهما طالت
 فهي محدودة ومعدودة: فهذا نص صريحٌ بوجوب الصبر على أذى المشركين مهما
 بدر منهم.

والأنبياء عليهم السلام إنما كانوا يستعجلون عذاب الكفار غضباً لله،^٤
 وتطهيراً للأرض من خبث أعمالهم^٥ ولا يكون هذا من الأنبياء - عليهم السلام - في أول
 طريق الدعوة... إنما جاء بعد سلسلة دعوية طويلة رأى النبي من قومه عتواً، وإعراضاً،
 واستهزاءً؛ فعلم أن هؤلاء الكفرة حملوا قلوباً غلفاً، وآذاناً صمماً، وعموا عن الحق
 والهداية والنور؛ فانبرت تلك الألسنة تطالب من الأنبياء العذاب وتستعجله { فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا
 حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ إِنَّا بِعَذَابِ أَلِيمٍ }^٦. وهذا ديدنهم وندائهم: { فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا }^٧

{ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }^٨ إلى غيرها من الآيات التي تدل صراحة على مدى
 حمق وجهل المشركين الذين يطالبون أنبيائهم بتعجيل عذابهم، ويطلبون ذلك منهم؛ فإذا
 تأخر لحكمةٍ ورحمةٍ اتَّهَمُوا الأنبياء في نبوتهم، ودلائل معجزتهم.

١ - جامع البيان / الطبري (٣٧٩/٨).

٢ - (سورة آل عمران - ١٧٨).

٣ - (سورة لقمان - ٢٤).

٤ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (١٤٤/٣).

٥ - تفسير المراغي (٧٧/٦).

٦ - المرجع السابق (٧٠/٦).

٧ - (سورة الأنفال - ٣٢).

٨ - (سورة الشعراء - ١٨٧).

٩ - (سورة يونس (٤٨)، الأنبياء (٣٨)، سبأ (٢٩)، يس (٤٨)، الملك (٢٥)).

ولعل ما جاء في سورة الأنعام يُجَلِّي لنا بوضوح مدى ما وصل إليه الكفرة من العناد والاستهزاء ، ويبيِّن بجلاء سبب استعجال الأنبياء عذاب أقوامهم ؛ قال تعالى : { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ }^١ . قل يا محمد لهؤلاء العادلين برهم الآلة والأوثان ، المكذبيك فيما جنتهم به ، السائلينك أن تأتيهم بآية استعجالاً منهم بالعذاب لو أن بيدي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم ، ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلي لكم ما تسألوني من ذلك وتستعجلونه ؛ ولكن ذلك بيد الله الذي هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم وأعلم بما يصلح خلقه مني ومن جميع خلقه^٢ فلو كان الأمر في مُكنتي لأهلكنكم عاجلاً غضباً لربي **U** ، وامتعضاً من تكذبيكم به^٣ .

وقد اختلف المفسرون في الأمر الذي كذبوا به (وكذبتهم به) :-

القول الأول : الرب .

القول الثاني : البينة^٤ .

القول الثالث : العذاب الذي طلبوه استهزاء .

وأما الذي استعجلوه فقد ذكر المفسرون فيه قولان :-

أحدهما: أنه العذاب، والثاني: أنه الآيات التي كانوا يقترحونها^٥. ورجَّح الثعالبي العذاب، قال : وهو يترجَّح من وجهين : أحدهما من جهة المعنى ، وذلك أن قوله وكذبتهم به يتضمن أنكم واقعتهم ما تستوجبون به العذاب إلا أنه ليس عندي .

والآخر من جهة لفظ الاستعجال الذي لم يأت في القرآن إلا للعذاب ، وأما

اقتراحهم الآيات فلم يكن باستعجال^٦ .

^١ - (سورة الأنعام (٥٧ ، ٥٨)) .

^٢ - جامع البيان / الطبري (٢١٢ / ٧) .

^٣ - روح المعاني / الألوسي (١٧٠ / ٧) .

^٤ - زبدة التفسير من فتح القدير / د. محمد الأشقر ص ١٧١ .

^٥ - زاد المسير / ابن الجوزي (٥١ / ٣) .

^٦ - سبقت ترجمته ص ١٦١ .

فالله بعد أن بين تكذيبهم به قفى عليه بردّ شبهه تخطر حينئذ بالبال، وهي أن الله أنذرهم عذاباً يجلب بهم إذا أصروا على عنادهم و كفرهم ، و وعد بأن ينصر رسوله عليهم وقد استعجلوا النبي **ر** ذلك فكان عدم وقوع العذاب شبهة لهم على صدق القرآن ؛ إذ هم يجهلون سنة الله في شؤون الإنسان، فأمر الله **U** نبيه - **ر** - أن يقول لهم (ما عندي ما تستعجلون به) من نعم الله وعذابه وليس بيدي ، ولا أنا على ذلك بقادر ، ولم أقل لكم إن الله فوّض أمره إلي حتى تطالبوني به ، وتعدون عدم إيقاعه عليهم حجة على تكذيبه. (إن الحكم إلا لله) فلا يتقدم شيء عن ميقاته ولا يتأخر {وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ} ^٢ قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم) فهؤلاء المستعجلين العذاب بقولهم:

{وَإِذِ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابِ الْيَمِّ} ^٣ قل لهم إن ما تستعجلون به لو مكنتني من التصرف فيه لقضي الأمر بيني وبينكم فأهلكتكم وتخلصت منكم سريعاً غضباً لربي ولصدكم لي وللمؤمنين عن تبليغ الدعوة ^٤ .
وهنا ثمة سؤال يفرض نفسه :-

قوله تعالى: {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} ^٥ صريح في أنه **ر** لو كان بيده تعجيل العذاب عليهم لعجله عليهم ؛ مع أنه ثبت في الصحيحين من حديث عائشة **t** أن النبي **ر** أرسل إليه ملك الجبال ، وقال له : (إن شئت أطبقت عليهم الأحشيبين) فقال **ر** : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً) ^٦ .
فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم ، فاستأنى بهم وسأل لهم التأخير.

^١ - الجواهر الحسان / الثعالبي (٥٢٥/١) .

^٢ - (سورة الرعد - ٨) .

^٣ - (سورة الأنفال - ٣٢) .

^٤ - تفسير المراغي (١١٧/٣) .

^٥ - (الأنعام - ٥٨) .

^٦ - متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء ، فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث (٣٢٣١) (٩٩٧/٢) . ومسلم في كتاب الجهاد و السير ، باب ما لقي النبي **ر** من أذى المشركين والمنافقين، حديث (١٧٩٥) (١٤٢٠/٣) .

فما الجمع بين الآية و الحديث ؟

الجواب والله أعلم أنّ هذه الآية دلّت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له لأوقعه بهم ، وأما الحديث فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم بل عرّضَ عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأخشبين - وهما جبلا مكة اللذان يكتنفانها جنوباً وشمالاً - فلهذا أستأني بهم ، وسأل الرفق لهم^١ .

فالملك عرض عليه إهلاكهم فاختار عدم إهلاكهم . ولا يخفى الفرق بين المتعنت الطالب تعجيل العذاب وبين غيره^٢ .

ب- استعجال المؤمنين عذاب الكفار والآيات في ذا معدودة قليلة .

قال تعالى : { خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ }^٣ .

قال ابن كثير^٤ : (والحكمة في ذكر عجلة الإنسان هاهنا ؛ أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم ، واستعجلت ذلك ، فقال الله تعالى : { خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ } ؛ لأنه تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، يُؤجّل ثم يُعجّل ، ويُنظر ثم لا يؤخّر ؛ ولهذا قال (سأريكم آياتي) أي : نقمي وحكمي واقتداري على من عصاني (فلا تستعجلون)^٥ . أ.هـ .

فالخطاب إلى المسلمين الذين كانوا يستبطنون حلول الوعيد الذي توعد الله - تعالى - به المكذّبين^٦ . فاستهزاء المشركين يُهيج حنق المسلمين عليهم ؛ فيودّوا أن يترّل الله بالمكذّبين الوعيد عاجلاً ؛ فخوّطبوا بالترّيث وأن لا يستعجلوا ربهم ؛ لأنّه أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد ، وما في تأخير نزوله من المصالح للدين .

وأهمها : مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثيرٌ في الإسلام^٧ .

١ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (١٤١/٢) .

٢ - أضواء البيان / الشنقيطي (٤٨١/١) .

٣ - سورة الأنبياء (٣٧) .

٤ - سبقت ترجمته ص ٤٣ .

٥ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (١٨٨/٣) .

٦ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (٤٩/١٧) .

٧ - المرجع السابق (٥٠/١٧) .

فَقَوْلُهُ تَعَالَى : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ } تَمْهِيدٌ لِمَا بَعْدَهُ، وَقَوْلُهُ : { سَأْرِيكُمْ آيَاتِي } وَعَدَ بَأْتَهُمْ سَيُرُونَ آيَاتِ اللَّهِ فِي نَصْرِ الدِّينِ ، وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ النَّصْرِ وَهَلَكِ أُمَّةِ الشِّرْكِ ، وَمَا حَصَلَ بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامِ الْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ النَّصْرُ فِيهَا عَاقِبَةً الْمُسْلِمِينَ .

وَتَفَرَّعَ عَلَى هَذَا الْوَعْدِ (سَأْرِيكُمْ) نَهْيٌ عَنِ طَلْبِ التَّعْجِيلِ ، أَيْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْلُوا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ يَوْقَتَهُ وَيُوجِّلَهُ ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . فَهُوَ نَهْيٌ عَنِ التَّوَعُّلِ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ ؛ وَعَنْ لُؤَاظِمِ ذَلِكَ الَّتِي تُفْضِي إِلَى الشِّكِّ فِي الْوَعْدِ^١ .

فَقَدْ (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) يِيَادِرُ الْأَشْيَاءَ، وَيَسْتَعْجِلُ وَقَوَعَهَا، فَالْمُؤْمِنُونَ يَسْتَعْجِلُونَ عَقُوبَةَ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ، وَالْكَافِرُونَ يَتَوَلَّوْنَ وَيَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ، تَكْذِيبًا وَعِنَادًا^٢ .

قَالَ الْبِقَاعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي (نَظْمِ الدَّرْرِ)^٣ :-

(...عَجُولًا) أَي يَسْرِعُ إِلَى طَلْبِ كُلِّ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ وَيَخْطُرُ بِبَالِهِ، لَا يَتَأَنَّى؛ لِذَلِكَ يَسْتَعْجِلُ الْعَذَابَ لِنَفْسِهِ اسْتِهْزَاءً، أَوْ لغيره اسْتِشْفَاءً). أ.هـ .
فَعَجَلَةُ الْمُؤْمِنِ جَاءَتْ لِلْاسْتِشْفَاءِ مِنْ هَوْلِ الْكُفْرِ، غَضَبًا لِلَّهِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ مَا حَمَلْتَهُ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ، قَالَ تَعَالَى : { أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا

تَسْتَعْجِلُوهُ } .

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَطِيَّةٍ^٤ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

(.. الْخُطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ)^٥ وَذَكَرَ أَنَّ اسْتَعْجَالَهُمْ اسْتَعْجَالًا لِلنَّصْرِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ^٦ أ.هـ .

^١ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (٥٠/١٧) .

^٢ - تيسير الكريم الرحمن / السعدي ص ٥٦١ .

^٣ - (٣٦٦/٤) .

^٤ - ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن عطية؛ الإمام الكبير قدوه المفسرين، أبو محمد الغرناطي القاضي، كان فقيها عارفا بالأحكام والتفسير، بارع الأدب واسع المعرفة له التفسير المشهور المسمى: "بالحرر الوجيز"، توفي سنة: ٥٤٦هـ - انظر: طبقات المفسرين (١٧٦/١) .

^٥ - كما قال أيضاً : (.. أو للكافرين) (٣٧٨/٣) .

^٦ - انظر الحرر الوجيز (٣٧٧/٣) .

و وافقه الإمام ابن عاشور - رحمه الله - بقوله : (ويجوز أن يكون شاملاً للمؤمنين ؛ لأن عذاب الله وإن كان الكافرون يستعجلون به تمكماً لظنهم أنه غير آتٍ ، فإن المؤمنين يضمرون في نفوسهم استبطاءه ، ويجبون تعجيله للكافرين)^٢ .

٣- استعجال الكفار العذاب :-

وهؤلاء الكفرة المستعجلين العذاب إمّا أن :

أ- يكونوا من الأمم السابقة المكذبة .

ب- أو من كفّار قريش .

و قد ذكر القرآن استعجال كلا القسمين - كما ذكرته في بدء هذا المطلب - .

ومّا جاء في استعجال الكفار من الأمم السابقة ما يلي :-

١- استعجال قوم (نوح) - عليه السلام - العذاب : قال تعالى : {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا

فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ }^٣ .

استعجال قوم (هود) - عليه السلام - العذاب : قال تعالى : {قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَحْدَهُ

وَنذَرَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ يَا هُودُ إِنَّا جَاءْنَا بِآيَاتِنَا فَاتَّبِعْنَا أَمَّا نَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ } في سورة الأعراف ، ونحوها في

الأحقاف^٥ .

و أصرح منها في دلالة الاستعجال ما ورد في السورة نفسها^٦ ، قال تعالى : {فَلَمَّا رَأَوْهُ

عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مِّمَّنْ رَأَوْا هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

٢- استعجال قوم ثمود :-

١- أي الخطاب في (لا تستعجلوه) .

٢- التحرير والتنوير (٧٧/١٣) .

٣- (سورة هود - ٣٢) .

٤- (آية (٧٠)) .

٥- (آية (٢٢)) .

٦- (سورة الأحقاف - ٢٤) .

فقد استعجلوا العذاب وطلبوه من نبيهم (صالح) - عليه السلام - ومما حكى القرآن عنهم في هذا الشأن ، قوله تعالى : { فَعَفَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }^١ .

٤ - استعجال قوم لوط - عليه السلام - :

فقد استعجل من كفر بالله ، وقلب الفطرة منهم ، وأعان على تفشي ذلك المنكر الذي لم يُسبقوا إليه ، العذاب وقالوا لـ(لوط) عليه السلام بكل تبجح ؛ بعد أن دعاهم وخوفهم بالله : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ }^٢ .

٥ - استعجال مدين العذاب :-

فقد طلبوا من نبي الله شعيباً أن يتزل عليهم عذاباً من السماء كما بينت آية الشعراء^٣ قال تعالى : { فَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } .

٦- أمّا نبي الله موسى فأنكر على قومه عبادة العجل ، الذي عبدهه أثناء غيابه فترة (المواعدة الربانية) ، واستنكر فعلتهم الشنعاء.. وكأنهم بدأ يستعجلون عذاب الله ، وأمره وحكمه فيهم .فنادى فيهم مستنكراً : { بَسْمًا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ }^٤ .

منهج القرآن في عرض استعجال المشركين العذاب:

١ - بين القرآن أنّ الإنسان عجول (بطبعه) يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه، ويخطر بباله، لا يتأنى فيه تأني المبصر، قال تعالى : { وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا }^٥ .

١- (سورة الأعراف - ٢٩) .

٢- (سورة العنكبوت - ٢٩) .

٣- (آية رقم - ١٨٧) .

٤- (سورة الأعراف - ١٥٠) .

٥- (الإسراء - ١١) .

(و يدع الإنسان) الكافر بالعذاب استهزأً واستعجالاً كما يدعوا بالخير إذا مسته الشدة.... فهو يستعجل العذاب الذي هو آتية لا محالة..^١ فهو يدعو على نفسه بالشر إِمَّا:

أ- بلسانه حقيقة؛ كدعوة النضر بن الحارث على نفسه {اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابِ أَلِيمٍ} ^٢ يدعو متعامياً عن ضرر دعائه ، مبالغاً في عجلته بالعذاب.

ب- بأعماله السيئة المفضية إلى العذاب الموجبة له (مجازاً) _ كما ديدن كلهم . فحُمِل الدعاء على أعمالهم تحمّل العجولية على اللجج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الأعمال..

وبذا تبين معنى : (وكان الإنسان عجولاً) غير (متبصّر)؛ لا يتدبّر في أمور حق التدبّر ؛ ليتحقق ما هو خير حقيقاً بالدعاء به ، وما هو شرٌ جديرٌ بالاستعاذة منه..^٣ فهو ينادي ربه ويتضرع إليه بسبب إيقاع الشرّ به..^٤ فمن عجلته أنه يسأل الشر كما يسأل الخير ..

فلا أحد من الناس يعرى عن عجلة ؛ لو تركها لكان أصلح في الدين والدنيا^٥ فنبّه _ سبحانه _ على الطبع الذي هو منبع ذلك {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} ^٦ . بما له من قلة التدبّر ؛ لاشتغاله بالنظر في عطفه ، والأنس بنفسه..^٧ ومّا دعا به الكفار على أنفسهم ..

(١) ما ورد في الآية السابقة {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابِ أَلِيمٍ} ^٨ .

^١ - تفسير النفسي (١٨٩٨/٢) .

^٢ - (سورة الأنفال - ٣٢) .

^٣ - تفسير أبي السعود (١٥٩/٥) .

^٤ - نظم الدرر / البقاعي (٣٦٦/٤) .

^٥ - فتح البيان في مقاصد القرآن / القنوجي (٣٦١ / ٧) .

^٦ - (سورة الإسراء - ١١) .

^٧ - نظم الدرر / البقاعي (٣٦٦/٤) .

^٨ - (سورة الأنفال - ١١) .

- وهو ما جرى على لسان النضر بن الحارث وأجيب دعاه وضربت عنقه صبراً في بدر^١ .
- (٢) {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} ^٢ .
- (٣) {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ..} ^٣ .
- (٤) {عَجَلْنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} ^٤ أي نصيبنا من العذاب يوم القيامة عجله لنا في الدنيا..^٥
- فالعجلة من طبع الإنسان، ولكن استعجال العذاب حُقم وطيش^٦، نزع في الرأي وفساد في العقل^٧ .

٢ - بيان مدى سفه وجهل الأمم التي تطالب بالعذاب وتستعجل به^٨ فهذا هود عليه السلام ، يبين هذه الحقيقة لقومه حينما استعجلوا العذاب .. فيقول.. : {وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} ^٩ تجهلون.. صفات الله، وحكمة إرسال الرسل، وتجهلون أيضاً ما ينفعكم وما يضركم^{١٠} .. وإلا كيف تستعجلون العذاب وتطالبون به !!

^١ - أنظر المحرر الوجيز / ابن عطية (٢ / ٥٢٠) .

^٢ - (يونس - ١٤٨)، (الأنبياء - ٣٨)، (سبأ - ٢٩)، (يس - ٤٨)، (الملك - ٢٥) .

^٣ - (الشعراء - ١٨٧) .

^٤ - (ص - ١٦) .

^٥ - أنظر فتح القدير / الشوكاني (٤ / ٥٣٢) وفتح الباري (٨ / ٥٤٥) .

^٦ - أيسر التفاسير / الجزائري (٣ / ٤٨٧) .

^٧ - المرجع السابق (٣ / ٦٨٥) .

^٨ - أيسر التفاسير / الجزائري (٥ / ٦١) .

^٩ - (سورة الأحقاف - ٢٣) .

^{١٠} - أيسر التفاسير / الجزائري (٥ / ٦٠) .

وكم من الآيات التي أنكر الله - سبحانه وتعالى - فيها على المشركين استعجالهم العذاب الدال على سفههم ؛ إذ ما يستعجل العذاب إلا أحمق جاهل .. وعذاب من استعجلوه؟؟ (عذاب الله)

قال تعالى : {أَفَعَدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ} ^١

بل وتعجب سبحانه من جهل الكفرة الذين يطالبون الرسول ﷺ بإتيان العذاب من

الله ^٢ قال تعالى : {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} ^٣ ..

٣ - بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكرهية له ؛ حتى سألوا العذاب العام ، ولا يرون راية الحق تظهر ودين الله ينتصر ..

قال الجزائري عند بيان قوله تعالى : {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ^٤ : "ما زال السياق في التنديد ببعض أقوال المشركين

فهذا التضرع بن الحارث القائل في الآيات السابقة : {لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

الْأُولَى} ^٥ ، يخبر تعالى أنه قال : {اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا} أي القرآن {هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا

حِجَارَةً} فنهلك بها ، ولا نرى محمداً ينتصر دينه بيننا ، {أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} حتى نتخلص

من وجودنا ..!! ^٦ . وبذا تبين أن طغيان النفس يتولد عنه كل شر .. وحملة إظهار مثل

هذا القول ؛ شدة عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ ليؤهم أنه على بصيرة من أمره ، وأن

غاية الثقة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه ليس على حق .. ^٧

^١ - (سورة الشعراء - ٢٠٤) و (سورة الصافات - ١٧٦) .

^٢ - أيسر التفاسير (٤ / ١٤٥) .

^٣ - (الحج - ٤٧) ، (العنكبوت - ٥٣) .

^٤ - (سورة الأنفال - ٣٢) .

^٥ - (سورة الأنفال - ٣١) .

^٦ - أيسر التفاسير (٢ / ٣٠٣) .

^٧ - تفسير الواحدي (١ / ٤٣٩) .

٤ - تأخير العذاب لم يكن عن عجز ؛ إنما هو لحكمٍ عالية ، ونظامٍ دقيق ؛ إذ كل شيء له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر^١ .

قال تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ أَلَّا أَجَلَ مَسْمًى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ }^٢ ولولا الأجل المعين لحلول العذاب بهم لجاءهم العذاب آجالاً ؛ لأن كفرهم يستحق تعجيل عقابهم .
ولكن الله أراد تأخيره لحكمٍ عالية ..

أ) إمهالهم ليؤمنوا ..

ب) ليعلموا أن الله لا يستفزّه استعجالهم ..

ج) إظهار رحمته - سبحانه - بعباده وحلمه عليهم^٣ .

٥ - تحذير الأمم المكذبة المستعجلة العذاب أن يجلّ بها ، ما حلّ بسابقتها من الإهلاك والعذاب

قال تعالى : { فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ }^٤ .

" فَإِنَّ لَهُمْ قِسْطًا مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِأَصْحَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالتَّكْذِيبِ ، فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ فَإِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ وَاحِدَةٌ "^٥ .

٦ - تحقيق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم الذي استعجلوه ..

{ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ }^٦ .

" فالحق سبحانه يحذرهم من وقوع ما استعجلوه ، وغيرهم بدنوه وقربه منهم .. فقد

قرب وأوشك أن يقع بكم { بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ } من العذاب .. وكان ذلك يوم

بدر ..^٧

١ - أيسر التفاسير / الجزائري (٤ / ١٤٦) .

٢ - (سورة العنكبوت - ٥٣) .

٣ - أيسر التفاسير / الجزائري حاشية رقم (٢) (٤ / ١٤٦) .

٤ - (سورة الذاريات - ٥٩) .

٥ - تفسير السعدي . ٩٦٥ .

٦ - (سورة النمل - ٧٢) .

٧ - أنظر تفسير السعدي ص ٢٥٠ .

وهو ما أشارت إليه أولى آيات سورة المعارج قال تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} هو عذاب يوم بدر .. وقد قتل يومئذ النضر وأبو جهل .. والتعبير بالماضي للدلالة على تحقق وقوع العذاب الذي استعجلوه بقولهم: {فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ ..} ١ .

و ما بينت آية الحج من إنحاز وعد المولى الذي لا يُخلف .. {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ} ٢ . فهم يستعجلونك يا محمد بما تعدهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا.. ولن يخلف الله وعده الذي وعده فيهم من إحلال عذابه ونقمتهم لهم في عاجل الدنيا وقد فعل ذلك، ووفى لهم - سبحانه - بما وعدهم فقتلهم يوم بدر ٤ .

٧- علم مجيء العذاب لله وحده، و مهمة الرسل الإبلان والإندانر.
فالحنق سبحانه يأمر رسوله صلى عليه وسلم أن يجيب على تساؤلات المشركين عن العذاب واستعجالهم ومطالبتهم ببيان أن هذا الأمر ليس في مكنته ومقدرته ، " وأن علم مجيء العذاب لله وحده ، وأن مهمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الإبلان والإندانر .. ٥

قال تعالى: {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} ٦ .

فأنا أبلانكم من ربكم (الإندانر و الإعانر) ، فأما العلم بوقت مجيء العذاب فما أوحاه الله إليّ ؛ فأنتم تجهلون بإصراركم على الكفر واقترانكم ما ليس من وظيفة الرسل ٧ .
٨- بيان حالهم عند نزول العذاب الدينوي أو الأخروي..

١- (سورة الأنفال - ٣٢).

٢- روح المعاني / الألوسي (٢٩ / ٥٥) .

٣- (سورة الحج - ٤٧).

٤- تفسير الطبري (١٧ / ١٨٣).

٥- أنظر أيسر التفاسير / الجزائري (٥ / ٦١) .

٦- (سورة الأحقاف (٢٢ - ٢٣) .

٧- أنظر فتح القدير / الشوكاني (٥ / ٢٩) .

إذ يلحقهم ضعف وذل وهوان .. وهلاك ودمار.. قال تعالى: {لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا
العَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ
مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ }^١ .

فطول العمر وسعة الرزق لا تغنيان عن صاحبها شيئاً من عذاب الله إذا نزل به (٥) فلم
يغن ذلك عنهم شيئاً لا يدفع العذاب، ولا بتأخيره، ولا بتخفيفه^٢؛ ومن ذلك ما حلَّ بقوم
عاد حين استبشروا بالعارض؛ الذي كان فيه الهلاك والدمار... {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ

فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ }^٣ . فقد حُبِس المطر عنهم زماناً ، فلَمَّا رَأَوْا العذاب مقبلاً قالوا: {هَذَا

عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا }^٤ ... فاستبشروا به ... فجاءت ريحٌ فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء

بالرجل الغائب فلتلقيه، وتحمل الضغينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة^٥ ...

{كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ }^٦، الذين استعجلوا العذاب فلَمَّا حلَّ بهم لم يطيقوه،

فهلكوا عن ضعفٍ وذلٍ وهوان..

أمَّا يوم القيامة فيبكتهم الله - سبحانه وتعالى - حين يلقون في النار ويستغيثون

ويصرخون {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ }^٧ يعذبون فتقول لهم الخزنة {ذُوقُوا قَتْلَكُمْ هَذَا }^٨

^١ - سورة الشعراء (٢٠١ - ٢٠٧) .

^٢ - أنظر المرجع السابق (٣ / ٦٨٦)

^٣ - (الأحقاف - ٢٤) .

^٤ - (الأحقاف - ٢٤) .

^٥ - تفسير الطبري (٢٦ / ٢٥ ، ٢٦) باختصار .

^٦ - (الأحقاف - ٢٥) .

^٧ - (الذاريات - ١٣) .

^٨ - (الذاريات - ١٤) .

العذاب {الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} ^١ وقوعه استهزاءً وتظنون أنه غير كائن ^٢ . فقد وصلتكم إليه فالآن تمتعوا بأنواع العقاب .. ^٣

١ - (الذاريات - ١٤) .

٢ - تفسير المراغي (٩ / ٢٨٥) .

٣ - تفسير السعدي ص ٩٦٥ .

الفصل الثاني : (أسباب العجلة)

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: (أسباب العجلة المحمودة).

وفيه مطالب:

المطلب الأول: طلب رضا الله

المطلب الثاني: المسارعة إلى سبيل الخير

المطلب الثالث: مخالفة أهل الكتاب

المطلب الأول : طلب رضا الله

كان الله تعالى قد واعد موسى أن يأتيه ، ليتزل عليه التوراة ثلاثين ليلة ، فأتمها بعشر.. (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر.. فتم ميقات ربه أربعين ليلة) ^١ .
 فلما تم الميقات ، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور للموعود شوقاً لربه ، وحرصاً على موعده، فقال الله له : { وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى } ^٢ ما الذي قدمك عليهم ؟
 و لِمَ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى تَقْدِمَ أَنْتَ وَهَمَّ ؟ .. فقال : { هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثْرِي } ^٣ قريباً مني..
 وسيصلون في أثري، والذي أعجلني إليك يا رب، الطلب لقربك، و المسارعة إلى رضاك ،
 والشوق إليك ^٤ .

فكنى عن ذكر الشوق وصدقه إلى ابتغاء الرضا^٥ من الله ؛ فإن المسارعة إلى امتثال أمرك ، و الوفاء بعهدك توجب مرضاتك ... ^٦ ومن أهل العلم من رأى أن المراد زيادة الرضا ؛ إذ الرضا من الله عن الأنبياء حاصل - لا شك - فقال في تفسير (رب لترضى) أي لتزداد عني رضا .. ^٧ فالحامل على عجلتي إليك طلب استدامة رضاك بالمبادرة إلى أمرك ^٨ . فموسى عليه السلام اعتذر عن تعجله بأنه عجل إلى استجابة أمر الله مبالغاً في إرضائه.. ^٩

^١ - (سورة الأعراف - ١٤٢) .

^٢ - (سورة طه - ٨٣) .

^٣ - (سورة طه - ٨٤) .

^٤ - تفسير السعدي ص ٥٤٧ .

^٥ - تفسير القرطبي (٢٣٣ / ١١) .

^٦ - تفسير البيضاوي (٦٤ / ٤) .

^٧ - تفسير ابن كثير (١٦٢ / ٣) و أنظر تفسير البغوي (٢٢٧ / ٣) وتفسير الشوكاني (٣٧٩ / ٣) .

^٨ - روح المعاني للألوسي (٢٤٢ / ١٦) .

^٩ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٦١ / ١٦) .

كما أنّ الذين يعجّلون التوبة من حين صدور الذنب منهم إنّما يُسارعون - أيضاً - إلى رضا الله، و مغفرته، ويطمعون في سعة رحمته مهما صدر منهم من ذنب، فغفوا الله أعظم و أشمل .. و هو سبحانه أجود و أكرم ..

قال القرطبي : (قال علماؤنا: الباعث على التوبة وحلّ الإصرار إدامة الفكر في كتاب الله ، وما ذكره سبحانه من تفاصيل الجنة ، وعذاب النار ، ودام على ذلك حتى قَوِيَ خوفه، ورجاؤه فدعا الله رغباً ورهباً^١) والمعجلّ بالتوبة يناله من توفيق الله للتوبة ، ورحمته ورضاه ، ما لا ينال المصرّ على المعصية والمسوّف بالتوبة^٢.

وقد أمر الله سبحانه و تعالى بالمسارعة إلى التوبة باعتبارها من أسباب المغفرة ورضا الله قال تعالى : { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ }^٣ فالمغفرة تتضمن رضاه عنهم ، و إدخالهم جناته وقد ذكر من أسباب تلك المغفرة الموجبة للرضا منه - سبحانه - : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ }^٤

١ - تفسير القرطبي (٤ / ١٣٦) .

٢ - مفهوم كلام الشيخ السعدي أنظر تفسيره ص ١٥٨ .

٣ - سورة آل عمران (١٣٣) .

٤ - فتح الرحمن / أبو زكريا الأنصاري ص ٩٧ .

٥ - سورة آل عمران (١٣٥) .

المطلب الثاني : المسارعة إلى سُبُل الخير

المسارعة إلى سُبُل الخير أحد أسباب العجلة المحمودة فالمؤمن الذي يُبادر إلى الأعمال الصالحة و ينافس إخوانه في أمور الخير ، دافعه في ذلك المسارعة إلى سبل الخير .. وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى الخيرات .. وعلى رأس تلك الخيرات التوبة.. قال تعالى : {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} ^١ أي إلى أسبابها كالتوبة وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى شيئين : مغفرة الذنوب ، وذلك بالتوبة النصوح ، والثاني : إلى دخول الجنة..

والمسارعة إلى الجنة ، هي المسارعة إلى موجبات دخولها ، وهي الإيمان و العمل الصالح ؛ إذ بهما تزكوا الروح و تطيب فتكون أهلاً لدخول الجنة ^٢ .
 وحينما كان الحديث عن شأن تحويل القبلة أمر الله عباده بالاستباق للخيرات، "شكراً للنعمة" ^٣ و مسارعة للخيرات .. قال تعالى : {وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} ^٤
 كأنه قيل "هذه هي القبلة فبادروا واستبقوا الخيرات" ^٥ فالأمر هنا أمرٌ بالبدار إلى فعل الخير والعمل الصالح ، وناسب هذا أن من جعل الله له شريعة أو صلاة فينبغي الاهتمام بالمسارعة إليها .. ^٦ فمبادرة المؤمن إلى الخيرات ؛ إنما هو مسارعة منه إلى سبل الخير ..
 وقد كان هذا دأب الأنبياء عليهم السلام {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ} ^٧

^١ - سورة آل عمران (١٣٣) .

^٢ - تفسير البيضاوي (١ / ٢٩٦) .

^٣ - أيسر التفاسير / الجزائري (١ / ٣٨٠) .

^٤ - أنظر البحر المحيط (١ / ٤٣٩) .

^٥ - (البقرة - ١٤٨) .

^٦ - الجامع / القرطبي (١ / ١١٢) .

^٧ - البحر المحيط (١ / ٤٣٩) .

^٨ - (الأنبياء - ٩٠) .

يسارعون في عمل القربات والطاعات^١ و يبادرون إلى أبواب الخير^٢، ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة. ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها إلا انتهبوا الفرصة فيها^٣.

وهكذا الصالحون والمتقون {يسارعون في الخيرات} فهم في ميدان التسارع في أفعال الخير، همهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما يُنجي من عذابه، فكل خير سمعوا به أو سنحت لهم الفرصة؛ انتهبوه وبادروه، قد نظروا على أولياء الله وأصفيائه، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى عند ربهم، فنافسوه^٤.

والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف الهمة والجد للخيرات، أي لفعلها، تشبيهاً للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر إلى المكان المقصود الجاد في مسالكه^٥.
(وسارعوا إلى) عُدِّي بـ(إلى) دون (في) للإيدان بكونهم داخلين في الخيرات، غير خارجين عنها^٦.

كما قال عز وجل: {سابقوا} لإلهاب النفوس بصرف العناية بأقصى ما يمكن من الفضائل، كفعل من يسابق غيره إلى غاية؛ فهو يحرص على أن يكون الجلي^٧.
فابتدروا الخيرات انتهازاً للفرصة، وحيازةً لفضل السبق والتقدم^٨.

^١ - تفسير ابن كثير (٣ / ٢٠٣).

^٢ - تفسير البيضاوي (٢ / ٤٣١).

^٣ - تفسير السعدي ص ٥٦٩.

^٤ - (سورة المؤمنون - ٦١).

^٥ - تفسير السعدي ص ٥٩٨.

^٦ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (١٧ / ٩٩).

^٧ - تفسير البيضاوي (٢ / ٤٣١) حاشية (١).

^٨ - سورة الحديد (٢١).

^٩ - البحر المحيط (٨ / ٢٢٤).

^{١٠} - تفسير البيضاوي (١ / ٤٤١).

المطلب الثالث: مخالفة أهل الكتاب

كان النبي **ر** يجب مخالفة أهل الكتاب ، وسائر الكفار ، وكان يخاف على أمته إتباعهم ، ألا ترى إلى قوله **ر** - على التوبيخ : (لتتبعن سنن الذين كانوا قبلكم حذو النعل بالنعل ، حتى إن أحدهم لو دخل جحر ضب لدخلتموه)^١ ؛ لذا ندب **ر** (التسحر) ، ولو بجرعة ماء ، ويدخل وقته بنصف الليل ، ومن حكمته : التقوي على الصيام ، ومخالفة أهل الكتاب .

وقد عُدَّ من خصائص هذه الأمة التسحر وتعجيل الفطر^٢ . ففي تعجيل الفطور للصائم تحقيقاً للسنة ومخالفة لأهل الكتاب .

و قد روي عن ابن عمر **t** مرفوعاً (لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر)^٣ أي ما داموا على هذه السنة ؛ لأن تعجيله بعد تيقن الغروب من سنن المرسلين ، فمن حافظ عليه تخلّق بأخلاقهم ؛ ولأن فيه مخالفة أهل الكتاب في تأخيرهم إلى اشتباك النجوم ، كما أنه شعار أهل البدع ، فمن خالفهم ، واتبع السنة لم يزل بخير^٤ .

فالمتعين تعجيل الإفطار إذا تحقّق المسلم من الغروب، وتأخير السحور إلى آخر الليل، وعلّة هذا مخالفة أهل الكتاب..

قال ابن تيمية^٥: (وهذا نصٌّ في ندب تعجيل الفطر ، لأجل مخالفتهم ، وإذا كانت مخالفتهم سبباً لظهور الدين؛ فإنما القصد بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله ؛ فتكون نفس مخالفتهم من أعظم مقاصد البعثة)^٦ أ.هـ -

١ - التمهيد / لابن عبد البر (٥ / ٤٥) .

٢ - فيض القدير / المناوي (٦ / ٢٤٤) .

٣ - الحديث متفق عليه سبق تخريجه ص ٩٧ .

٤ - فيض القدير / المناوي (٦ / ٤٥٠) .

٥ - سبق ترجمته ص ٤٤

٦ - فيض القدير / المناوي (٤ / ٣٠٧) .

المبحث الثاني : أسباب العجلة المذمومة:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: العجلة من مظاهر السلوك الإنساني المطلب

الثاني: الكفر والشرك

المطلب الثالث: الغضب

المطلب الرابع : الضعف

المطلب الأول: العجلة من مظاهر السلوك الإنساني..

العجلة إحدى خصائص الإنسان، تدفعه ليتطلع دائماً إلى ما بعد اللحظة القائمة لما سيكون من أعمال، أو ما هو كائن فعلاً في اللحظات القادمة مباشرة.. هذا الإنسان

الضعيف العجول.. يريد أن يمتدّ طويلاً ببصره بأسرع ما يكون، إلى ما سيأتي ويستجدّ من أمور؛ ليقطف ثماره ولو قبل أوانه. فهذه صفة الإنسان عموماً.. {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} ٢١. "رُكِبَ عَلَى الْعَجَلَةِ، فَبَنَيْتَهُ الْعَجَلَةَ، وَخَلَقْتَهُ الْعَجَلَةَ" ٣. "والأحسن أن يكون تقديره (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) ٤؛ لكثرة فعله إياه واعتياده له.. ٥" ونظير هذه الآية قوله تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} ٦ {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} ٧ لأنَّ الْعَجَلَ ضَرَبٌ مِنَ الضَّعْفِ؛ لما يؤذَنُ به من الضرورة والحاجة.. " والله سبحانه لم يعاجل عبده بالعقوبة؛ بل يمهل، ويُحَدِّثُ له الذكر شيئاً بعد شيء.. ويصرِّفُ له الآيات، وينبِّهه على مبدئه من كونه نطفة من مني يُمْنِي ثمَّ علقه ثمَّ خلقاً سوياً، فلم يَعَجَلْ عليه بالخلق وهلةً واحدة، ولا بالعقوبة إذ كَذَّبَ خبره.. وعصى أمره؛ بل كان خلقه وأمره وجزاؤه بعد تمهّلٍ وتدرّيج؛ ولهذا ذمَّ الإنسان بالعجلة بقوله: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} ٨، {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ} ٩. "فكأنه خلق من العجلة؛ لفرط استعجاله وقلة ثباته، مبالغة في لزوم الصفة به ١٠".

" فهذا طبع الإنسان (العجلة) فيستعجل كثيراً من الأشياء، وإن كانت مضرّة ١١ ولذلك يستعجل ربه بالعذاب.. ١٢ وغيره ممَّا يضرّه؛ لذا نزل في استعجال الكفار

١ - (سورة الأنبياء - ٣٧) .

٢ - لمحات نفسية في القرآن الكريم / عبد الحميد الهاشمي ص ٩١ .

٣ - (لسان العرب / ابن منظور (٤٢٨/١١) مادة (عجل) والقول للفراء .

٤ - (الأنبياء - ٣٧) .

٥ - لسان العرب / ابن منظور (٤٢٨/ ١١) مادة (عجل) والقول (لابن جني) .

٦ - (الإسراء - ١١) .

٧ - (سورة النساء - ٢٨) .

٨ - (سورة الإسراء - ١١) .

٩ - (سورة الأنبياء - ٣٧) .

١٠ - تفسير البيضاوي (٤/ ٩٣) .

١١ - تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٨) .

١٢ - تفسير الطبري (١٧/ ٢٨) .

العذاب {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} ^١ أي أنه لكثرة عجلته في أحواله كأنه خلق منها..
 {سَأْرِيكُمْ آيَاتِي} ^٢ مواعيدي بالعذاب ، {فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ} ^٣ فيه ، وقد أراهم القتل
 ببدر. ^٤

المطلب الثاني : الكفر والشرك

{خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} ^٥ جعل لفرط استعجاله وقلة صبره ؛ كأنه مخلوق منه ، تزيلاً لما
 طُبع عليه من الأخلاق منزلة ما طُبع منه من الأركان ؛ إيداناً بغاية لزومه ، وعدم انفكاكه

١- (سورة الأنبياء - ٣٧) .

٢- (سورة الأنبياء - ٣٧) .

٣- (سورة الأنبياء - ٣٧) .

٤- تفسير الجلالين ص ٤٢٤ .

٥- سورة الأنبياء - (٣٧) .

عنه .. ومن عجلته : مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد فقد روي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث^١ حين استعجل العذاب بقوله: {اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنًا بِعَذَابِ الْيَمِّ} {٣٢} .

فقد خلق الإنسان من عجل يستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت مُضِرَّةً^٤ ولذلك يستعجل ربه العذاب .. وفي الآية السابقة لقوله تعالى: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} {٦} ما يدل دلالة صريحة واضحة على أن من أسباب استعجالهم : كفرهم وشركهم وعنادهم، قال تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَآتِيهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لِمَ كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَالَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ كَانُوا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ بَلْ كَانُوا هُمُ الْكَاذِبِينَ} {٧} فبيّن كفرهم ثم أتبعه ببيان {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} ليدل على أن سبب استعجالهم العذاب ليس ما جُبلوا عليه من العجلة فحسب ، بل ثمة سبب آخر يكمن خلف استعجالهم العذاب وهو (كفرهم) ، ثم أعقب قوله تعالى: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} بقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {٩}؛ إخباراً منه تعالى عن المشركين أنهم كانوا يستعجلون بوقوع العذاب بهم تكديباً وجحوداً وعناداً واستبعاداً ..^{١٠}

١ - النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، كان أحد وجوه قريش وشجعانها، وهو ممن بالغ في أذية النبي ﷺ بمكة، حمل لواء قريش يوم بدر، وأمر النبي ﷺ بقتله صبياً في ذلكم اليوم. انظر: معجم البلدان، الحموي (١١٢/١)، الجرح والتعديل/ الرازي (٢٨/١)، السيرة/ لابن هشام (٣٠٠/١-٧١٠).

٢ - (الأنفال - ٣٢) .

٣ - تفسير أبي السعود (٦٧/٦) .

٤ - تفسير القرطبي (٢٨٨/١١) .

٥ - تفسير الطبري (٢٨/١٧) .

٦ - (الأنبياء - ٣٧) .

٧ - (الأنبياء - ٣٦) .

٨ - (الأنبياء - ٣٧) .

٩ - (الأنبياء - ٣٨) .

١٠ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (١٨٠/٣) .

وحيثما أنكر الله في سورة الصافات على المشركين استعجالهم بالعذاب : {أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ} ^١، بين في الآية السابقة لها الدافع لذلك : قال تعالى : {فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ} ^٢ فقد كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب .. ^٣
وحيث أخبر سبحانه بقرب وقوع العذاب فهاهم عن الاستعجال وبين أن شركهم كان
وراء استعجالهم العذاب قال تعالى : {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ^٤
قال الشوكاني : (وشركهم ها هنا هو ما وقع منهم من استعجال العذاب .. استهزاءً
وتكديباً) أ.هـ ^٥ .
وقد بين الله في ختام سورة مريم ^٦ أن سبب استعجال الكفار العذاب ناشئ عن الكفر
والشرك والطغيان الحاصل عن أز الشياطين لهم بالباطل ، قال تعالى : {الْمُتَرَانِّئًا أَرْسَلْنَا
الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوذُّهُمْ أَزًّا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُهُمْ عَدًّا} .

المطلب الثالث: الغضب

^١ - سورة الصافات (١٧٦).

^٢ - (سورة الصافات - ١٧٥) .

^٣ - تفسير ابن كثير (٢٥/٤) .

^٤ - (النحل - ١) .

^٥ الشوكاني: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، ولد عام: ١١٧٣هـ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، نشأ بصنعاء، وولي قضاءها، له تصانيف كثيرة منها: "نيل الأوطار" و"البدر الطالع" وغيرها، مات: سنة ١٢٥٠هـ . انظر: الأعلام (٢٩٨/٦) .

^٦ - فتح القدير / الشوكاني (١٤٧/٣) .

^٧ - (الآيتان : ٨٣ ، ٨٤) .

قد يدفع الغضبُ المرءَ للدعاء على نفسه وأهله بالشر، قال تعالى: {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} ^١ ففي وقت الضجر قد يلعن نفسه وأهله وولده، ولو استجيب له في الشر كما يُستجاب له في الخير لهلك ^٢. وهو في بعض أحيانه - كما عند الغضب - يدعو الله بما هو شرٌّ؛ يحسب جبلته عجولاً ضجرًا لا يتأني إلى أن يزول عنه ما يعتريه ^٣. وهذا يدل على سفهه وقلة عقله، وهو لا يريد علو الشر عليه.. و غاية فعله الهلاك.. لكن الله يتداركه برحمته فلا يستجيب له.. ^٤ {وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ} ^٥.

وقد تكون هذه التعبيرات الانفعالية في ساعات الفشل أو الإحباط أو في مواجهة الشدائد والأزمات تسبب كره المرء للحياة أصلاً، ومن ثمَّ دعائه على نفسه بالويل و الثبور.. وعلى المؤمن مواجهة الشدائد بقلب صابر، ونفس مطمئنة ^٦.

وموسى عليه السلام دفعته عجلته إلى أن يأخذ {برأس أخيه يجره إليه} ^٧.. وقد كان سبب تلك العجلة ما كان فيه من أسفٍ وغضب.. {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} ^٨؛ "قال أبو الدرداء: الأسف منزلة وراء الغضب.."^٩

المطلب الرابع : الضَّعْف

^١ - (سورة الإسراء - ١١) .

^٢ - التفسير الكبير / الرازي (١٩ / ١٦٢) .

^٣ - تفسير أبي السعود (٥ / ١٥٩) .

^٤ - نظم الدرر / البقاعي (٤ / ٣٦٥) .

^٥ - (يونس - ١١) .

^٦ - أنظر لمحات نفسية / القرآن الكريم / د. عبد الحميد الهاشمي ص ٩٢ باختصار .

^٧ - (سورة الأعراف - ١٥٠) .

^٨ - (سورة الأعراف - ١٥٠) .

^٩ - تفسير القرطبي (٧ / ٢٨٦) .

الضعف خلاف القوة ..

وقيل الضَّعْف - بالضم - في الجسد ، و الضَّعْف - بالفتح - في الرأي والعقل ..^١
وأخبر الحقّ | أن الإنسان خُلِق من ضعف ، قال تعالى : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا} ^٢ .

كما بيّنت آية النساء^٣ أنه ليس أحد يعري في خلقه عن ضعف {وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا} لِمَا
أفادته (أل) الجنس من استغراق الأفراد ..^٤

ونظير هذه الآية قوله تعالى : {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ} ^٥ فالعجل ضربٌ من الضعف ؛ لما
يؤذّن به من الضرورة والحاجة ..

ومن أسباب عجلة المرء الدعاء عند واردات الشدائد، فر بما دعا على نفسه أو غيره
بالهلاك و نحوه ...

كما أنّ من دلائل ضعفه أنه ربما استعجل قتل نفسه ؛ لضعفه عن تحمل الآلام ، كما
جاء في الصحيحين^٦ عن سهل بن سعد الساعدي^٧ أنّ رسول الله ﷺ التقى هو والمشركين
فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب
رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأ منا
اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله ﷺ: أما إنه من أهل النار، فقال رجل من
القوم: أنا صاحبه. قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، فجرح
جرحاً شديداً؛ فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل
على سيفه، فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنّك رسول الله،

^١ - لسان العرب / ابن منظور (٢٠٣/٩) مادة (ضعف) .

^٢ - (سورة الروم - ٥٤) .

^٣ - آية (٢٨) .

^٤ - الإتيان في علوم القرآن / السيوطي (٤٤٠/١) .

^٥ - (سورة الأنبياء - ٣٧) .

(١) - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب / لا يقول فلان شهيد حديث (٢٧٤٢) (١٠٦١/٣) .
ومسلم في كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، وإن من قتل نفسه بشيء عُدّب به في النار وأنه لا
يدخل الجنة حديث (١١٢) (١٠٦/١) .

^٦ - سهل بن سعد: أبو العباس سهل بن سعد الأنصاري، روى له البغوي. انظر: الكنى والأسماء (٦٠٩/١) .

قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آفعا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك. فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحاً شديداً؛ فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل عليه؛ فقتل نفسه. فقال رسول الله ﷺ - عند ذلك - : إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة - فيما يبدو للناس - وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار - فيما يبدو للناس - وهو من أهل الجنة) .
وأخرج مسلم عن الحسن^١:-

أن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته انتزع سهماً من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات ، قال ربكم: {فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} ^٢ أ. هـ .

قال القاضي - رحمه الله - إن هذا محمول على أنه نكأها استعجالاً للموت أو لغير مصلحة ، فإنه لو كان على طريق مداواة التي يغلب على الظن نفعها لم يكن حراماً^٣ فاستعجاله للموت لضعفه عن احتمال الألم ..

وقد نهي الله عن أن يقتل المرء نفسه في حال ضجر أو غضب^٤ قال تعالى : {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} ^٥ ويدخل في ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة ، وفعل الأخطار المفضية بالنفس إلى التلف والهلاك^٦ .

^١ - هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، ونشأ بوادي القرى ورأى عثمان وعلياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم وحضر يوم الدار وهو بن أربع عشرة سنة . كان - رحمه الله - جامعاً عالماً ربيعاً فقيهاً ثقة حجة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً ، قال قتادة: وما كان أحد أكمل مروءة من الحسن . انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٥٦٣) والكنى والأسماء (١/٣٥٧) .

^٢ - كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث (١١٣) (١/١٠٧) .

^٣ - شرح النووي على صحيح مسلم (٢/١٢٧) .

^٤ - تفسير القرطبي (٥/١٥٦) .

^٥ - (سورة النساء - ٢٩) .

^٦ - تفسير السعدي ص ١٦٢ .

الفصل الثالث : آثار العجلة

فيه مبحثان :

المبحث الأول: آثار العجلة المحمودة

وفيه مطالب:

المطلب الأول : محبة الله

المطلب الثاني : الثقة بموعد الله

المطلب الثالث : الثبات والعمل الصالح

المطلب الرابع : دخول الجنة

المطلب الخامس : التكفير والتطهير

المطلب الأول: محبة الله

تعدّ محبة الله أحد آثار تعجيل الجزاء الحسن للعبد في الدنيا .. فقد أخرج مسلم^(١) والترمذي^(٢) عن أبي هريرة^(٣) أنّ النبي ﷺ قال : (إذا أحبّ الله عبداً نادى جبريل إني

^١ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

قد أحببت فلان فأحبه فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض ، فذلك قول الله: أن النبي **ر** قال : (إذا أحبَّ الله عبداً نادى جبريل إنِّي قد أحببت فلان فأحبه فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض ، فذلك قول الله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }^٣ .^٤

فهو سبحانه سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرّض لأسبابها^٥ .
فهذا من نعمة الله على عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يجعل لهم وداً أي محبة ووداداً في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض^٦ .
وقد أخرج الحديث البخاري^٧ أيضاً ، دون ذكر الآية ، وبزيادة وضع القبول في الأرض : فعن أبي هريرة **ت** مرفوعاً (إنَّ الله إذا أحبَّ العبد نادى جبريل إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبهه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل في أهل السماء إنَّ الله يحبُّ فلاناً فأحبهه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض)^٨ .

^١ - الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الضحاك السلمي، صاحب جامع، طاف البلاد وسمع خلقاً كثيراً من: الخراسانيين، والعراقيين، والحجازيين وغيرهم. يضرب به المثل في الحفظ مات بترمذ في رجب سنة: ٢٧٩هـ. انظر: طبقات الحفاظ (٢٨٢/١).

^٢ - أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، صاحب رسول الله، سيد الحفاظ الأثبات، مات سنة: ٥٧هـ . انظر: "سير أعلام النبلاء" (٥٧٨/٢)، وأسد الغابة (١٢٧/٣)، والإصابة (٢٠٢/٤، ٢١١).

^٣ - سورة مريم (٩٦) .

^٤ - أخرجه مسلم في كتاب البر والصلوة والآداب، باب إذا أحبَّ الله عبداً حبه إلى عباده حديث (٢٦٣٧) دون ذكر الآية (٢٠٣٠/٤). وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب (ومن سورة مريم) حديث (٣١٦١) (٣١٧/٥) .

^٥ - تفسير البيضاوي (٣٦/٤) .

^٦ - تيسير الكريم الرحمن / السعدي (ص ٥٣٥) .

^٧ - البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الحافظ العالم، صاحب الصحيح، أهم حفظ الحديث وهو ابن عشر سنين. انظر: طبقات الحفاظ (٢٥٢/١)، وتذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢) .

^٨ - كتاب بدء الخلق باب : ذكر الملائكة حديث (٣٠٣٧) (١١٧٥/٣) ، وأيضاً في كتاب الآداب ، باب : المقة من الله حديث (٥٦٩٣) (٢٢٤٦/٥) .

قال النووي^١ - رحمه الله - : (أي الحبّ في قلوب الناس ، ورضاهم عنه .. تميل إليه القلوب وترضى عنه .. فذلك قول الله : { سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا }^٢ ٣ أ.هـ .

قال ابن كثير^٤ - رحمه الله - يخبر تعالى أنّه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وهي الأعمال التي تُرضي الله لتابعيتها الشريعة الحمديّة ، يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة و مودة ، وهذا أمرٌ لا بد منه و لا محيد عنه^٥ أ.هـ .

وقد بوّب الإمام مسلم^٦ - رحمه الله - : في كتاب البرّ والصلة والآداب باب : (إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضرّه) ، وأورد فيها الحديث المرفوع : رأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه ؟ قال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)^٧ .

و معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير هي: دليل على رضا الله تعالى عنه، ومحبتة له، فيُحبّبه إلى الخلق^٨ ..

و قال الحافظ ابن حجر في الفتح^٩ - ويؤخذ منه^{١٠}: أنّ محبة قلوب الناس علامة محبة الله... والمراد بمحبة الله: إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة: استغفارهم له، وإرادتهم خير الدارين له، وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعاً لله ، محباً له ..

و محبة العباد له: اعتقادهم فيه الخير، وإرادتهم دفع الشرّ عنه ما أمكن.. وقد تُطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادته إيجابه، وعلى إرادة تكميله، والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني، وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة، من المعلومات التي لا تُحدّد .. ، وإتّما يعرفها من قامتْ به وجداناً لا عنه .. والحبّ على ثلاثة أقسام: إلهي، و روحاني، و طبعي ..

^١ - سبقت ترجمته ص ٤٥ .

^٢ - (مریم - ٩٦) .

^٣ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/١٦) .

^٤ - سبق ترجمته ص ٤٣ .

^٥ - تفسير ابن كثير (١٤١/٣) .

^٦ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

^٧ - حديث (٢٦٤٢) عن أبي ذر t (٢٠٣٠/٤) .

^٨ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٩/١٦)

^٩ - (٤٦٢/١٠) .

^{١٠} - أي من حديث (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبّه) الوارد في الصفحة السابقة

وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة: فحبّ الله العبد حبّ إلهي، وحبّ جبريل والملائكة حبّ روحاني، وحبّ العباد له حبّ طبيعي.. أ.هـ.

وقد ذكر النووي^(١) معنى محبة الله الواردة في الحديث بآئها: (إرادته الخير له، وهدايته، وإنعامه، ورحمته)^٢.

و سبب هذه المحبة التماس العبد مرضاة الله تعالى^٣ وفي الحديث: (لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)^٤.

قال ابن رجب^٥ - رحمه الله - في معرض بيان الحديث: (ومعرفة الله لعبده نوعان .. معرفة عامة، وهي علمه تعالى بعباده وإطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه... والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجائه من الشدائد، وهي المشار إليها في الحديث)^٦ أ.هـ.

فالذين يسارعون إلى الخيرات، ويتقربون إلى المولى بالنوافل من الطاعات، هم محبوبون لدى المولى بدلالة الكتاب والسنة ..

و الذين يتعجلون بالتوبة ويبادرون بها - لا شك - أنهم قد نالوا محبة الله ورضاه كأثر من آثار ذلكم التعجيل..

فالله U أخير بمحبته للتوابين قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} ^٧.. والتّواب: الذي كلما أذنب ذنباً تاب^٨، وهو العبد الكثير التوبة^٩ المعجل بها من حين

^١ - سبق ترجمته ص ٤٥.

^٢ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٤/١٦).

^٣ - انظر: فتح الباري / ابن حجر (٤٦٢/١٠).

^٤ - أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث (٦١٣٦) (٢٣٨٤/٥).

^٥ - ابن رجب: هو الإمام المحدث زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسين بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي، ولد في بغداد في ربيع الأول سنة: ٧٣٦هـ، أكثر الاشتغال حتى مهر، صتّف شرح الترمذي وغيره، مات في رجب سنة: ٧٩٥هـ. انظر: طبقات الحفاظ (٥٤٠/١).

^٦ - جامع العلوم والحكم / ابن رجب (١٨٩/١).

^٧ - (سورة البقرة - ٢٢٢).

^٨ - تفسير البغوي (١٩٨/١).

^٩ - المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٣٠.

صدور الذنب أو قريباً منه ، فصيغة المبالغة في (تواب) تدلّ على كثرة التوبة، وكثير التوبة إنّما وُصِفَ بـ (تَوَّاب) ؛ لإتيانه بالتوبة في كل وقت ، ومن كان هذا حاله فهو معجّل بالتوبة ، مبادر إليها ، فهو سبحانه يوفّقهم للتوبة فإذا ما صارت صفة لازمة لهم و غدوا (تَوَّابِينَ) أحبهم وقبّلهم عنده .

فلاية تدل على أنّ الله يحب هذا الصنف (التَّوَّاب)، المعجّل كل حين بالتوبة .
كما أنّ الذين يعجلون بأداء العبادات في أوّل وقتها ينالون جزاءً على ذلك محبة الله ورضوانه - كما مرّ معنا - قبل قليل - : (يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه)^١ ..
قال تعالى : { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَكُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ }^٢ فهو سبحانه يأمر بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها ، كما ثبت في الصحيحين^٣ عن ابن مسعود^٤ ، قال سألت رسول الله ﷺ : (أي العمل أفضل ؟ قال : الصلاة في وقتها ..) .

و عن أمّ فروة^٥ أنّها سمعت رسول الله ﷺ ذكر الأعمال فقال : (إنّ أحبّ الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها)^٦ .
فالذين يعجلون العبادات في أوّل وقتها ينالون محبة الله، ورضاه عنهم.

^١ - سبق تخريجه ص ١٩٩ .

^٢ - (سورة البقرة - ٢٣٨) .

^٣ (١) - أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب وسمّى النبي ﷺ الصلاة عملاً حديث (٧٠٩٦)

^٤ (٢٧٤٠/٦) ، ومسلم كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال حديث (٨٥) (١٨٩/١)

وحديث

(٨٥) (٩٠/١) ، وأخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها بلفظ (أيّ العمل أحب

إلى الله ..) حديث (٥٠٤) . (١٩٧/١) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال

حديث (٨٥) (٩٠/١) .

^٥ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

^٥ - أم فروة عمّة القاسم بن غنّام الأنصارية وقيل : جدته .. كانت من المبايعات روى حديثها عبد الله بن عمر العمري ، ذكر ابن عبد البر والطبراني أنّ أم فروة هذه هي بنت أبي قحافة أخت أبي بكر ، ووهما .. انظر (تهذيب التهذيب (٥٠٢/١٣) ، والنقات : (٤٦٣/٣) .

^٦ - أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث (٢٧١٤٩) (٣٧٥/٦) مسند أم فروة والطبراني في المعجم الكبير

حديث (٢٠٨) (٨٢/٢٥) .

والله **U** أمر عباده بالاستباق إلى الخيرات ، التي تورث محبته لهم ، قال تعالى :
 {فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} ، أي بادروا إليها وأكملوها ؛ فإن الخيرات شاملة لكل فرض
 ومستحب .

ويستدل بهذه الآية على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها ، وعلى أنه ينبغي
 أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزي في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة ؛
 بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات ، التي يقدر عليها لتتم وتكتمل^١ ..

قال الإمام السعدي^٢ في بيان قوله تعالى : {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} ^٣

إنَّ محبة الله للعبد هي أجلُّ نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه. و إذا
 أحبَّ الله عبدَ أيسرَّ له الأسباب، وهونَّ عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك
 المنكرات وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة و الوداد.

و من لوازم محبة الله للعبد أن يكثر من التقرب إلى الله بالفرائض و النوافل..

كما قال النبي **٣** في الحديث الصحيح عن الله : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ
 مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه
 الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ..)^٤ الحديث^٥ . وقد ذكر النبي **٣** في هذا الحديث
 الصنفين : (المقتصدین) من أصحاب اليمين، و هم المتقربون إلى الله بالواجبات،
 و (السابقين) المقربين، و هم المتقربون إليه بالنوافل والواجبات^٦ .

١ - (سورة المائدة - ٤٨) .

٢ - تفسير السعدي (ص ٢٣٥) .

٣ - سبق ترجمته ص ٥٠ .

٤ - (سورة المائدة - ٥٤) .

٥ - سبق تخرجه .

٦ - تفسير السعدي (ص ٢٣٥) .

٧ - دقائق التفسير / ابن تيمية (٢/٢٢٠) .

المطلب الثاني: الثقة بموعد الله

أنعم الله **U** على رسوله **R** و على المؤمنين بفتح مكة، ونزل في ذلك سورة كاملة تحدثت عن تفاصيل ذلكم الفتح، وما سبقه من أحداث، ومنها صلح الحديبية و فتح خيبر، وابتدأت سورة "الفتح" ببشرى الفتح ثم تلت بذكر أربعة أمور مجتمعة وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز.. فاجتمع عزّ الدارين، وأعراض العاجل والآجل " ..'، ثم عُرِضَ في ثانيا السورة بشرى تعجيل فتح خيبر، و صلح

^١ - تفسير القرطبي (٢٦١/١٦) .

الحديبية، اللذان كانا مقدمةً لفتح مكة المشهود .. قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }^١ .

فهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت شجرة السمره .
فقد روي أنه **٣** لما نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي إلى أهل مكة ، فهموا به ، فمنعه الأحابيش فرجع ، فبعث عثمان بن عفان **٢** فحيسوه فأرجف بقتله فدعا رسول الله **٣** أصحابه وبايعهم على أن يُقاتلوا قريشاً ، ولا يفرّوا عنهم ، وكان جالساً تحت سمره أو سدره^٣ . فرضي عنهم ، وأنزل السكينة والطمأنينة عليهم ، وأثابهم الفتح القريب : فتح خيبر وما غنموا فيه من مغنم كثيرة .. ثم ذكرت الآيات ما أعده الله من بشرى قد عجلها لهم .. فقال **١** : {وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ} ^٤ أي خيبر، وقيل: الحديبية^٥ ، والذي عليه الجمهور ورجحه الطبري: القول الأول ..^٦

فهو سبحانه عجل لهم هذه المغنم {وَكَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} ^٧ .

و هذا الوعد بشرى من الله للمؤمنين سمعوها و أيقنوها ، وعلموا أن الله أعد لهم مغنم كثيرة ، وعاشوا بعد ذلك ما عاشوا وهم يرون مصداق هذا الوعد الذي لا يُخلف^٨ .
و مصداقية هذا الوعد تُعزّز في نفوس المؤمنين الثقة بموعود الله .. وذلك بتعجيل الجزاء الحسن لهم في الدنيا .. وقد جعل الله ذلك آية للمؤمنين، ودلالة على صدق الرسول **٣**

^١ - (سورة الفتح الآيتان : (١٨-١٩)) .

^٢ - عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي وهو ختن النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته رقية وأم كلثوم ، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، مات سنة ٣٤ هـ . انظر التاريخ الكبير (٦ / ٢٠٨) .

^٣ - تفسير البيضاوي (٢٠٤/٥) .

^٤ - (سورة الفتح - ٢٠) .

^٥ - زاد المسير / ابن الجوزي (٤٣٥/٧) .

^٦ - تفسير الطبري (٢٨٢/٢١) .

^٧ - (سورة الفتح - ٢٠) .

^٨ - في ظلال القرآن / سيد قطب (٥٠٦/٧) .

في وعدهم فتح خير^١. ولتكون هذه التي عجلها لكم آية للمؤمنين على صدقك حيث وعدتهم أن يصيبوها^٢. ويزيدكم بصيرةً و يقيناً بصلح الحديبية ، وفتح خير^٣ ، وثقة بفضل الله وتوكلاً عليه^٤.

المطلب الثالث: الثبات والعمل الصالح

الثبات أحد آثار تعجيل الله البشري للمؤمن بالجنة عند الاحتضار . وهو من تعجيل الجزاء الحسن للمؤمن قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ }^٥
 وفي قوله: {كُنتُمْ تُوعَدُونَ} تذكير لهم بأعمالهم التي وُعد عليها بالجنة، وتعجيل لهم بمسرة الفوز برضا الله، وتحقيق وعده^١، وهذه البشري مما يكون عوناً للمرء وثباتاً في حال الاحتضار.

١ - معالم التنزيل / البيضاوي (٢٩٨/٣) .

٢ - تفسير القرطبي (٢٧٩/١٦) .

٣ - معالم التنزيل / البغوي (١٩٤/٤) .

٤ - أنوار التنزيل / البيضاوي (٢٩٨/٣) .

٥ - (سورة فصلت - ٣٠) .

و من العلماء من يرى أنّها في زمن الاحتضار و غيره ؛ لما يدلّ عليه قوله تعالى :
 {تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ}٢ من تكرار نزولهم عليهم فإذا كان ذلك في غير زمن الاحتضار، كان
 مما يعين المرء ويدفعه إلى العمل الصالح، ويكون سبباً في ثباته على الخير والحق والهدى.
 فقد بشرّ الرسول ﷺ عدداً من أصحابه بالجنة التي استحقوها برحمة الله.. ثمّ بهمهم
 العالية، و نفوسهم التوّاقة للخير والكمال ، فاستوجبوا البشرى على لسان رسول الله ﷺ ،
 والثناء الجميل من رب العالمين ٤ .

كما أنّ الثبات على الطريق الحقّ، و العمل الصالح أثران من آثار التعجيل بالتوبة..
 فمن بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، وأناب إلى الله، وندم على الذنب؛ فإنّ الله
 يتوب عليه.. بخلاف من استمر على ذنبه، فإنّه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة، والغالب أنّه
 لا يوفق للتوبة ولا يُيسّر لأسبابها .. و قد يوفق الله عبده المصّرّ على الذنوب للتوبة النافعة؛
 ولكنّ الرحمة والتوفيق للأوّل أقرب..٥

فالتوبة من أعظم الحسنات ٦ والخيرات ، إذ المعاصي تحرم العبد من العمل الصالح ، والتوبة
 تفتح له آفاق الخير ، وأبواب الطاعات ، فتنهال عليه - بإذن الله الحسنات والخيرات .
 والله U قد أمرَ عباده بالمسارعة إلى الخيرات ، والمسابقة إليها .. قال تعالى:

{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}٧

وقال A أيضاً : {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}٨

والمسارعة للخيرات سبباً في ثبات العبد على الحق وعدم زيغه .. وكلما سارع العبد
 للخيرات ؛ كلما كثرت بنوده من الطاعات ، ورصيده من الحسنات ..

١- (تفسير ابن كثير (٥٣/٤)).

٢- (سورة فصلت - ٣٠) .

٣- تفسير السعدي ص ٨١٩ .

٤- أيسر التفاسير / الجزائري (٤٧٧/٤) .

٥- تفسير السعدي ص ١٥٨ بتصرف يسير .

٦- التوبة والإنابة / ابن القيم ص ٦٥ .

٧- (سورة آل عمران - ١٣٣) .

٨- (سورة الحديد (٢١)) .

فالمسارع للخيرات والمسابق إليها أكثر من الأعمال الصالحة، التي تعينه وتثبتته على الطريق السويّ .. فالذي يهديه الله يتجه إلى الخيرات .. وكأنه يتسابق إليها؛ لأنه لا يعرف متى يموت.. ولذلك كلما تسابق إلى خير كان ذلك حسنةً أضافها لرصيدِه " ١ .

المطلب الرابع : دخول الجنة

قال تعالى : { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }^٢
 .. ثم ذكر سبحانه عدداً من صفات أولئك المتقين .. ومنها: تعجيل التوبة، والمبادرة إليها ،
 وعدم الإصرار : { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ
 إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }^٣ .

١ - تفسير الشعراوي (١ / ٦٣٨) .

٢ - (سورة آل عمران - ١٣٣) .

٣ - (سورة آل عمران - ١٣٥) .

وجعل سبحانه جزاء هؤلاء المعجلين بالتوبة من حين صدور الذنب منهم البشارة بالمغفرة ودخول الجنات .. فالمسارعة إلى الجنة هي المسارعة إلى موجبات دخولها وهي الإيمان والعمل الصالح ؛ إذ بهما تزكوا الروح وتطيب فتكون أهلاً لدخول الجنة^١ ..

كما ذكر في بدء الآيات، وهم أنفسهم المبشرون بمغفرة الله ودخول جناته في ختام الآيات قال تعالى : {أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }^٢

فقد رتب الله هذا الجزاء العظيم والفضل الكبير لهؤلاء المعجلين بالتوبة والمبادرين إليها، كذلك جعل الله الجنة جزاء الذين يسارعون إلى الخيرات ويتدرونها قال تعالى : {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }^٣، آخر السابق ليكون أقرب إلى الجنات والنعيم المشار إليه في نهاية الآية: {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ }، والمصرح به في الآية التي تليها {جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا }^٤ ^٥

و هو ما ورد أيضاً من جزاء للسابقين إلى الخيرات، المعجلين بها، والمبادرين .. قال تعالى : {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }^٦ لهم الروح ، والريحان ، وجنة النعيم .. فالسابقون هم المبادرون إلى فعل الخيرات^٧، قد استحقوا دخول الجنات بفضل الرحمن.

وإعادة ذكرهم في الآية: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ }^٨ إشارة إلى أن السابقين في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنة^٩ .

^١ - (أيسر التفاسير / الجزائري (٣٩٧/١) .

^٢ - (سورة آل عمران - ١٣٦) .

^٣ - (سورة فاطر - ٣٢) .

^٤ - (سورة فاطر - ٣٣) .

^٥ - تفسير السعدي ص ٧٥٢ .

^٦ - (سورة الواقعة الآيات (١٠-١٢)) .

^٧ - تفسير ابن كثير (٣٠٤/٤) .

^٨ - (الواقعة - ١٠) .

كما أن الله | أعدّ وهياً لـ " السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه " ، الذين سبقوا هذه الأمة و بدروها للإيمان والهجرة والجهاد ، ولإقامة دين الله ، أعدّ لهم : { جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ، وهو الفوز الذي حصل لهم فيه من كل محبوب للنفوس ، ولذة للأرواح ، ونعيم للقلوب ، وشهوة للأبدان ، وإتّما حصل لهم ما حصل ، و وعدوا بما وعدوا لفضل الله ورحمته ، ثم سبقهم إلى العمل الصالح .

المطلب الخامس : التكفير والتطهير

إنّ من رحمة الله بعبده تعجيل عقوبته في الدنيا - إذا أراد به خيراً - فقد جاء عن الترمذي^٧ مرفوعاً : (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا ، وإذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه)^٨ .

١ - تفسير السعدي ص ٩١٣ .

٢ - (سورة التوبة - ١٠٠) .

٣ - تفسير السعدي ص ٣٦٤ .

٤ - (سورة التوبة - ١٠٠) .

٥ - تفسير السعدي ص ٣٦٥ .

٦ - التحرير والتنوير / ابن عاشور (٢٧ / ٢٦٦) .

٧ - سبق ترجمته ص ١٩٧ .

٨ - كتاب الزهد ، باب ما جاء في الصبر على البلاء حديث (٢٣٩٦) وقال عنه : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٤ / ٦٠١) ، وصحّحه ابن حجر في الفتح (٨ / ١٥٧) .

وقال تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ }^١ وقال U { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }^٢ فهو يذيقهم سبحانه عقاب بعض عملهم؛ { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } عما هم فيه من المعاصي ويتوبون إلى الله^٣ فهو سبحانه يذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة^٤ .
وهو | يُعَجِّلُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُقُوبَةَ ؛ جزاء سيئاتهم في حياتهم الدنيا ؛ بما ابتلاهم به من المصائب و المكاره التي يخرجون منها ، وليس عليهم ذنبٌ يوافقون به ربهم يوم القيامة^٥ .
فقد كفر - سبحانه - سيئاتهم وطهرهم من ذنوبهم بتعجيل عقوبتهم في الدنيا .

فتعجيل العقوبة من رحمة الله بخلقه وكرمه وإتمام إحسانه ، ومحبتة لهم^٦ يكفر الخطايا والسيئات فيرفع العبد عند الله درجات ...

المبحث الثاني: آثار العجلة المذمومة

^١ - (الشورى - ٣٠) .

^٢ - (الروم - ٤١) .

^٣ - معجم التعبيرات القرآنية / محمد عتريس ص ٤٦٥ .

^٤ - الكشاف / الزمخشري ص ٨٣١ .

^٥ - تفسير السعدي ص ٦٧٣ .

^٦ - العفو في القرآن / فايزة النافع ص ٢٤١ .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : آثار العجلة في الدنيا .

المطلب الثاني : آثار العجلة في الآخرة .

المطلب الأول: آثار العجلة المذمومة في الدنيا

١ - الندم على إجابة الدعاء حال الغضب :

قال تعالى : { وَوَيْعِبِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِمْ بِالْخَيْرِ لِقُضِيِّ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ } ١

١ - (سورة يونس - ١١) .

فإنَّه | يخبر عن عجلة الإنسان ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشرِّ، أي بالموت والهلاك والدِّمار واللعنة ونحو ذلك ، فلو استجاب له ربه؛ هللك بدعائه^١ ..

فالآية نزلت دأمةً لخلقٍ ذميمٍ في بعض الناس ، يدعون في الخير فيريدون تعجيل الإجابة ، ثمَّ يحملهم أحياناً سوء الخلق على الدعاء في الشرِّ ، فلو عَجَّل لهم هللكوا .. وقد يستجاب ذلك الدعاء والحجة في ذلك حديث جابر ، الذي رواه مسلم^٢ في صحيحه آخر الكتاب قال جابر^٣: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط^٤ وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني^٥ وكان الناضح^٦ منّا يعقبه الخمسة ، والستة ، والسبعة ، فدارت عقبة رجل من الأنصار على ناضح له فأناخه^٧ فركبه، ثمَّ بعثه فتلدن^٨ عليه بعض التلدن ، فقال له : شأ^٩ لعنك الله.. فقال رسول الله ﷺ : من هذا اللاعن بعيره ؟ .. قال : أنا يا رسول الله. قال : أنزل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً؛ فيستجيب لكم^{١٠} .

^١ - تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٥).

^٢ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

^٣ - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أحد المكثرين عن النبي ﷺ ، غزا مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، مات سنة: ٧٤هـ. وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة انظر أسد الغابة (١/٢٩٤، ٢٩٥)، والإصابة (١/٤٣٤) .

^٤ - (بواط) بضم الباء الموحدة وفتحها ، والضم أكثر : جبل من جبال جهينة (شرح النووي

(١٣٨/١٨) وهي من أوائل مغازي الرسول ﷺ بعد الأبواء . انظر فتح الباري (١/٤٧٢) و (٧/٢٧٩) .

^٥ - مجدي بن عمرو الضمري رئيس ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة وادعه النبي ﷺ في بواط (الفتح) (٧/٢٧٩) .

^٦ - أي البعير يسقى عليه (مختار الصحاح (ص٢٧٧) ، والغريب لابن سلام (٣/٢٥٧) .

^٧ - أي (أبركه) انظر: مختار الصحاح (١/٢٠) و لسان العرب (٣/٦٥) والنهاية في غريب الحديث (١/١٢٠) .

^٨ - التلدن : التمشك : وتلدن : أي تلكأ وتمكث وتلبث ولم يُثر ولم يبينعث (لسان العرب (١٣/٣٨٣) .

^٩ - شأ : زجر للبعير بمعنى سر : (تفسير القرطبي (٨/٣١٦) .

^{١٠} - كتاب الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر حديث (٩/٣٠٠) (٤/٢٣٠٤) .

^{١١} - تفسير القرطبي (٨/٣١٥) .

فقلوه : (لا توافقوا) فهي للداعي ، وعلّة النهي ؛ لثلا توافقوا ساعة إجابة ونيل، فُتستجاب دعوتكم السوء^١ .

فهذا يدل على أن دعاء الغضبان قد يُجاب إذا صادف ساعة إجابة ، وأنه يُنهى عن الدعاء على نفسه ، وأهله ، وماله في الغضب^٢ .

كما أن من آثار العجلة بالدعاء باللعنة: تسبب ما لعنه المرء من ناقة ونحوها. قال أبو حاتم^٣ تسبب الراحلة التي لعنت أمر أضر فيه سببه، وهو حقيقة استجابة الدعاء للآعن، فمتى علم استجابة الدعاء من لآعن راحلة ما، أمرناه بتسيبها^٤ .

وكم هي القصص التي تحمل في طياتها مآسٍ مفعجة ، كانت بسبب دعاء المرء على نفسه ، أو ولده ، عند الغضب ؛ ثم أُجيب تلك الدعوة ؛ وبقي المرء يعيش اللظى والحسرة.. ولو ملكَ زمام نفسه عند الغضب ، ولم يعجل فيدعو ؛ لم يكن ذلك بإذن الله .. فهذه إحدى آثار عجلة المرء المنهي عنها ، والمأمور بتركها. ومجاهدة تركها خيرٌ وأهون من الصبر على سوء عاقبتها . بل ربما استعجل المرء فدعا على نفسه - في غير ساعة غضب - دعا بما يظنّه خيرٌ وصلاح له ، كدعائه بتعجيل عقوبته في الدنيا ؛ حتى يُقدم على الله وقد كُفرت ذنوبه .. وهذا ممّا لا يُطيقه المرء، ولا يستطيع الصبر عليه .. والمتأمل في السنة يجد التّهي صريحاً في ذلك .. فقد عاد رسول الله ﷺ مريضاً صار كالفرخ من الضّعف ، فسأله : (هل كنت تدعو بشيء ؟) .. قال : نعم .. كنت أقول : (اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة ؛ فعجله لي في الدنيا)

١ - عون المعبود / أبو الطيب (٢٧٤/٤) .

٢ - جامع العلوم والحكم / ابن رجب (١٤٩/١) .

٣ - أبو حاتم: الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن معبد بن سهيذ بن هدية بن مرة بن سعد التميمي البستي، صاحب التصانيف، سمع النسائي والحسن بن سفيان وأبا يعلى الموصلي، وولي قضاء سمرقند، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار عالماً بالنجوم والطب وفنون العلم، صنف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء وفقه الناس بسمرقند. قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ ومن عقلاء الرجال، وكانت الرحلة إليه. وقال الخطيب: كان ثقة نبيلاً فهماً. مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وهو في عشر الثمانين انظر : طبقات الحفاظ (٣٧٥/١) .

٤ - انظر : صحيح ابن حبان (٥٢/١٣) .

قال رسول الله ﷺ : (سبحانه الله لا تطيقه !! أفلا قلت :) اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار^١

٢ - الاستحسار وترك الدعاء :

أمر الله ﷻ عباده بالدعاء و وعدهم بالإجابة وليس بينهما ثمّة شرط ، قال تعالى : { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ }^٢ .

وأخبر سبحانه عباده بقربه منهم ، وإجابته دعوتهم : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ }^٣ .
والمراد : عموم الدعوات لا دعوة واحدة^٤ .

كما أمر القيوم سبحانه بالضراعة والإلحاح في الدعاء ، قال تعالى : { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً }^٥ .

ومّا ينافي الضراعة والإلحاح في الدعاء " كون المرء يستعجل إجابة دعوته ، فيستحسر ، ويترك الدعاء"^٦ .

وهو ما أفاده صراحة الحديث الوارد في صحيح مسلم^٧ عن أبي هريرة^٨ عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعْ بأثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل) قيل : يارسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال :

١ - أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب كراهية الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا ، حديث (٢٦٨٨) (٢٠٦٨/٤) .

٢ - (سورة غافر - ٦٠) .

٣ - القول ل : خالد الرعي : انظر : تفسير القرطبي (١٨٦/٢) .

٤ - سورة البقرة (١٨٦) .

٥ - البحر المحيط / أبو حيان (٤٦/٢) .

٦ - (سورة الأعراف - ٥٥) .

٧ - أنظر الدعاء ومثله من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١٨٤/١) .

٨ - كتاب الذكر والدعاء والتوبة و الاستغفار ، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول : (دعوت فلم يستجيب لي) ، حديث (٢٧٣٥) (٢٠٩٦/٤) .

٩ - سبق ترجمته ص ١٩٧ .

يقول : قد دعوتُ ، وقد دعوتُ ، فلم أرَ يستجيب لي ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء) ..

و المستحسر قد عدّه العلماء في صنف المعتدين في الدعاء قال تعالى :
 {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }^١ أي المجاوزين للحدّ ومن
 الاعتداء: كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو ينقطع في السؤال^٢ و
 الاستحسار هو الانقطاع عن الشيء ..^٣ والمراد به في باب الدعاء : الانقطاع
 عن الدعاء ..

فالاستحسار أثر من آثار استعجال إجابة الدعاء ، تؤدّي بالمرء إلى
 الانقطاع عن سؤال الله ، " فإذا ما انقطع عن السؤال ، كان قد ترك عبادة
 من أهم العبادات وهي الدعاء .. " ^٤ ومن له ملالة من الدعاء لا يُقبل دعاؤه؛
 لأنّ الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل؛ فلا ينبغي للمؤمن أن يعمل من
 العبادة وتأخير الإجابة، فلا يكن تأخير أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء،
 موجباً ليأسك، فهو الذي ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك، لا فيما تختاره
 لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد.^٥

٣ - عجلة المرء بقراءة القرآن تُذهب روح القراءة ولبّها :

فنهى الله U نبيه r عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل - عليه
 السلام - ، ومساوقته في القراءة حتى يتمّ وحيه^٦، لئلا يختلط عليه السماع
 بالأداء^٧؛ إذ ربما يشغله التلفظ بالكلمة عن سماع ما بعدها^٨

^١ - (سورة الأعراف - ٥٥) .

^٢ - تفسير السعدي ص ٢٩٦ .

^٣ - صحيح مسلم بشرح النووي (٢١١/١٧) .

^٤ - انظر : الدعاء ومثله من العقيدة الإسلامية / جيلان الروسي (١٨٥/١) .

^٥ - شرح الزرقاني (٤٨/٢) .

^٦ - الحكم العطائية / لابن عطاء ص ٦٤ .

^٧ - تفسير البيضاوي (٧٢/٤) .

^٨ - الأحكام / الأمدي (٣٩/٣) .

^٩ - تفسير الطبري (١٨٨/٢٩) .

قال تعالى : { وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ }^١

وقال - سبحانه - أيضاً : { لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }^٢

فهو دلالة له ۳ ولأتمته إلى خلق أعم يحصل منه السماع و الحفظ،
والتثبت والضبط .. وهو تعليم للأمة وخطاب لها أيضاً ..

والله U هي نبيه ۳ عن محاكاة جبريل أثناء القراءة .. ولم يكن ۳
يتعجل بالقرآن أثناء تلاوته؛ بل كان دأبه التؤدة والترتيل .

وكم نرى اليوم في صفوف المتعلمين من يعجل بقراءة القرآن أثناء تلاوته
وحفظه؛ عجلة تذهب بمعانيه، وتفقده روح القراءة ولبها: (الترتيل) .. مما
ينتج عنه فقد أمر من الأهمية بمكان ألا وهو (التدبر) فالمتعجل لا يتدبر ما
يقراء، فلا يفهم عنه تلاوة... و لا يُستشعر له معاني ..

ومن تأمل سيرة النبي ۳ وسلف الأمة، وجد عنايتهم بالتدبر وعدم
تعجلهم أثناء التلاوة .. فقد (كان المصطفى ۳ يقرأ السورة فيرتلها حتى
تكون أطول من أطول منها)^٣ . وسمع ابن مسعود أن رجلاً يُسرع في
القراءة فقال : (هذا كهذا الشعر)^٤ .

فالعجلة تحرم المرء من التدبر واستشعار المعاني العظيمة والحكم الجليلة؛ فيما
تنطوي عليه الآيات، ومن ذلك عجلة الناس بالقراءة أثناء التراويح في رمضان.

٤ - الهلاك ونزول العذاب :

إن من آثار استعجال الكفار العذاب هو تحقق وعد الله لهم بتزول العذاب
الذي استعجلوه ..

١ - (سورة طه - ١١٤) .

٢ - (سورة القيامة - ١٦) .

٣ - أخرجه مسلم سبق تخريجه .

٤ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

٥ - متفق عليه سبق تخريجه .

فقد أخبر سبحانه بقرب وقوع عذابهم ، كما أخبر في آيات أخر بتحقق نزول العذاب الذي استعجلوه بهم ..

قال تعالى مُهَدِّدًا أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ ۚ وَمُعَلِّمًا لَهُمْ بِقُرْبِ وَقُوعِ الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ: {أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} ٢١ .

كما حذرهم من وقوع ما استعجلوه بدئوه وقربه منهم، قال تعالى : {قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ} ٣ وكان ذلك يوم بدر ، إذ قُتِل فيه صناديد قريش : النضر و أبو جهل .. الذين كانوا يقولون للنبي ۚ : {فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اثْنًا بِعَذَابِ آئِمٍ} ٤ .

وهو الذي هُدِّدوا به في الصفات قال تعالى : {قَتَلُوا عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ} ٦
{وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ} ما يقضي عليهم من الأسر والقتل^٧ ، و ما يجلب بهم من النكال^٨ يوم بدر^١ ، وغيره .

١ - (سورة النحل - ١) .

٢ - تفسير الطبري (٧٦/١٤) .

٣ - (سورة النمل - ٧٢) .

٤ - (سورة الأنفال - ٣٢) .

٥ - (روح المعاني / الألويسي (٥٥/٢٩) .

٦ - الآيات من (١٧٤-١٧٧) .

٧ - الكشاف / الزمخشري (٦٨٠) .

٨ - تفسير المراغي (١٤٠/٨٠) .

٥ _ الندامة الحاصلة بالتعجل في الحكم :

فإنَّ الله **U** قد أمر عباده بعدم العجلة في الحكم على الآخرين، وأمرهم بالثبوت في الأخبار إذا سمعوها، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }^٢

فهذه من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق نبياً أن يشتتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجرداً ؛ فإن في ذلك خطراً كبيراً ، ووقوعاً في الإثم ؛ فإن خبره إذا حكم بموجبه ومقتضاه ؛ حصل من تلف الأموال والنفوس ، بغير حق ، بسبب ذلك الخبر ، مما يكون سبباً للندامة ؛ فالواجب عند سماع خبر الفاسق الثبوت والتبين^٣ .

فالآية أفادت الأمر بالتأني وعدم العجلة ، حتى تظهر الحقيقة^٤ .

و قد نزلت الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وقد أرسله النبي **ﷺ** إلى بني المصطلق من خزاعة ليأتيهم بصدقات أموالهم فلما سمعوا به تلقوه فرحاً به ، فخاف منهم ، وظن أنهم يريدون قتله ، فرجع إلى نبي الله **ﷺ** ، وزعم أنهم منعوا الصدقة ، وأرادوا قتله ، فتقدم وفد منهم إلى النبي **ﷺ** فأخبروه بكذب الوليد^٥ .

فالآية تدل على عدم تصديق نبأ الفاسق والعللة في ذلك : كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة لظنكم النبأ الذي جاء به الفاسق حقاً ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ؛ لظهور كذب الفاسق فيما أنبأ به عنهم ؛ لأنهم لو لم يتبينوا في نبأ الوليد عن بني المصطلق لعاملوهم معاملة المرتدين ولو فعلوا ذلك

١ - الكشاف / الزمخشري ص ٦٨٠ .

٢ - (سورة الحجرات - ٦) .

٣ - تفسير السعدي ص ٨٧٨ .

٤ - أضواء البيان / الشنقيطي (٤١١/٧) .

٥ - المرجع السابق (٤١٠/٧) وسبب التزول قد أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٧٩/٤) بلفظ يقاربه . وقال الهيثمي

في مجمع الزوائد : (رجال أحمد ثقات) (١٠٩/٧) .

لندموا^١ .

كما أنَّ القاضي في حكمه ينبغي عليه أن لا يعمل في حكمه وإمضائه لثلاً
ينفذ الحكم على بريء.. قال الشافعي^٢ (أمر الله - جل ثناؤه - من يمضي
أمره على أحد من عباده أن يكون مستثبناً قبل أن يمضيه)^٣ .
وذكر ابن عبد البر^٤ في الكافي^٥ في كتاب أدب القاضي : (وعليه التثبت في
أحكامه ، وترك العجلة في إنفاذ قضائه إذا أشكل عليه شيء
أو استرابه ، ويضرب الأجل ؛ ليتمكن الخصم من حجته ، والدفاع عن نفسه .
ولا أحبُّ أن يصير إليه تعديل بيّنة ، ولا إنفاذ حكم حتى يراجعه فيه ؛
ليتولّى النظر فيه بنفسه ..) .أ.هـ ؛ تحرزاً من العجلة في الحكم ، الناتج عنها
ظلم بريء .. أو إزهاق نفس .

كما جاء النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها ،
والأمر بالتأمل قبل الكلام قال تعالى : {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ^٦
وهذا تأديب من الله تعالى لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق وأنه ينبغي لهم إذا
جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة
ذلك الخبر ؛ بل يردّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم أهل الرأي والعلم
والنصح والعقل والرزانة الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها؛ ولهذا

١ - أضواء البيان (٤١١/٧) .

٢ - الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، نزيل مصر، إمام الأئمة، ولد بغزة سنة: ١٥٠هـ، توفي سنة: ٢٠٤هـ وله: ٥٤ سنة . انظر: طبقات الحفاظ (١٥٧/١)، وتقريب التهذيب، ص: ٨٢٤ .

٣ - أحكام القرآن / الشافعي (١١٨/٢) .

٤ - ابن عبد البر: الحافظ الإمام أبو عمر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ولد سنة: ٣٦٨هـ في ربيع الآخر، ساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان، له: "التمهيد"، "شرح الموطأ"، و"الاستذكار"، و"الاستيعاب في الصحابة" وغير ذلك، ولي قضاء أشبونة مدة، وكان أولاً ظاهرياً، ثم صار مالكيها فقيها حافظ
مكثراً، عالماً بالقراءات والحديث، والرجال والخلاف كثيراً الميل إلى أقوال الشافعي، مات ليلة الجمعة سلخ ربيع
الآخر سنة: ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة . انظر: طبقات الحفاظ (٤٣١/١) .

٥ - (٤٩٩/١) ..

٦ - (سورة النساء - ٨٣) .

قال { وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ }^١ أي يستخرجونه بفكرهم وأرائهم السديدة ، وعلومهم الرشيدة ، وفي هذا دليل وقاعدة أدبية وهي : أنه إذا حصل بحث في أمرٍ من الأمور ينبغي أن يولّى من هو أهل لذلك ، ويُجعل إلى أهله ، ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب ، وأحرى للسلامة من الخطأ^٢ .

فتبين لنا إذاً أن:

للعجلة في كثير من الحالات آثارٌ سلبية ؛ لأنها في مجال الأعمال السلوكية والإدارية كثيراً ما توقع الإنسان في قصور بإعداد التخطيط ، وإرساء القواعد والمقدمات .. وللعجلة أخطارها في مجال التفكير والتدبير ؛ لأنها قد تؤدي إلى اتخاذ قرارات خاطئة ..

أمّا في مجال الانفعالات والعواطف الإنسانية ، فكم أثارت العجلة من تعبيرات سلوكية (انفعالية متطرفة أو حادة أو غير منطقية في عدوان أو قطيعة .. وكانت نتيجتها عند العاقل إذا أفاق ندماً ، وقد سبقَ السيف العذل ... و لات ساعة مندم ..^٣ .

المطلب الثاني : آثار العجلة المذمومة في الآخرة

إنَّ أسوأ آثار العجلة في الآخرة - كما بينها القرآن - الندامة، و الحسرة، و الخسارة، و الحرمان .. وأشدها وقعاً وإيلاًماً : دخول النار .. قال تعالى : {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْعَجِلُونَ }^٤ .

١ - (سورة النساء - ٨٣) .

٢ - تفسير السعدي (ص ١٩٠) .

٣ - انظر لمحات نفسية في القرآن الكريم / د. عبد الحميد الهاشمي ص ٩٢ باختصار .

٤ - (سورة الذاريات ١٣-١٤) .

ففي هذا اليوم الذي يفتنون فيه على النار - كما يفتن الذهب على النار - ويحرقون ويعذبون يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً وتحقيراً (هذا) العذاب {الَّذِي كُتِّمَ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} ^١ فالآن تمتعوا بأنواع العقاب والنكال والسلاسل والأغلال ، والسخط ، والوبال ، فهذا العذاب والنار هو أثر ما افتنتم به من الابتلاء الذي صيركم إلى الكفر والضلال ^٢ . فيقال لهم وهم يعذبون في النار: هذا العذاب الذي توفونه اليوم هو العذاب الذي كتتم به تستعجلون في الدنيا ^٣ .

فهذا هو العذاب الذي استعجلوه، وهذا الحكم العادل الذي استوجبوه.. من العذاب. قال القرطبي ^٤: (وقال: (هذا) ولم يقل (هذه)؛ لأنَّ الفتنه هنا بمعنى العذاب) ^٥ . كما أخبر سبحانه أنَّ إيمانهم إذا دخلوا النار، وعانوا العذاب الذي استعجلوه لا ينفعهم، ولا يُغني عنهم من عذاب الله شيئاً .. قال تعالى : {أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُتِّمَ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ . ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} ^٦ تقول لهم هذا القول خزنة جهنم، ونالوه جزاء كفرهم ^٧ واستعجالهم .. كما أجاب عن استعجالهم للعذاب بسؤالهم : {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ} ^٨ بتوعدهم بالنار ، قال تعالى : {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ^٩ .

وترافق التَّدامة أهل الكفر المتعجلين العذاب في الدنيا، والمستبعدين وقوعه قال

^١ - تفسير ابن كثير (٢٣٤/٤) .

^٢ - انظر تفسير السعدي ص ٨٠٨ .

^٣ - تفسير الطبري (١٩٣/٢٦) .

^٤ - سبق ترجمته ص ٤٣ .

^٥ - تفسير القرطبي (٣٥/١٧) .

^٦ - (سورة يونس ٥١-٥٢) .

^٧ - تفسير القرطبي (٣٥١/٨) .

^٨ - (سورة الأنبياء - ٣٨) .

^٩ - (سورة الأنبياء - ٣٩) .

تعالى: {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْدَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ١ .

كما تصحبهم حسرة وألم بدخول النار والحسرة أشد الندامة قال تعالى: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} ٢ ٣ والكافرون تتملكهم الحسرة والندامة يوم القيامة، وهم يعذبون في النار " فيعودون على أنفسهم بالملامة، ويندمون حيث لا تنفعهم الندامة ويقولون: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ٤ ٥ .

يقول الإمام السعدي^٦ في بيان ندامة المستعجلين عذاب الله إذا وقفوا يوم القيامة للحساب: " لما ذكر تعالى أن معاد المستعجلين بالعذاب لا بد من وقوعه عند حلول أجله ، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم ، وأنتك لو رأيت حالهم إذ وقفوا عند ربهم ، واجتمع الرؤساء و الأتباع في الكفر والضلال ؛ لرأيت أمراً عظيماً وهولاً جسيماً ورأيت كيف يتراجعون ، ويرجع بعضهم إلى بعض القول ... فلم تُفد تلك المراجعة بينهم شيئاً إلا براءة بعضهم من بعض ، والندامة العظيمة ؛ ولهذا قال : {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ} ٧ أي زال عنهم ذلك الاحتجاج الذي احتج به بعضهم ؛ لينجو من العذاب ، وعلم أنه ظالم مستحق له فندم كل منهم غاية الندم ، وتمنى أن لو كان على الحق ، وأنه ترك الباطل الذي أوصله إلى هذا العذاب سراً في أنفسهم لخوفهم من الفضيحة في إقرارهم على أنفسهم ، وفي بعض مواقف القيامة ، وعند دخولهم النار يُظهرون ذلك الندم جهراً^٨ .

١- (سورة سبأ - ٣٢) .

٢- (سورة البقرة - ١٦٧) .

٣- أضواء البيان / الشنقيطي (٤٥/٦) .

٤- (سورة الملك - ١٠) .

٥- تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤) .

٦- سبق ترجمته ص ٥٠ .

٧- (سورة سبأ - ٣٢) .

٨- تفسير السعدي ص ٦٨١ .

الباب الثاني : (الأناة مظاهرها وآثارها)
وفيه فصلان :

المطلب الأول: الدلالة اللغوية لـ " التاني "

التأني لغة :

مأخوذ من مادة (همزة / نون / الحرف المعتل) ، التي تدلّ بحسب أصل اللغة على أربعة

معانٍ :-

الأول : البطء وما أشبهه من الحلم وغيره ..

الثاني : ساعة من الزمان ..

الثالث : إدراك الشيء ..

الرابع : ظرفٌ من الظروف^١ ..

والتأني الذي نقصده في بحثنا هو المعنى الأول ..

قال ابن منظور^٢ :-

أ- الأناة و الأئى : الحلم والوقار .. والتأني التثبيت .. ورجلٌ آنٍ : كثير الأناة والحلم^٣ .

ونقل الخليل^٤ عن ابن الكميث في هذا المعنى ..

قَفٌ بِالذَّيَارِ وَقُوفٌ زَائِرٌ وَتَأْنٌ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ^٥

ب- والأناة التؤدة^٦ :

يقال آئيتُ الشيء إيناءً : أي أخرتَه عن أوانه ، وتَأْنَيْتُ : تأخَّرتُ وتَأْنَى فلان تَأْنِيًّا

وَأْنِي يَأْنِي فَهُوَ آنٍ أَي وَقُورٌ .. وَاسْتَأْنَيْتُهُ انتظرتُ أوانه ..^٧

ت- و الأناة : ساعات الليل مفردة أئى و إئى

^١ - موسوعة نضرة النعيم (٨٦٤/٣) .. (التأني) .

^٢ - محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور الأنصاري الأفريقي، جمال الدين أبو الفضل، وعمّر، وحدث، ولي قضاء طرابلس كان عارفاً باللغة، والأدب، والتاريخ، والكتابة، توفي في ٧١١هـ (بغية الوعاة : ٢٤٨/١) .

^٣ - لسان العرب (٤٨ ، ١٤) .

^٤ - الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي، شيخ النحاة، اخترع علم العروض، له كتاب: العين، كان رجلاً صالحاً، عاقلاً، وقوراً، وكان متقللاً من الدنيا صبوراً، ظريفاً، حسن الخلق، مات بالبصرة سنة: ١٧٠، وقيل: ١٦٠هـ. انظر: تاريخ العلماء النحويين/لأبي المحاسن المعري ص ١٢٣ البداية والنهاية (١٦١/١٠). وسير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧) .

^٥ - البيت للكميث في ديوانه (٢٢٣/١)؛ وإصلاح المنطق ص ٣٠٤؛ ولسان العرب (٦٣/١٤) مادة (أيا)؛ وكتاب العين (٤٠١/٨)؛ وبلا نسبة في المتع في التصريف (٥٨٤/٢) والمنصف (١٤٢/٢) .

^٦ - لسان العرب / ابن منظور (٤٩ / ١٤) مادة (أئى) .

^٧ - المفردات / الراغب الأصفهاني ص ٢٩

تقول هو يقوم أناء الليل^١ .. وفي التزليل العزيز : {يَلُونُ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ} وقوله تعالى
: {غَيْرَ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ} ^٣ أي وقته .. قال الحطيئة^٤ :-

و آنيتُ العشاءَ إلى سُهَيْلٍ
أو الشُّعْرَى فطال بي الأناءُ^٥

ث- و التائي : التمهّل والترفق .. تآنى فلاناً أمهله وترفق به ..

ويقال : تآئيتك حتى لا أناةً بي .. ويقال : تآن في أمرك واتمد ..

و استأنى به ترفق .. و استأنى فلاناً : تآناه ولم يتعجّله .. وهو يستأني بالجراحة ينتظر مآل
أمرها ..^٦

ج- ويأتي التائي بمعنى التأخر والإبطاء ..

(آنى) تأخر وأبطأ، و(آنى) فيه: قصر، و(آناه) إيناء : أخره عن وقته ..^٧

يقال : لا تُؤنِ فرصتك .. أي لا تُؤخرها إذا أمكنتك^٨ .

و الأناة من النساء : المنعمة .. فيها فتورٌ و رزانة .. والجمع (أنوات) ..^٩

قال الشاعر :-

أناةٌ كأنَّ المسكَ تحت ثيابها
و ریح خُرَامَى الطَّلِّ في دَمَثِ الرَّمْلِ^١

^١ - المعجم الوسيط (٣١/١) .

^٢ - (سورة آل عمران - ١١٣) .

^٣ - (سورة الأحزاب - ٥٣) .

^٤ - الحطيئة الشاعر المشهور، اسمه: حرول، ويكنى بأبي مليكة، من عبس أدرك أيام الجاهلية، وأدرك صدرًا من الإسلام، كان يطوف في الآفاق، يمدح الرؤساء، وكان يستجديهم، كان مداحًا هجاءً؛ له شعر جيد . انظر: البداية والنهاية (٢٢٠/٧)، والمنتظم (٣٠٧/٥) .

^٥ - البيت للحطيئة في ديوانه ص ٥٤؛ ولسان العرب (٤٩/١٤) مادة (آني)، (٢٢٢/١٥) مادة (كرا)؛ ومقاييس اللغة (١٤١/١)؛ (١٧٤/٥)؛ وكتاب العين (٤٠٢/٨)؛ وجمهرة اللغة ص ٢٥٠؛ وديوان الأدب (١٠١/٤)؛ وتهذيب اللغة (٣٤٣/١٠)؛ (٥٥٤/١٥)؛ وجممل اللغة (٢٢٤/٤)؛ وأساس البلاغة ص ١١ (آني) ص ٣٩١ (كري) وتاج العروس (آني) (كري) وبلا نسبة في المخصص (٢٦٤/١٣) .

^٦ - المعجم الوسيط (٣١/١) مادة (آني) .

^٧ - المعجم الوسيط (٣١/١)، وانظر لسان العرب / ابن منظور (٤٩/١٤) مادة (آني) .

^٨ - لسان العرب (٤٩/١٤) مادة (آني) .

^٩ - المعجم الوسيط .. (٣١/١) .

أناة : أي رزينة لا تصخب ولا تفحش^٢ .
 و الاسم : الأناة مثل قناة .. وشاهده : (الرفق يُمنُّ والأناةُ سعادة ..)^٣
 وغالب التعريفات السابقة دلت على الآتي :-

- ١ - القرب الزمني .
 - ٢ - بلوغ الغاية في الحرارة .. وبلوغ الشيء منتهاه .
 - ٣ - التأخير والإبطاء ..
 - ٤ - التؤدة و الوقار ..
 - ٥ - الانتظار ..
 - ٦ - التمهّل و الترفّق ..
 - ٧ - النّضج .
 - ٨ - الإدراك ..
- تدل على الساعات ..^٤ °

المطلب الثاني: التآني اصطلاحاً:

التآني اصطلاحاً :-

لم يُذكر في كتب المصطلحات تعريف خاص بالأناة ..
 و قد أشار بعض المفسرين^٦ إلى ذلك ..

١ - البيت بلا نسبة في تهذيب اللغة (٥٥٥/١٥) ؛ وتاج العروس (أبي)؛ ولسان العرب (٥٠/١٤) مادة (أبي) .
 ٢ - لسان العرب (٥٠/١٤) وانظر المعجم الوسيط (١ / ٣١) .
 ٣ - لسان العرب / ابن منظور (٥٠/١٤) .
 ٤ - لسان العرب / ابن منظور (٤٩/١٤) مادة (أبي) .
 ٥ - انظر لسان العرب (٤٨/١٤ ، ٤٩ ، ٥٠) مادة (أبي) و العين / الخليل (٤٠٠/٨) و مختار الصحاح والمفردات / للراغب الأصفهاني (ص ٢٩) .
 ٦ - كابن عاشور في تفسيره : التحرير والتنوير (١٣٦/١٦) .

و مُجمل ما قالوه في بيان معنى الأناة اصطلاحاً:-
التأني: عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء، والتمهّل في تحصيله والترفّق فيه^١.

المطلب الثالث : نظائر التأني في اللغة:

نظائر التأني في اللغة :-

و في اللغة ما يفيد معنى التأني ومن ذلك :

١ - التؤدة ..

قال الليث: التؤدة بمعنى التأني^١ في الأمر^٢.

^١ - موسوعة نضرة النعيم (١٦٥/٣).

قال ابن منظور^٣: التؤدة - ساكنة وتُفتح - التأني والتمهل والرزانة.
قالت الخنساء:

فَتِيَّ كَانَ ذَا حَلْمٍ أَصِيلٍ وَنَهِيئِهِ
إِذَا مَا الْحُبَا مِنْ طَائِفِ الْجَهْلِ
حُلَّتْ^٤

قال الأزهري: وأما التؤدة بمعنى التأني في الأمر، فأصلها:
وأداة مثل التكاأة، أصلها وكأة؛ فقلبت الواو تاءً، ومنه يقال: اتند يا فتى وقد اتأد
يتند اتناداً، إذا تأنى في الأمر^٥.

٢- التارّض: التأني والانتظار..

وَصَاحِبٌ نَبَّهْتَهُ لِيَنْهَضَا
إِذَا الْكُرَى فِي عَيْنِهِ تَمَضُّمًا
يَمْسَحُ بِالْكَفَيْنِ وَجْهًا أَيْضًا
فَقَامَ عَجَلَانًا وَمَا تَارَّضَا^٦
أَي مَا تَلَبَّثَ^٧.

٣- استدامة الأمر..

أدامه و استدامه إذا تأنى فيه..
و استدمت الأمر إذا تأنيت فيه..

فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمَسْتَدِيمِ^٨
فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمِهِ

١- لسان العرب / ابن منظور (٧٥/٣) مادة (أود) .

٢- المرجع السابق (١٠١/٣) مادة (تود) .

٣- سبفت ترجمته ص ٢٢٤ .

٤- البيت للخنساء في ديوانها ص ٤١٨؛ ولسان العرب (٤٤٣/٣) مادة (وأد)، (٣٤٦/١٥) مادة (نهي)؛ وتاج
العروس (٢٤٧/٩) (وأد)، (نهي).

٥- لسان العرب / ابن منظور (٤٤٣/٣) .

٦- البيت بلا نسبة في لسان العرب (١١٢/٧) مادة (أرض). ونسبه الخطابي في غريب الحديث: لأبي زيد
(٢٠٦/١) .

٧- المرجع السابق (١١٢/٧) .

٨- البيت لقيس بن زهير في لسان العرب (٢١٣/١٢) (دوم) و (٤٦٨/١٤) (صلا)؛ وأساس البلاغة
(دوم)، (عصى)؛ وتاج العروس (دوم)، (صلى) .

- و تصلية العصا : إدارتها على النار لتستقيم .. واستدامتها : التأني فيها .. أي ما أحكم أمرها كالتأني^١
- ٤ - الرّود : التأني .. أرودني : أمهلي^٢ .
- ٥ - الكيس ..
- الكيس .. بمعنى الرفق وحُسن التأني ، وقيل العقل^٣
والعقل أحد معاني الحلم، والحلم هو التأني .
- ٦ - السكينة :
- السكينة : التأني في الحركات واجتناب العبث ونحو ذلك^٤ .
والتأني نوعٌ من السكينة المحمودة^٥
- ٧ - التربّص :
- التربّص : التأني والتأخّر^٦
تربّص بها ريب المنون لعلها
تُطلّق يوماً أو يموت حليلها^٧
- ٨ - السكون :
- السكون : التأني في الخصومات والحروب^٨ .
- قال الراغب^٩ : السكون ثبوت الشيء بعد تحريكه، ويستعمل في الاستيطان^{١٠} .
- ٩ - الوقار ..

١ - لسان العرب / ابن منظور (٢١٣/١٢) مادة (دوم) .

٢ - تفسير القرطبي (١٦٣/٩) .

٣ - فتح الباري ابن حجر (٣٤٢/٩) .

٤ - شرح النووي (١٠٠/٥) ، وتحفة الأحوذى (٢٤٢/٢) .

٥ - موسوعة نضرة النعيم (٨٧١/٣) (التأني) .

٦ - القرطبي (١٠٨/٣) وكذا في تفسير القرطبي أيضا (١٧٦/٣) .

٧ - البيت بلا نسبة في لسان العرب (٤٢٧/١١) مادة (عجل)؛ وتهذيب اللغة (٣٧٠/١)؛ وكتاب العين (٢٢٨/١)؛

ومقاييس اللغة (٢٣٨/٤)؛ وتاج العروس (عجل) .

٨ - التعاريف / المناوي ص ٤١٠ .

٩ - سبقت ترجمته ص ٤٢ .

١٠ - المفردات (ص ٢٣٦) .

الوقار هو : التآني في التوجه نحو المطالب^١ .

١٠- التّرسل :

الترسل : التآني والتمهّل .

قال الجوهري: المترسل الذي يتملّه في تأذينه و يبيّنه تبييناً وهو من قولهم جاء فلان

على رَسَلِه أي على هينته غير عَجَلٍ ولا متعب لنفسه^٢ .

١١- المُكث :

المكث : الأناة، و اللبث، و الانتظار ..

و المكث الرزين الذي لا يعجل في أمره^٣ ..

ويقال : للمتكث في الأمور : متأنٌ

١٢- الحلم :

الحلم بالكسر : الأناة والعقل ، والتثبت في الأمور^٤ .

١٣- الترتيل :

رتل الكلام أحسن تأليفه، و أبانه وتمهّل فيه .

و ترتيل القراءة : التآني والتمهّل وتبيين الحروف والحركات^٥ .

قال الزجاج في معنى قوله تعالى : { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }^٦ : " أنزلناه على الترتيل و هو

ضد العجلة ، و التمكنّ فيه . " أهـ^٧

و في أمثال اللغة ما يدل على معنى الأناة لا لفظها ..

و من ذلك قولهم :

(عاد السهم إلى النزعة)

^١ - التعاريف / المناوي ص ٣٢٧ .

^٢ - المطلع على أبواب المقنع / ابن أبي الفتح البجلي (٣٩٧/١) .

^٣ - لسان العرب / ابن منظور (١٩١/٢) مادة (مكث) .

^٤ - المرجع السابق (٤٩ / ١٤) مادة (أي) ..

^٥ - لسان العرب / ابن منظور (١٤٦/١٢) مادة (حلم) .

^٦ - لسان العرب / ابن منظور (٢٦٥/١١) مادة (رتل) .

^٧ - (سورة الفرقان - ٣٢) .

^٨ - المرجع السابق (٢٦٥/١١) مادة (رتل) .

أي رجع الحقّ إلى أهله ، وقام بإصلاح الأمر أهل الأناة^١

^١ - المرجع السابق (٣٥١/٨) مادة (نزع) .

المبحث الثاني :

عرض القرآن للأناة

عرض القرآن للأناة

لم يرد لفظ الأناة أو التأي صريحاً في القرآن الكريم، بمعناها الاصطلاحي؛ ولكن وردت بالمعنى اللغوي.. ودلت على الآتي :-

١ - الغاية ^(١) والنضح ^(٢) :

قال تعالى : $\frac{1}{4}$ » $\text{شَهْرًا مِّنَ الشَّهْرِ}$ ^(٣) أي غير منتظرين نضجه وإدراكه و بلوغه ، تقول : أنى يأنى إذا نضح ، وبلغ الشيء إناءه أي غايته ^(٤) .
وفي الآية يأمر الله تعالى عباده المؤمنين ، بالتأدب مع رسول الله ﷺ في دخول بيوته فقال : $\text{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ حَتَّى يُدْعَىٰ لَكُمْ لَهَا مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ مِنَ الْغَيْرِ فَإِنْ دُعِيَ لَكُمْ مِنْ دَاخِلِهَا فَادْخُلُوهَا مِنْ دُونِهَا وَلَا تَبْرَحُوا مِنْهَا حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْهَا} \frac{1}{4}$ ^(٥) أي : لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها ؛ لأجل الطعام ، وأيضاً $\frac{1}{4}$ » $\text{لَا تَبْرَحُوا مِنْهَا حَتَّى يُخْرِجَكُمْ مِنْهَا}$ ^(٦) أي منتظرين استوائه ، ومتحينين نضجه ، أو سعة صدر بعد الفراغ منه ^(٧) .

٢ - القرب ^(٨) والإدراك ^(٩) :-

-
- (١) لسان العرب (١٤ / ٤٨) مادة (أنى) .
 - (٢) المعجم الوسيط (١٤ / ٤٨) مادة (أنى) .
 - (٣) سورة الأحزاب - ٥٣
 - (٤) انظر لسان العرب (١٤ / ٤٨) مادة (أنى) .
 - (٥) سورة الأحزاب - ٥٣
 - (٦) سورة الأحزاب - ٥٣
 - (٧) تفسير السعدي ص ٧٣٠
 - (٨) المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني ص ٢٩ مادة (أنى) .
 - (٩) انظر لسان العرب (١٤ / ٤٨) مادة (أنى) .

قال تعالى: ¼ «...» (١) أي ألم يقرب إناه (٢)، و يجين (٣)، من أنى الأمر يأنى إذا جاء وقته (٤) ..

أي ألم يأت الوقت الذي به تلين قلوبهم، وتخشع لذكر الله - الذي هو القرآن - وتنقاد لأوامره و زواجره، و ما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ ؟ فإنه سبحانه لمّا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات ، والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة ، كان ذلك ممّا يدعو القلوب إلى الخشوع لربها و الاستكانة لعظمته ، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك (٥) .

٣ - بلوغ الغاية في الحرارة :

قال تعالى: ¼ «...» (٦) أي بلغ إناه في شدة الحرّ (٧)، وأنى السائل إذا بلغ غاية الحرارة (٨). فهم يطوفون بين أطباق الجحيم و لهبها ¼ عليهم بين التصليّة بالنار ، و بين شرب الحميم (١٠).

ومنه قوله تعالى : ¼ «...» (١١) أي متناهية في شدة الحرّ (١٢) ..

٤ - ساعات الليل :-

(٣) سورة الحديد - ١٦

(٤) المفردات / الأصفهاني ص ٢٩ مادة (أني) .

(٥) لسان العرب (١٨ / ٤٨) مادة (أني) .

(٦) الكشف / الزمخشري ص ١٠٨٣

(٧) انظر تفسير السعدي ص ٩٢١

(٨) سورة الرحمن - ٤٤

(٩) المفردات / الأصفهاني ص ٢٩ مادة (أني) .

(١٠) المعجم الوسيط (١ / ٣١) مادة (أني) .

(١١) تفسير السعدي ص ٩١١

(١٢) الكشف / الزمخشري ص ١٠٧٣

(١) سورة الغاشية - ٥

(٢) لسان العرب (١٤ / ٤٨) مادة (أني) وانظر الكشف ص ١١٩٧

- (١) قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (١)
- و أناء الليل : هي ساعاته واحدها إني و إني (٢) ، تقول هو يقوم آناء الليل (٣) ..
- (٤) ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٤)
- أمر الله رسوله ﷺ بالصبر على أذية المشركين ، وأمره أن يعوّض عن ذلك ، ويستعين عليه ، بالتسبيح بحمد ربه ، في هذه الأوقات الفاضلة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، و في أطراف النهار ، أوله وآخره ، (وأوقات الليل وساعاته) (٥) .

أمّا الأناة بالمعنى الاصطلاحي فلم ترد في القرآن؛ بينما وردت ألفاظ .. تحمل معناها وتدلّ على مقتضاها ..

١ - الثبّت والتبيّن :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٦)

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٦)

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٦)

(٦) » ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾

فقد قرئت الآية بقراءتين متواترتين ..

الأولى : (فتبينوا) وهي قراءة المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين .. من التبيّن بمعنى التأيّن ، والنظر ، والكشف عن الأمر حتى يتضح ..

الثانية : (فتثبتوا) بمعنى الثبّت الذي خلاف العجلة ..

(٣) آل عمران - ١١٣

(٤) لسان العرب (٤ / ٤٩) مادة (أني) .

(٥) المعجم الوسيط (١ / ٣١) .

(٦) سورة طه - ١٣٠

(٧) تفسير السعدي ص ٥٥٣

(٨) النساء - ٩٤

والقراءتان بمعنى واحد ، وإن اختلفت بهما الألفاظ ؛ لأن المثبت متبين ، والمتبين
 مثبت ؛ فبأي القراءتين قرأ القارئ فمُصيب (١) .

كذلك وردت القراءتان في سورة الحجرات في قوله تعالى :

﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا غُرٌّ وَلَا يَنْزِيلٌ فِيهَا قُرْآنٌ مَّحْمُودٌ مَّذْمُومٌ مَّجِيدٌ مَّكْرُومٌ﴾

(٢) » ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا غُرٌّ وَلَا يَنْزِيلٌ فِيهَا قُرْآنٌ مَّحْمُودٌ مَّذْمُومٌ مَّجِيدٌ مَّكْرُومٌ﴾

فهذا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها ، واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم
 فاسق نبأ ، أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجرداً ؛ فإن في ذلك خطراً كبيراً ، ووقوعاً
 في الإثم (٣) .

٢ - المَكْث :

قال تعالى : ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا غُرٌّ وَلَا يَنْزِيلٌ فِيهَا قُرْآنٌ مَّحْمُودٌ مَّذْمُومٌ مَّجِيدٌ مَّكْرُومٌ﴾ (٤) »

على مهل وتؤدة وتثبت (٥) ، فالمكث : الأناة و اللبث و الانتظار . و الماكث المنتظر ، ومنه
 قوله تعالى : ﴿لَا يَجْرِي فِيهَا سُرٌّ وَلَا غُرٌّ وَلَا يَنْزِيلٌ فِيهَا قُرْآنٌ مَّحْمُودٌ مَّذْمُومٌ مَّجِيدٌ مَّكْرُومٌ﴾ (٦) (٧) و المكث : الرزين الذي لا يعجل في
 أمره (٨) ، كما يقال للمتكث في الأمور : متأن (٩) .

٣ - المهل :

(١) تفسير الطبري (٥ / ٢٢٥) .

(٢) الحجرات - ٦

(٣) تفسير السعدي ص ٨٧٨

(٤) الإسراء - ١٠٦

(٥) الكشاف / الزمخشري ص ٦١٠

(١) (سورة النمل - ٢٢)

(٢) لسان العرب / ابن منظور (٢ / ١٩١) مادة (مكث) .

(٣) المرجع السابق (٢ / ١٩١) مادة (مكث) .

(٤) المرجع السابق (١٤ / ٤٩) مادة (أني) .

المهل: التؤدة والسكون، يقال مهَلَّ في فعله، وعَمِلَ في مُهَلَّة، و يقال: مَهَلًّا نحو رفقا..
قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ قُرْآنًا هَازِئًا وَلَا نَسِيحًا﴾ (١) (٢)»

٤ - الترتيل:

قال تعالى: ﴿لَا تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ قُرْآنًا هَازِئًا وَلَا نَسِيحًا﴾ (٣)» وقال عز وجل: ﴿لَا تَقْرَأُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ قُرْآنًا هَازِئًا وَلَا نَسِيحًا﴾ (٤)»
وترتيل القراءة: هو التأني والتمهل، وتبيين الحروف والحركات (٥).

٥ - الحلم:

الحلم هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام (٦).
وذكر أهل اللغة بأن الحلم هو الأناة، قال ابن منظور (٧): الحلم بالكسر: الأناة والعقل (٨).

وقد وردت مادة (الحلم) في القرآن الكريم في (١٥) موضعاً.
أ) فقد وصف الله نفسه بالحلم، وجمع بين اسمه (الحليم) واسمه (الغفور) في ست آيات (٩).

وقرن اسمه (الحليم) باسمه (العليم) في ثلاث آيات (١٠).
وجمع بين اسمه (الحليم) واسمه (الغني) في موضع واحد (١١).
ووصف نفسه بأنه الشكور الحليم في آية واحدة (١) (٢).

(٥) (سورة الطارق - ١٧)

(٦) المفردات / الأصفهاني ص ٤٧٦

(٧) (سورة الفرقان - ٣٢)

(٨) (سورة المزمل - ٤)

(٩) لسان العرب / ابن منظور (٢٦٥/١١) مادة (رتل).

(١٠) المفردات / الأصفهاني ص ١٢٩

(١١) سبق ترجمته ص ٢٢٤.

(١٢) لسان العرب / ابن منظور (١٤٦ / ١٢) مادة (حلم).

(٩) سورة البقرة - ٢٢٥، ٢٣٥ وآل عمران - ١٥٥ والمائدة - ١٠١ والإسراء - ٤٤ وفاطر - ٤١

(١٠) سورة النساء - ١٢ والحج - ٥٩ والأحزاب - ٥١

(١١) سورة البقرة - ٢٦٣

و الحليم في صفة الله U معناه : الصبور ..

و قيل معناه : الذي لا يستخفه عصيان العصاة ، ولا يستفزّه الغضب عليهم ، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً ؛ فهو منته إليه (٣) ..

(ب) وصف القرآن بعض الأنبياء بالحلم ..

قال تعالى في شأن الخليل إبراهيم: ﴿...﴾ (٤) « أي كثير الأناة (٥) .

و كما قال عز وجل : ﴿...﴾ (٦) .

كما وصف القرآن نبي الله إسماعيل بالحلم قال تعالى : ﴿...﴾ (٧) »

أمّا ما حكاه الله عن قَيْلٍ قوم شعيب لنبئهم ﴿...﴾ (٨) فقد كان على جهة الاستهزاء ..

قال الأزهري : جاء في التفسير أنه كناية عن أنهم قالوا إنك لأنت السفية الجاهل ، وقيل : إنهم قالوه على جهة الاستهزاء .

قال ابن عرفة : هذا من أشدّ سباب العرب أن يقول الرجل لصاحبه إذا استجهله يا حليم .. أي أنت عند نفسك حليم وعند الناس سفية (٩) .

وهناك تلازم و اقتران بين الحلم و الأناة، سيأتي بيانه في المبحث الرابع _ إن شاء الله _ .
و قد جاءت آيات تدل على التأيي لا بلفظه، وإنما بذكر ضده، أو النهي عن ضده

(١) سورة التغابن - ١٧

(٢) أخلاقنا / د. محمد ربيع جوهرى ص ٢٢٠

(٣) لسان العرب / ابن منظور (١٢ / ١٤٦) مادة (حلم) وانظر المقصد الأسنى / ص ٩٤ .

(٤) سورة هود - ٧٥

(٥) تفسير الجلالين (١ / ٢٩٦)

(٦) سورة التوبة - ١١٤

(٧) سورة الصافات - ١٠١

(٨) سورة هود - ٨٧

(٩) لسان العرب / ابن منظور (١٢ / ١٤٦) مادة (حلم) .

(وهو العجلة) ..

قال تعالى: ﴿لَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (٦) » (١)

فالتَّهْي عن تعجيل التلاوة يقتضي استحباب التأني في قراءة القرآن (٢).

وقوله تعالى: { فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا } (٦) فالخطاب للنبي ﷺ بالألّا يعجل على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب، فإنّ لهم أياماً معدودة لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون ،

نُملهم و نحلهم عنهم مدة؛ ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجح فيهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر. (١)

فهذه الآية و إن لم يرد فيها لفظ التأني صريحاً إلاّ أنّه أشير إليه بمفهوم الخطاب لا بمنطوقه؛ إذ الأمر بعدم العجلة في حقهم هو أمر بالأناة و الانتظار و الإمهال حتى يقتضي الله أمراً كان مفعولاً.

(١) سورة طه - ١١٤

(٢) انظر فتح الباري / ابن حجر (٩٠ / ٩) .

(٦) سورة مريم - ٨٤ .

(١) تفسير السعدي ص ٥٣٥ .

المبحث الثالث :

فضل الأناة

المبحث الثالث : فضل الأناة

أ) الأناة من أحمد الأوصاف ، وأكمل الأخلاق .. و هي علامة التوفيق؛ لأنّ بها صواب الرأي واتضح الأمور، و لا يقترن بها فشل و لا يعقبها ندامة^١ .
قال المتأوي في فيض التقدير^٢

(التأيي من الله أي ممّا يرضاه ويثيب عليه ، والعجلة من الشيطان ، أي هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأنّ العجلة تمنع من الثبوت والنظر في العواقب) أ.هـ .
ب) و قد جاء في صحيح السنة أحاديث تبين فضل الأناة، ومّا جاء في ذلك :

١. أنّ النبي ﷺ قال لأشجّ عبد القيس^٣: (إنّ فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله الحلم و الأناة)؛

٢. (إنّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)°

٣. (إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، ولا يُنزعُ من شيء إلاّ شانه)^٦

١ - انظر : النهج المسلوب في سياسة الملوك / الشيرازي ص (١٣٧) .

٢ - (١٨٤/٣) .

٣ - المنذر بن عائد بن المنذر بن الحارث العصري، لقّبته النبي ﷺ الأشجّ فاشتهر به، و ينسب إلى عبد القيس قبيلته، وهم من البحرين المعروفة الآن بالأحساء، نزل البصرة و مات بها. انظر: الإصابة (١٨٧/١) و الطبقات الكبرى (٥٥٧/٥).

٤ - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ حديث (١٧) عن ابن عباس ، (٤٨/١) .

٥ - (- متفق عليه أخرجه الشيخان، أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرّض الذمي وغيره بسبّ النبي ﷺ يُصرّح نحو قوله : السام عليكم (٢٥٣٩/٦) حديث (٦٩٢٧) ، و مسلم في كتاب البر و الصلة والآداب ، باب فضل الرفق (٢٠٠٣/٤) حديث (٢٥٩٣) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها . و رواية مسلم ليس فيها (في الأمر كله) .

٦ - أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة والآداب ، باب فضل الرفق (٢٠٠٤/٤) حديث (٢٥٩٤) عن عائشة رضي الله عنها .

(ج) و قد ذكر كثير من المفسرين حديث: (التأيي من الله والعجلة من الشيطان) كأصل في باب الأناة، أو بيان فضل الأناة وذم العجلة.. واعتمده المصنفون في أبواب الزهد والأخلاق والآداب .. والحديث قد تكلم فيه أهل الحديث ما بين تضعيف و تحسين.. ولهذين السببين أفردته بالحديث والبيان ، سائلة الله التوفيق والسداد في القول ، راجعةً إلى ما ذكره علماء الحديث في هذا الشأن، مستفيدة من إيراد وتعليق وحكم فضيلة الشيخ : فهد بن عبد الله السنيدي^١ .

وسأورد الحديث بسنده ثم أذكر مقال أهل العلم فيه :

قال أبو يعلى في مسنده^٢: حدثنا أبو بكر حدثنا يونس عن ليث عن يزيد عن ابن سنان بن مالك عن النبي ﷺ قال (التأيي من الله والعجلة من الشيطان ، و ما شيء أكثر معاذير من الله ، و ما من شيء أحب إلى الله من الحمد) .

و أخرجه أحمد بن منيع و الحارث بن أبي أسامة^٣؛ كلهم من طريق الليث - وهو ابن سعد - عن يزيد عن ابن سنان - وهو سعد - عن أنس مرفوعاً، كما في المطالب العالية^٤ وكذا رواه ابن عدي في الكامل^٥ .

و رواه البيهقي في سننه الكبرى^٦ عن أبي الوليد عن الليث . و في شعب الإيمان^٧ و المدخل إلى السنن الكبرى^٨ عن يحيى بن بكير الليث به... و أورده عنه : السيوطي في الدر المنثور^٩ .

١ - انظر: (أحاديث في الميزان) مجلة الحرس الوطني (العدد: ٢١٨) جمادى الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ص ٧٥ .

٢ - (٢٤٧/٧) حديث (٤٢٥٦) .

٣ - (١٢٨/٢) حديث (١٦٨) .

٤ - (٢٨١٤) .

٥ - (٣٥٦/٣) .

٦ - كتاب آداب القاضي باب (٩) الثبت في الحكم (١٠٤/١٠) .

٧ - (١٩/٤) حديث (٤٣٦٧) .

٨ - (٤٣٨/١) حديث (٨١٩٠) .

٩ - (٣٢/١) .

و أخرجه - أيضاً - الخرائطي في مكارم الأخلاق^١ من طريق الليث به .
 و أخرجه اسحاق بن راهوية في مسنده^٢، و ذكره السيوطي في الدر المنثور^٣ عن عبد
 بن حميد ، و ابن جرير^٤ عن قتادة في بيان سبب نزول قوله تعالى { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا
 }^٥ ، و كذا القرطبي في تفسيره^٦ .

و ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب^٧ عن أنس .
 كما ذكره الحكيم في نواذر الأصول في أحاديث الرسول^٨ .
 قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد^٩ .
 " رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .. "
 و قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب^{١٠} : " رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح " .
 و قال الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة^{١١} :
 " و هذا إسناد حسن ، رجال ثقات ، رجال الشيخين ، غير سعد بن سنان و هو حسن
 الحديث " .

وقال الطبراني في مسند الشاميين^{١٢} : رواه أبو يعلى^{١٣} و البيهقي^{١٤} من حديث أنس
 بسند حسن (أ.هـ .

١- (٦٨٦ / ٢) .

٢- (٤٢٨ / ١) حديث (٤٩٤) .

٣- (٥٥٨ / ٧) .

٤- (١٢٤ / ٢٦) .

٥- (الحجرات - ٦) .

٦- (٣١١ / ١٦) .

٧- (٧٨ / ٢) حديث رقم (٢٤٤٠) .

٨- (١٢٣ / ٤) .

٩- كتاب الآداب باب (٢١) التأني في الأمور (١٩ / ٨) .

١٠- (٢٨٠ / ٣) حديث (٤٠٦٢) .

١١- (١٧٩٥) .

١٢- (٣١٠ / ٣) .

١٣- (٤٢٥٦) .

١٤- (١٠٤ / ١٠) .

وقال ابن عدي في الكامل^١ : " سعد بن سنان ، ويقال سنان بن سعد حدثنا عن أبي عصر ثنا أحمد بن أبي يحيى قال سمعت أحمد بن حنبل يقول : (لم أكتب أحاديث سنان بن سعد ؛ لأنهم اضطربوا بها ، فقال : بعضهم : سعد بن سنان وسنان بن سعد) .

و حدثنا عن حماد حدثنا عبد الله بن أحمد عن أبيه قال : (سعد بن سنان ويقال سنان بن سعد تركت حديثه حديث مضطرب)

و سمعته يقول : (يشبه حديثه حديث الحسن ، ولا يشبه أحاديث أنس .. سمعت بن حماد يقول : قال السعدي : أحاديثه يعني سعد بن سنان واهية ، لا تشبه أحاديث الناس عن أنس ..)

وقال النسائي فيما أخبرني محمد بن العباس عن : (سعد بن سنان روى عنه يزيد أبي حبيب منكر الحديث ..)

إلى أن قال : (قال ابن عدي : ما ذكرت من الحديث عن أنس والليث يروي عن يزيد بن أبي حبيب فيقول : عن سعد بن سنان ، " وعمرو بن الحارث ، وابن لهيعة " ، يرويان عن أبي حبيب فيقولان عن سنان بن سعد عن أنس ... وهذه الأحاديث ومتونها وأسانيدها والاختلاف فيها يحمل بعضها بعضاً ، وليس هذه الأحاديث مما يجب أن تترك أصلاً ، كما ذكره بن حنبل أنه ترك هذه الأحاديث للاختلاف الذي فيه سعد بن سنان وسنان بن سعد ؛ لأنفي الحديث وفي أسانيدها ما هو أكثر اضطراباً منها في هذه الأسانيد ولم يتركه أحد أصلاً ، بل أدخلوه في مسندهم و تصانيفهم " أ.هـ .

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب^٢ :

(سعد بن سنان ويقال : سنان بن سعد الكندي ، المصري ، وصوب الثاني البخاري وابن يونس ، صدوق له أفراد ، من الخامسة)

وذكرَ بأنه قد حرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه .

^١ - (٣ / ٣٥٥) ترجمة (٧٩٩) .

^٢ - ص ٣٦٩ ترجمة : (٢٢٥١) .

ونقل الشيخ فهد بن عبد الله السنيد عن ابن باز قوله في سعد بن سنان : (ضَعَّفَهُ النسائي وجماعة) .

ثم عقب ذلك بقوله : اختلف الحفاظ في سعد بن سنان ، فمنهم من ضَعَّفَهُ ، ومنهم من وثَّقه ، والأقربُ أنه ضعيف ، وليس من رجال الصحيح خلافاً لما قاله الهيثمي^١ أ. هـ .
و للحديث شواهد عدَّة .. منها :

١ - (الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان) .

أخرجه الترمذي في سننه^٢ ، والطبراني في المعجم الكبير^٣ ، وفي مكارم الأخلاق^٤ و الروياني في مسنده^٥ كلهم من طريق عبد المهيم بن عباس ، عن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده ..

قال الإمام الترمذي عن الحديث : (غريب ، وقد تكلم بعض أهل الحديث في عبد المهيم بن عباس بن سهل وضعفه من قبل حفظه) ..

قال الحافظ عنه في التقريب^٦ :

(ضعيف من الثامنة ، مات بعد السبعين ومائة) ..

قال السنيد^٧ :

(واتفقوا على ضعفه ؛ بل قال النسائي ليس بثقة ، وقال أبو حاتم والبخاري : منكر الحديث ؛ فلا يصلح للاستشهاد به) .

١ - انظر: (أحاديث في الميزان) مجلة الحرس الوطني (العدد: ٢١٨) ص ٧٥.

٢ - (٣٦٧/٤) حديث (٢٠١٢) .

٣ - (١٢٢/٦) حديث (٥٠٧٢) .

٤ - (٢٧) .

٥ - (٢٢٧/٢) حديث (١٠٩٥) .

٦ - ص ٦٣٠ الترجمة رقم (٤٢٦٣) .

٧ - انظر: (أحاديث في الميزان) مجلة الحرس الوطني (العدد: ٢١٨) ص ٧٥.

٢- عن عمر بن شبة قال حدثنا سالم بن نوح أنبأنا يونس عن الحسن أن نبي الله ﷺ قال

: (التبيّن من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا).

أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق^١ وقال عنه: (هذا سند حسن إلا أنه مرسل) .

وأخرجه العسكري من طريق سهل بن أسلم عن الحسن به^٢ .

وذكره السيوطي في جمع الجوامع .

وقال الخرائطي في المكارم^٣: (قال ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن مجاهد عن الحسن

مرسلاً)

قال السنيد: (فهذه ثلاث طرق عن الحسن، وهذا يؤيد قول الإمام أحمد السابق - رحمه

الله - في سعد بن سنان راوي حديث أنس، حيث قال: " يشبه حديثه حديث الحسن، ولا

يشبه حديث أنس^٤) (أي أنه يهم في أحاديث الحسن، فيجعلها من حديث أنس - كما

هنا - والله أعلم) .

وأخرج الحديث ابن جرير في تفسيره^٥ قال: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال:

حدثنا سعيد عن قتادة قوله: كان نبي الله ﷺ يقول: (التبيّن من الله والعجلة من الشيطان)

أ.هـ وهذا سند صحيح (إلا أنه مرسل أيضاً) أ.هـ .

(فالحديث^٦ قابل للتحسين إذا جعلنا حديث أنس ومرسل الحسن حديثين ، وأمّا إذا

جعلناهما واحداً ففي تحسينه نظر) أ.هـ .

^١ - (٦٨٧/٢) .

^٢ - المقاصد الحسنة (٣١٢) ، وكشف الخفاء : (٣٥٠/١) (٩٤٣) .

^٣ - (٦٨٧/٢) .

^٤ - انظر الكامل / ابن عدي (٣٥٥/٣) ترجمة رقم (٧٩٩) : سعد بن سنان .

^٥ - (١٢٤/٢٦) .

^٦ - كما يرى فضيلة الشيخ : فهد السنيد .

المبحث الرابع :
اقتران الحلم بالأناة

المبحث الرابع : اقتران الحلم بالأناة

الحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي العقول الناضجة فهو سبيل كل غاية حميدة ونهاية سعيدة، يقتلع الشر من جذوره ويطفئ النيران قبل اشتعالها، ويقضي على الفتنة في مهدها . وهو فضيلة فردية واجتماعية في وقت واحد ، يقول أبو حيان التوحيدي : " ليس في الدنيا خصلة يحسن الإنسان فيها إلى نفسه ويحمد عليها إلا الحلم، و ما يدخل معه كالصبر، والكظم، و التغافل، و الإغضاء، و أمّا الخصال البواقية فإن الإنسان يحمد فيها إذا أحسن إلى غيره أو شركه في ذلك الإحسان غيره^١ .

و نصّ أئمة اللغة على أنّ الحلم هو الأناة .. قال الرازي في مختار الصحاح^٢ :
الحلم بالكسر : الأناة ..

و وافقه ابن منظور^٣ في لسان العرب^٤ بأنه : " الأناة والعقل " .. وأضاف :
(وفي حديث النبي ﷺ في صلاة الجماعة : " لِيَلْبِنِي مِنْكُمْ أَوْلُوا الْأَحْلَامَ وَالتَّهْيَ " أي ذوو الألباب والعقول .. واحدها حلم بالكسر ، وكأنته من الحلم : الأناة والتثبيت .

وجاء في تفسير قوله : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} .^٥

(الحلیم : أي كثير الأناة .. أو اه منيب : رجّاع)^٦

و من أهل العلم من فرّق بينهما فقال: (الحلم: العقل ، والأناة : التّثبّت وترك العجلة)^٧ .

و لعلّ الحديث الذي يجلي لنا بوضوح اقتران الحلم بالأناة هو ما قاله النبي ﷺ لأشج عبد القيس^٨ : إنّ فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله : الحلم والأناة .

^١ - المقابسات / التوحيدي ص ٤٣٠ .

^٢ - (٦٤/١) مادة (حلم) .

^٣ - سبق ترجمته ص ٢٢٤ .

^٤ - (١٤٦/١٢) مادة الحلم .

^٥ - (سورة هود - ٧٥) .

^٦ - تفسير الجلالين (٢٩٦/١) .

^٧ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٩/١) .

^٨ - سبق ترجمته ص ٢٤٨ .

قال النووي^١ في شرح صحيح مسلم^٢ : (وسبب قول النبي إنَّ فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والأناة) ما جاء في حديث الوفد ، أنهم لما وصلوا المدينة بادروا إلى النبي ﷺ وأقام الأشج عند رحالهم فجمعها ، وعقل ناقته ، ولبس أحسن ثيابه ثم أقبل إلى النبي ﷺ فقرببه النبي ﷺ ، وأجلسه إلى جانبه ثم قال لهم النبي ﷺ : تبايعون على أنفسكم وقومكم ؟ فقال القوم : نعم ، فقال الأشج : يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشدَّ عليه من دينه نبايعك على أنفسنا ، ونرسل من يدعوهم ، فمن اتبعنا كان منا ، ومن أبى قاتلناه .. قال : " صدقت ، إنَّ فيك خصلتين " .. الحديث.

قال القاضي عياض : " فالأناة : تربصه حتى نظر في مصالحه ، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله ، وجودة نظره للعواقب " أ.هـ .

وقال الراغب الأصفهاني^٣

(الحلم : ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب ، وجمعه : أحلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ ﴾ ؛ قيل معناه : " عقولهم . وليس الحلم في الحقيقة هو العقل ، لكن فسروه بذلك ؛ لكونه من مسببات العقل " .. أ.هـ .

^١ سبقت ترجمته ص ٤٥ .

^٢ - (١٨٩/١) .

^٣ - سبقت ترجمته ص ٤٢ .

^٤ - (سورة الطور - ٣٢) .

^٥ - المفردات في غريب القرآن ص ١٢٩ .

المبحث الخامس :

الفرق بين التائي والتواني

المبحث الخامس : الفرق بين التائي والتواني :

التائي : التثبت .. ورجلُ آنٍ .. كثير الأناة والحلم .
واشتقاقه من : أي تقول : أي وتائي و استأني .. تثبتت ..^١

^١ - لسان العرب / ابن منظور (٤٨ / ١٤) .

و التآني أمرٌ محمودٌ .. ممدوحٌ فاعله ..

قال تعالى في مَعْرِضِ الثناء على نبيه إبراهيم عليه السلام : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} ١
 حلیم : أي كثيرُ الأناة .. ٢ .

أما التواني فهو التأخير و الإبطاء.. مأخوذ من أَنِي أَنِيًّا فهو أَنِيٌّ.. أي تأخر وأبطأ.. ٣
 و شاهد ذلك أن رجلاً جاء يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب ، فجعل يتخطى رقاب
 الناس حتى صلى مع النبي ﷺ ، فلما فرغ من صلاته قال : أما جمعتَ يا فلان .. فقال يا
 رسول الله أما رأيتني جمعتُ معك فقال : " إني رأيتك آنيتَ و آذيت " ٤ .
 قال الأصمعي: " آنيت: أي أخرت المحيء وأبطأت، و آذيت: أي آذيت الناس
 بتخطيك).

و منه قيل للمتكت في الأمور : متأنٌ ٥ .

و معنى الحديث : أنه جعل تجميعه في فقد الفضيلة؛ لإيذائه الناس بالتخطي،
 و تأخيره المحيء ٦

فالإيناء : التأخير ، و آناه يؤنيه إيناءً ، أي أخره وحبسه وأبطأه ٧ .
 و من ذلك ما قاله الحطيئة ٨

و آنيت العشاءَ إلى سهيلٍ

أو الشّعري فطال بي الأناة ٩

١ - (سورة هود - ٧٥) .

٢ - تفسير الجلالين ص ٢٩٦ .

٣ - (لسان العرب / ابن منظور / ٤٨/١٤) مادة (أني) وانظر المعجم الوسيط (٣١/١) .

٤ - أخرجه ابن أبي شيبة في تخطي الرقاب يوم الجمعة (٤٧٣/١) حديث رقم (٥٤٧٣) وكذا أخرجه أبو داود
 والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما بلفظ (اجلس فقد آنيت) عن بسر، ورواه ابن ماجه من حديث
 عبد الله بن جابر ..

٥ - لسان العرب / ابن منظور (٤٨/١٤) مادة (أني) .

٦ - الفائق / الزمخشري (٦٠/١) .

٧ - تفسير القرطبي (٢٩/٢٠) .

٨ - سبقت ترجمته ص ٢٢٦ .

٩ - البيت للحطيئة في لسان العرب (٤٩/١٤) مادة (أني) ، (٢٢٢/١٥) مادة (كرا) .

آنيت : أي أخّرت. والأناة : الانتظار .

وفي المثل :

العجز^١ مع الواني ، و الفوت^٢ مع التواني^٣ .

و عليه فالتأني قسيم (العجلة) و هو محمود.

و التواني قسيم (التقدّم و الإسراع) و هو مذموم.

الفصل الثاني : مظاهر الأناة و آثارها

١ - الضعف.

و فيه مباحث :

٢ - التقصير والتأخير .

٣ - فتح الخلاق في **المبطل الأول** : المظاهر الأناة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : في السلوك العام

المطلب الأول : في السلوك العام .

أمر الله نبيه محمد ﷺ بالتأني عند نزول القرآن عليه ، قال تعالى : {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} ١ .

١- (سورة طه - ١١٤) .

" فإذا ما كان التأني مطلوباً من النبي ﷺ حين تَنزَّل القرآن عليه ؛ فإنَّ التأني يكون مطلوباً من الإنسان في أمور حياته كلها .. " ١ .

لذا كان حرياً بالمسلم أن يتأني فيما يصل إلى سمعه من أخبار ، ويتثبت فيما يُنقل إليه من أقوال .. وعليه أن يتحلّى بالأناة .. و ألا تدفعه العجلة إلى اتخاذ قرار قد يندم عليه مستقبلاً ، أو يظلم فيه بريئاً. وعليه أن يتحكم في زمام نفسه ، ويلجمها حال الغضب لئلا يدفعه ذلك إلى اتهام بريء ، أو محاكمة من لم يخطئ ..

ألا ترى إلى موسى عليه السلام ؛ حين أزعجه خبر قومه حين عبَدُوا (العجل) ، فأسرع ولم يتأن وأخذ بتلايب ثوب أخيه يجره إليه .. حين (ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه) ٢ .. ثم سمع النداء عن لطف من أخيه هارون : (قال ابن أمّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تُشمتْ بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ٣ .

" مع براءتي منهم ، ومن ظلمهم . ثم قال موسى بعد سماع خطاب أخيه الرقيق : { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلا أَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } فلما اعتذر إليه أخوه { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلا أَخِي } ليرضي أخاه ، واستغفر لنفسه ممَّا فرط منه إلى أخيه) ٤ من العجلة وعدم التأني

و لا أدلّ على فضيلة التأني في السلوك العام من امتداح المصطفى ﷺ لأشجّ

عبد القيس ٥ :

(إنَّ فيك لخصلتين يجبهما الله ورسوله : الحلم والأناة) ٦ .

١ - موسوعة نضرة النعيم (١٦٥/٣) .

٢ - (سورة الأعراف - ١٥٠) .

٣ - (سورة الأعراف - ١٥٠) .

٤ - (سورة الأعراف - ١٥١) .

٥ - الكشاف / الزمخشري ص ٣٨٩ .

٦ - سبق ترجمته ص ٢٤٩ .

٧ - سبق تخرجه .

و قد أخرج أبو داود^١ عن سعد بن أبي وقاص **t** أنه قال : قال رسول الله **r** :
 (التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة)^٢ .
 و التؤدة : التأني والتمهل .. اتند في أمرك أي تمهل وتأن^٣ .
 و التؤدة خير في كل شيء إلا عمل الآخرة ؛ لأن في تأخير الخير آفات كثيرة^٤ .
 وينبغي على المرء لزوم التأني والرزانة والتثبت حتى يريه الله المخرج^٥ .

المطلب الثاني : في التعليم .

قال تعالى : { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }^٦

من أسرار هذه الآية : أنها تضمّنت التأني والتثبت في تلقي العلم ، وأن لا يحمل السامع شدة محبته ، وحرصه ، وطلبه على مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه ؛ بل من

١- (حديث : (٤٨١٠)) .

٢- قال الألباني صحيح (٩١٣/٣) .. وذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (٢٤٠/٢) وقال : (رجاله كلهم ثقات).

٣- مختار الصحاح ص ٣١٨ .

٤- انظر عون المعبود (١١٤/١٣) .

٥- فيض القدير / المناوي (٢٧١/١) .

٦- (سورة القيامة -١٦) .

الآداب التي أدب الله بها نبيه ﷺ أمره " بترك الاستعجال " على تلقي الوحي ، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل من قراءته ، ثم يقرأه بعد فراغه عليه .

فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه ، ثم يعيده عليه ، أو يسأل عما أشكل عليه منه ، ولا يبادره قبل فراغه ..
وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه أحدها هذا ..

والثاني : { وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ }^١

والثالث : { سَتُفْرُوكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ }^٢ .

ففي قوله تعالى : { لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }^٤ الإيماء إلى حُسن الاستماع

والإصغاء عند الإيحاء به كما في آداب الاستماع { فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا }^٥ .

فهذا إرشاد من الله لرسوله ﷺ ، ودلالة له ولأئمة إلى خلق أتم - من الاستعجال -
وأدب جم ، يحصل من السماع والحفظ ، والإنصات والضبط .

و إذا كان النهي ورد في حق النبي ﷺ ، فسواه من أمته بالنهي أولى .. وإذا نُهيَ عن العجلة بالقرآن فغيره من العلوم أولى بعدم العجلة به .. "

و على طالب العلم أن يتخلص من سمة التعجل في القراءة والفهم ، وأن يهيئ نفسه لاستيعاب العلم النافع والتوجيهات التربوية السديدة ، كما أن المعلم عليه أن يتسم بطابع الصبر في تعليم طلابه ، دون تعجل في إيصال المعلومات لهم ، ودون تعجل في فهمهم لما يستقبلونه من موضوعات علمية^٧ .

^١ - (سورة طه - ١١٤) .

^٢ - (سورة الأعلى - ٦) .

^٣ - التبيان في أقسام القرآن (١/١٠٠) .

^٤ - (القيامة - ١٦) .

^٥ - (سورة الأعراف - ٢٠٤) .

^٦ - أضواء البيان / الشنقيطي (٣٧٤/٨) .

^٧ - الهدى الإسلامي للغرائز عند الإنسان / د. عبد الرحمن الزيد ص ٢٧ .

و الحق | حينما نهي نبيه ﷺ عن العجلة بالقرآن ؛ ضَمِنَ له القراءة والبيان ، {ثُمَّ
 إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} ^١ " كأنه ﷺ كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعاً، كما ترى بعض
 الحُرَّاصِ على العلم ونحوه، فقليل له: {وَلَا تُعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ} ^٢ .

كما بيّن العدويّ في حاشيته فضل التأني في الطلب حين تحدّث عن آداب طالب العلم
 مع شيخه .. إذ قال :
 " ترك الاستعلاء ، وحُسن التأني ، وعدم العجلة معينان على العلم " ^٤ .

المطلب الثالث : في قراءة القرآن

المصطفى ﷺ أمرَ بعدم العجلة بتلاوة القرآن حتى لو كان ذلك بينه وبين ربه في الصلاة
 و غيرها ..

{يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ..} إلى قوله : أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ^٥ .
 أقرأه بتؤدة ^٦ وتأنٍّ، وتمهّل؛ فإنه أعون على فهمه وتدبره ^١ .

^١ - (سورة القيامة - ١٩) .

^٢ - (سورة طه - ١١٤) .

^٣ - الكشاف / الزمخشري (ص ١١٦١) .

^٤ - حاشية العدوي (٦٧٤/٢) ، وانظر كفاية الطالب (٦٧٤/٢) .

^٥ - (سورة المزمل (١-٤)) .

^٦ - الطبري (١٢٦/٢٩) قال ابن حجر: (ورد عن السلف تفسيرها فعند الطبري بسند صحيح عن مجاهد ..) يريد :

تؤدة . انظر : فتح الباري (٨٩/٩) .

وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت حفصة ^٢ t :- " كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطولٍ منها ^٣ .. " .

و قد أخرج مسلم^٥ عن حذيفة ^٦ t قال : صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ^٧ .

وحرص الصحابة والسلف على التأني في قراءة القرآن وعدم العجلة به ، تطبيقاً لأمر الله ، وتأسياً بسنة رسول الله ﷺ .

فقد أنكر ابن مسعود^٨ على رجلٍ سرعته في القراءة حين قال : " قرأت المفصل البارحة ، فقال عبد الله t : هذا كهذا الشعر إننا قد سمعنا القراءة ، وإني لأحفظ القرائن التي يقرأ بها النبي ﷺ ثمانية عشرة سورة من المفصل ، و سورتين من آل حم ^٩ .

قال ابن مفلح^{١٠} : (أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن الإبانة ^{١١} ، وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها) ^{١٢} .

^١ - ابن كثير (٤/٤٢٥) .

^٢ - سبقت ترجمتها ص ١٤٤ .

^٣ - رواه مسلم ، سبق تخريجه .

^٤ - تفسير المراغي (٦/٢٣٤) .

^٥ - سبق ترجمته ص ١١٥ .

^٦ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

^٧ - رواه مسلم ، سبق تخريجه .

^٨ - سبق ترجمته ص ١٤٥ .

^٩ - متفق عليه . سبق تخريجه .

^{١٠} - سبق ترجمته ص ١٤٦ .

^{١١} - وهذا القول قول الشافعي . انظر : سنن البيهقي الكبرى . باب كيف قراءة المصلي (٢/٥٢) .

^{١٢} - الآداب الشرعية (٢/٢٩٧) .

و حرص السلف على تطبيق هذا؛ لذا لما قرأ علقمة^١ على عبد الله^٢ - وكان حسن الصوت - فقال: "رتل فداك أبي وأمي؛ فإنه زين للقرآن"^٣.

و أدرك الأئمة - رحمهم الله - أهمية الترتيل، والتأني أثناء قراءة القرآن، فضربوا لذلك أروع الأمثلة، قال الإمام ابن حجر: "إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون بالعكس.."^٤ أ.هـ.

كما أدرك ذلك من تلاهم من أهل عصرنا، فحين تحدّث الدكتور خالد اللاحم عن مقاصد قراءة القرآن الخمسة قائلاً: (قراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد: هي "الثواب، والمناجاة والمسألة، الشفاء، والعلم، والعمل" فمتى قرأ القرآن مستحضراً المقاصد الخمسة معاً كان انتفاعه بالقرآن أعظم، وأجر أكبر، وهذه المقاصد مجموعة في قولك: (ثم شع) (...)^٥

عقب ذلك بقوله: "والصحيح أن من أسرع فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن وهو: ثواب القراءة، ومن رتل وتأمل فقد حقق المقاصد كلها وكمل انتفاعه بالقرآن، واتبع هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم -"^٦.

^١ - سبق ترجمته ص ١٤٦

^٢ - أي: ابن مسعود، سبق ترجمته ص ١٤٥

^٣ - أخرجه البيهقي سبق تخريجه

^٤ - فتح الباري (١٨٩/٩) .

^٥ - (انظر مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة: (١٠) مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل / د. اللاحم ص ٢٥) .

^٦ - المرجع السابق ص ٦٧ .

المطلب الرابع : في المشي إلى الصلاة

ندب الله إلى فعل الطاعات .. و المسارعة إلى الخيرات .. و في ذات الوقت أمر الله عباده بالإتيان إلى العبادات بسكينة وتأن و وقار .. بعيداً عن العجلة والإسراع .. قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ }^١ .. " أي اقتصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها ..

وليس المراد بالسعي هنا المشي السريع ، وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى:

{ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ }^٢ .

فأمّا المشي السريع إلى الصلاة ، فقد نُهي عنه ، لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إذا أُقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا)^٣ .

^١ - (سورة الجمعة - ٩) .

^٢ - (سورة الإسراء - ١٩) .

^٣ - تفسير ابن كثير (٣٣٦/٤) .

قال ابن حجر: (فاسعوا فامضوا ..) وقوله في الحديث (فلا تأتوها تسعون) والمراد به : الجري)^٢ أ.هـ .

قال العلماء : والحكمة في إتيانها بسكينة والنهي عن السعي ، أن الذهاب إلى الصلاة عامد في تحصيلها ، ومتوصّل إليها؛ فينبغي أن يكون متأدّباً بأدائها، وعلى أكمل الأحوال ... وإنما ذكر (الإقامة) للتنبية بما على ما سواها ؛ لأنه إذا نُهي عن إتيانها سعياً في حال الإقامة ؛ مع خوفه فوت بعضها، فقبل الإقامة أولى .

قال النووي :

(إنَّ أحدكم يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة ، فيه الندب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار ، والنهي عن إتيانها سعياً ، سواءً فيه صلاة الجمعة وغيرها ، سواءً خاف فوّت تكبيرة الإحرام أم لا ..)

و أكّد ذلك بيان العلة فقال ٣ : (فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة) ، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة ..^٣ أ.هـ .

١ - متفق عليه أخرجه البخاري كتاب الجمعة ، باب المشي إلى الجمعة، حديث (٨٦٦) (٣٠٨/١) ومسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة) باب استحباب إتيان الصلاة بوقار و سكينة والنهي عن إتيانها سعياً، حديث (٦٠٢) (٤٢٠/١) .

٢ - فتح البارئ / ابن حجر (٣٥٤/٢) .

٣ - شرح النووي على صحيح مسلم (٩٨/٥) .

المطلب الخامس : عند الدفع من عرفات إلى مزدلفة

قال تعالى : { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ . ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }^١

قد عُلم أن الوقوف بعرفة ركن .. و المبيت بمزدلفة ركن .. و يصحب الدفع من عرفات إلى مزدلفة زحامٌ شديد ، وقد يتدافع الناس حرصاً على إيجاد مبيت مناسب لهم ؛ مما يتسبب في عرقلة الحركة ، و ربما إزهاق الأنفس و ضياع الأموال؛ لذا جاء الأمر النبوي الكريم بالسكينة حين الدفع؛ بل استحب أهل العلم أن يقف الحاج حتى يدفع الإمام، أو من في مقامه، ثم يكون الدفع منهم بسكينة و وقار ..

قال ابن قدامة في المعنى^٢ :

(والمستحب أن يدفع الإمام ثم يسير نحو المزدلفة على سكينة و وقار ..) لقول النبي ﷺ حين دفع وقد شقق لناقته القصواء بالزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحلة ، ويقول بيده اليمين : أيها الناس السكينة السكينة هذا في حديث جابر^٣ ..

^١ - سورة البقرة الآيتان : (١٩٨-١٩٩) .

^٢ - (٢١٢/٣) .

^٣ - يشير إلى حديث جابر الذي أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ حديث (١٢١٨) (١٨٩١/٢) .

قال النووي:

(وفي هذا استحباب الرفق في السير من الراكب بالمشاة، وبأصحاب الدوابّ الضعيفة..)

ويقول بيده: السكينة السكينة.. أي الزموا السكينة وهي الرفق والطمأنينة، ففيه: أنّ السكينة في الدفع من عرفات سنّة؛ فإذا وجد فرجة يُسرّع (أ.هـ^١)
وروي عن ابن عباس أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ ، ورأى زجراً شديداً وضرباً للإبل ، فأشار بصوته إليهم وقال : (أيها الناس عليكم السكينة ؛ فإنّ السير ليس بإيضاع للإبل)^٢ .

فقوله: (عليكم بالسكينة) أي في المسير. والمراد: السير بالرفق وعدم المزاحمة.
قوله: (فإنّ البر ليس بالإيضاع) أي السير السريع، ويقال: هو سير مثل الخبب، فبين أنّ تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي ممّا يتقرّب به. ومن هذا أخذ عمر بن عبدالعزيز قوله - لما خطب بعرفة - : (ليس السابق من سبق بغيره وفرسه، ولكن السابق من غفر له).

قال المهلب: إنّما نهاهم عن الإسراع إبقاءً عليهم ؛ لئلا يُجحفوا بأنفسهم مع بعد المسافة. أ.هـ^٣

^١ - شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٦/٨) .

^٢ - أخرجه البخاري في كتاب الحج باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة ، وإشارته بالسوط إليهم حديث (١٥٨٧) (٢ / ٦٠١)

^٣ - فتح الباري / ابن حجر (٣ / ٥٢٢) .

المطلب السادس : في الحكم على الآخرين ومخاطبتهم

التثبّت فضيلةٌ ترجع إلى الأمانة الكاملة ، والعقل الناضج .
 و قد أمر الله في محكم كتابه بالتثبّت والتحرّي ، وحذّر من الطيش ، والتسرّع في الأنباء والأخبار،^١ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تُبْعُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۗ ﴾^٢ .

وفي هذا إرشاد عظيم للصحابة ومن تلاهم بوجوب التثبّت في الأمور .. " فالله - تبارك وتعالى - يأمر الصحابة إذا ساروا مسيراً في جهاد أعدائهم أن يتبينوا .. ويتأنّوا في قتل من أشكل عليهم أمره .. فلم يعلموا حقيقة إسلامه ولا كفوه ، فلا يعجلوا فيقتلوا من التبس عليهم أمره .. ولا يتقدموا على قتل أحد إلا على قتل من علموا يقيناً حربته لهم والله ولرسوله ﷺ ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يُقاتلكم ، مُظهِراً لكم أنه من أهل ملتكم ودعوتكم لست فتقتلوه ابتغاء عرض الحياة الدنيا .. أي طلب متاع الحياة الدنيا ، فما عند الله من مغانم كثيرة من رزقه ، وفواضل نعمه ، خير لكم... كذلك كنتم من قبل تَسْتَخْفُونَ بدينكم كما يَسْتَخْفُونَ.. وكنتم قبل كفاراً فمنّ الله عليكم أمر إسلامه^٣ .

وذكر أنّ هذه الآية نزلت سبيل رجل من بني سليم قتله نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فقد أخرج الترمذي^٤ عن ابن عباس قال : مرّ رجلٌ من بني سليم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ومعه غنمٌ له ، فسلم عليهم ، قالوا : ما سلم عليكم إلا ليتعوذ

١- مناهل العرفان / الزرقاوي (٢١٩/١) .

٢- (النساء - ٩٤) .

٣- انظر تفسير ابن جرير الطبري (٢٢١/٥) .

٤- سبق ترجمته ص ١٩٧

منكم ، فقاموا ، وأخذوا غنمه ، فأتوا بها رسول **ر** فأنزل الله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا }^١ ؛ ثم قال الترمذي عن الحديث : (هذا حديث حسن) أ.هـ^٢ .

وقد قرأ الجماعة إلا حمزة و الكسائي^٣ (فتبينوا) من التبيين لأمر قبل الإقدام عليه^٤ ، و قراءة حمزة و الكسائي (فتثبتوا)^٥ أراد ضد العجلة^٦ .

قال الكسائي : (التبيين : التثبت في الأمر ، والتأني فيه) والمعنيان متقاربان .. فتبينوا ، فتثبتوا ، و قرئ بالوجهين جميعاً^٧ .

و ليس من خلق المتثبت العجلة والتسرع .. فإن الرسول **ر** حين أرسل خالداً **t** ، للتحقق من عداوة بني المصطلق (أمره أن يثبت ولا يعجل)^٨ ، ولما أرسله إلى بني جذيمة ، للتحقق من إسلامهم ، فتعجل في القتل ، قال **ر** : (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)^٩ .

بل إنَّ مما ذكر القاضي شهاب الدين الشافعي في كتابه (آداب القضاء) : (وعليه إن يتضح له الحقّ - تأخير الحكم إلى أن يتضح ..)^{١٠} .

١ - سورة النساء (٩٤) .

٢ - سنن الترمذي (٢٤٠/١) حديث (٣٠٣٠) .

٣ - كتاب السبعة في القراءات / ابن مجاهد (٢٣٦/١) .

٤ - تذكرة الأريب في تفسير الغريب / ابن الجوزي (١٢٥/١) .

٥ - كتاب السبعة / ابن مجاهد (٢٣٦/١) .

٦ - تذكرة الأريب في تفسير الغريب / ابن الجوزي (١٢٥/١) .

٧ - لسان العرب / ابن منظور (٦٨/١٣) مادة (بين) .

٨ - انظر تفسير القرطبي (٢٠٥/١٦) (الحجرات-٦) .

٩ - صحيح البخاري كتاب الأحكام باب (٣٥) الحديث (٧١٨٩) .

١٠ - آداب القضاء (ص ١١٠) .

و قال الشوكاني في تفسير قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }^١ : (ومن التَّبَيَّنَّ : الأناة، وعدم العجلة، والتبصُّر في الأمر الواقع ، و الخير الوارد ، حتى يتضح ويظهر ..)^٢.

والمعنى " أمهلوا حتى تعرفوا صحة الخبر ، ولا تعجلوا بقبوله ، وهذا معنى القرآن الأول : (فتبينوا) ، وكذلك معنى : (فتثبتوا) .

وذكر أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فعن أم سلمة **t** قالت : بعث رسول الله **ﷺ** رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة ، فسمع بذلك القوم فتلقوه يُعظِّمون أمر رسول الله **ﷺ** ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله ، قالت : فرجع إلى رسول الله **ﷺ** قال : فأتوا رسول الله **ﷺ** فصفاؤا له حين صلى الظهر فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله .. و سخط رسوله ، بعثت لنا رجلاً مصدقاً فسررنا بذلك ، وقرت به أعيننا ، ثم إنه رجع من بعض الطريق ، فخشينا أن يكون ذلك غضباً من الله ومن الرسول ، فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال ، وأذن بصلاة العصر .. قال : ونزلت : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا }^٣ .^٤

و من أعظم ما ينبغي التثبت فيه ما يرد على القاضي من دعاوى و أحكام ... قال الشافعي - رحمه الله - : (أمر الله جل ثناؤه من يمضي أمره على أحد من عباده أن يكون مستثبناً قبل أن يمضيه) .

و قال **U** : { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } .. قال الشافعي : قال الحسن إن كان النبي **ﷺ** عن مشاورتهم لغنياً ؛ ولكنه أراد أن يستنَّ بذلك الحكام من بعده (.. أ.هـ .^٥ فلاستشارة والاستخارة شرعت ؛ ليتأتى المرء ويتثبت قبل الحكم على الأمر، والإقدام عليه.

١ - (سورة الحجرات - ٦) .

٢ - فتح القدير (٦٠ / ٥) .

٣ - (سورة الحجرات - ٦) .

٤ - تفسير الطبري (١٢٣ / ٢٦) .

٥ - انظر أحكام القرآن (١١٨ / ٢) .

المبحث الثاني: آثار الأناة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : محبة الله

المطلب الثاني : العدل

المطلب الثالث : الطمأنينة

المطلب الرابع : النجاح ونيل المنى

المطلب الخامس : الأناة طريق إلى الحكمة

المطلب الأول : محبة الله

وهذا من أجلى الآثار وأبينها لمن اتصف بهذه الصفة الحميدة، وتحلّى بهذه الخلة الرفيعة..

و لا أدلّ على فضيلة الأناة ، وأنها من الخصال التي تورث محبة الله للعبد من قول المصطفى ﷺ لأشج عبد القيس^(١) : (إِنَّ فِيكَ لِحَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ : الحلم والأناة) .^(٢)

ففي الحديث بيانٌ وإشارة إلى أن مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَةِ الْأُنَاةِ نَالَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ؛ فَقَدْ صَرَّحَ الْمُصْطَفَى ﷺ بِحُبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ لِهَاتَيْنِ الْحَصْلَتَيْنِ : الْحِلْمَ ، وَالْأُنَاةَ .

و إبراهيم عليه السلام كان أمةً جامعٌ لصفات الخير التي يحبها الله ؛ إذ هو خليل الرحمن ، و قد نال تلك المتزلة بفضل الله ، و بما حباه _ عز وجل _ من صفاتٍ يحبها ويرضاها، و من تلك الصفات ما وصفه الله به في سورة هود ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ يُحِبُّهَا ﴾^(٣) فقد امتدحه الله في الآية بالحلم : الذي هو كثرة

الأناة،^(٤) كما وصفه بالحلم أيضاً في سورة التوبة قال تعالى : ﴿ وَكَانَ يُحِبُّهَا ﴾^(٥) »

فدّل ذلك على أن من اتصف بهذه الصفة كان ممن يحبهم الله .

المطلب الثاني : العدل

(١) سبق ترجمته ص ٢٤٩

(٢) رواه مسلم (سبق تخريجه)

(٣) (آية _ ٧٥)

(٤) انظر تفسير الجلالين (٢٩٦ / ١)

(٥) (آية _ ١١٤)

أمر الله **U** عباده بالتأني في الحكم ، وعدم العجلة .. قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُّوا } (١) وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَبَيِّنُوا } (٢) فالأمر صريح بوجوب التأني والتثبت ، { فَبَيِّنُوا } من التبيين للأمر قبل الإقدام عليه (٣) ، فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون و ما تذررون ، و لا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية ، و لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام لست مؤمناً، و إنما أظهرت ما أظهرت متعوداً ؛ بل أقبلوا منه ما أظهره وعاملوا بموجبه (٤) .

فالواجب التأني والتظر والكشف حتى يتضح الأمر (٥) لئلا يتعجلوا فيندموا على قتل مسلم بريء أو الحكم بموجب قول فاسق غير متيقن منه .. فالتبيين والأناة تحقق العدل والمساواة .. و في الآية " تحذيرٌ عمّا يوجب الندم من قتل من لا ينبغي قتله .. " (٦) . إذ الأناة والتثبت في الأمر تمنع موجب ذلكم الندم .. " وعلى المسلمين التبيين و أن يطلبوا بيان الأمر في كل ما يأتون و يذررون ، و لا يعملوا فيه من غير تدبر و روية .. و لا يعجلوا فيه " (٧) .

ومن تأنى في الحكم فسيكون حكمه عادلاً وصابئاً - بإذن الله - وفي آية النساء أعاد الأمر بالتبيين : { فَبَيِّنُوا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّهِ فَكُلُّهُ خَيْرٌ } (٨) مبالغة في التحذير أو أمر بتبيين نعمته

سبحانه شكراً لما منَّ عليهم من نعمته الإسلام (١) .

(١) (سورة النساء - ٢٨)

(٢) (سورة الحجرات - ٦)

(٣) تذكرة الأريب في تفسير الغريب / ابن الجوزي (١٢٥/١)

(٤) تفسير أبي السعود (٢١٨/٢)

(٥) تفسير الطبري (٢٢٥/٥)

(٦) روح المعاني / الألوسي (١١٨/٥)

(٧) المرجع السابق (١١٨/٥)

(٨) (آية - ٢٨)

(١) المرجع السابق (١١٩/٥)

كما أن القاضي عليه ألا يحكم في قضية إلا بعد التأني والنظر والتأمل تحقيقاً للعدل في الحكم ، وإبراءً للذمة وبعداً عن الظلم الحاصل من العجلة في الحكم . و في ذلك الصدد يقول الشافعي -رحمه الله- : (أمر الله عباده ألا يمضي أحداً الحكم إلا بعد أن يثبت منه) . وقال بعض السلف: " ينبغي للوالي أن يتثبت في كل ما يُنهي إليه، ويتأني ولا يتعجل ، حتى ينظر و يستيريء الحال فيه (٢) .

ولقد كان الوالي يوصي عمّاله بالأناة لما يتحقق معها من عدل و إنصاف .. لذا لما وقع ذو الرئاستين (٣) لعامل له أوصاه بالأناة ، فقال : " إن أسرع النار التهاباً أسرعها خموداً ، فتأن في أمرك " (٤) . وجاء في "فتح الخلاق في مكارم الأخلاق" (٥) : " الروية والتؤدة والحكمة أساس الحكم " . كما يتيح التأني للحاكم فحص الأمور ، والعفو في مقامه ، وطرح العجلة في الرأي (٦) .

قال بعض الحكماء : على الملك أن يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة في سلطان الغضب وتعجيل مكافأة المحسن والعمل بالأناة فيما يحدث من الأمور فإن له في تأخير العقوبة مكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة إلى الطاعة من الرعية ، وفي الأناة اتضاح الرأي و انفساح الصواب (٧) .

و سأل ملك من الملوك حكيماً فقال : أي أخلاق الملك أحمد في العواقب ؟
قال : الأناة .

(٢) اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمه / الثعالبي ص ٢٠٢ .

(٣) ذو الرئاستين : هو أبو العباس الفضل بن سهل السرخي ، وزير المأمون ، أحد الخلفاء العباسيين ولد في

(٤٤١هـ) وتوفي عام (٢٠٢هـ) .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جمع : الشريف الرضي ص ٦٨ .

(٥) مؤلفه : سعيد الدجوي ص ١٠٣ .

(٦) فضيلة التأني ورذيلة العجلة / د. عبد القادر الشبخلي ص ١٩ .

(٧) القول في بهجة المجالس ١/ ٣٣٨ .

قال علي بن أبي طالب **t** : إن الأناة والحلم توأمان ينتجهما علو الهمم. ^(١)

المطلب الثالث : الطمأنينة

^(١) العقد الفريد ٢/٢٨٤-٢٨٥ .

إنّ من أعظم نتائج و آثار الأناة .. الطمأنينة الحاصلة من التأني في أداء العبادات ، كذا الطمأنينة الحاصلة من جرّاء التفكّر في عواقب الأمور .. والناجحة أيضاً عن إصابة الحق، وتحقيق العدل ..

فمن امتثل أمر الله سبحانه وتعالى في إتيان الصلاة بسكينة و وقار، وأدّاها بتأنّ وخشوع ، حصل له من جرّاء ذلك الطمأنينة ..

قال ۛ : (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلّوا وما فاتكم فاتّموا ..) (١)

ففيه الندب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينة و وقار ، والنهي عن إتيانها سعيّاً ... والحكمة في إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أنّ الذهاب إلى الصلاة عامد في تحصيلها، ومتوصّل إليها ، فينبغي أن يكون متأدّباً بأدائها ، وعلى أكمل الأحوال . سواء كان ذلك في صلاة الجمعة أو غيرها ... (٢)

فالمشي السريع منهيّ عنه كما دلّ على ذلك الحديث السابق.

و قد يشكل على البعض ورود الحديث مع الأمر في قوله تعالى : ﴿ وَتَذَكَّرُونَ ﴾

فالمراد بالسعي (٣) »

هنا الاهتمام بها ، لا المشي السريع (١) (فاسعوا) هنا امضوا .. أما في الحديث (فلا تأتوها تسعون) المراد الجري . (٢)

ومن تأتّى في أداء صلاته تحققت له الطمأنينة فيها ..

و الطمأنينة ركن ، ولا تصح الصلاة بدونها .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تجزيء صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود) (٣)

وقد أمر بالسكينة والوقار في إتيان الصلاة وأثناء أدائها ، وهما باعثان على الطمأنينة :

(١) متفق عليه (سبق تخريجه)

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٩٨ / ٥)

(٣) (سورة الجمعة - ٩)

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٣٣٦)

(٢) فتح الباري (٢ / ٣٥٤)

(٣) رواه الإمام أبو داوود في سننه (١ / ٥٣٣) وهو في صحيح الجامع (٧٢٢٤)

قال الإمام النووي^(٤) - رحمه الله تعالى - :

(التأيي في الحركات واجتناب العبث هو السكينة المحمودة ، وأما غض البصر وخفض الصوت ، وعدم الالتفات فهو الوقار)^(٥) .

ومن لا يؤدي صلاته بسكينة ووقار وتأن لا يحصل له من ذلك طمأنينة وخشوعاً " ومن أكبر جرائم السرقة: السرقة من الصلاة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : (لا يتم ركوعها ولا سجودها)^(٦) .^(٧)

كما جاء الأمر صريحاً بلزوم السكينة والوقار - الباعثان على الطمأنينة - حين الدفع من عرفات إلى مزدلفة ..

و جاء الأمر بذلك في حديث جابر^(١) الطويل الذي أخرجه الإمام مسلم^(٢) في صحيحه^(٣) : (أيها الناس السكينة السكينة) و ذلك حين دفع وقد شقق لناقته القصواء بالزمام .. وهو يشير بيده اليمين مردداً : (أيها الناس السكينة السكينة) . " أي الزموا السكينة وهي الرفق والطمأنينة .^(٤)

المطلب الرابع : النجاح ونيل المنى

الرؤية والتؤدة : الشروع في الأعمال بعد التفكير فيها ، والوقوف على عواقبها ، ثم السير فيها مع التأني ليكون الإنسان بعيداً عن الخطل، مصوناً من الزلل، فإن الطيش والخفة كثيراً ما كان سبباً في الأضرار وفساد الأعمال ، و عدم الوصول إلى الغرض منها ، وإن

(٤) سبق ترجمته ص ٤٥

(٥) صفوة الأخبار ص (٩٢)

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣١٠ / ٥) والحديث مذكور في صحيح الجامع (٩٩٧)

(٧) محرمات استهتان بها الناس / محمد المنجد ص ٢٤ .

(١) سبق ترجمته ص ٢١١

(٢) سبق ترجمته ص ١٩٨

(٣) في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ حديث (١٢١٨) (٢ / ٨٩١) .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨٦ / ٨)

نجاح العمل المعقود دائماً عند سلك سبيل التأمل وعبر طريق التأني والسلامة حليفة من ضرب في الأمور بفكر حاضر وجنان ثابت .

قال بعض الحكماء: من تأتى نال ما تمنى.

و قال علي بن أبي طالب **t** : " لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودته " .

وقال المهلب بن أبي صفرة ^(١): " أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فوت " .

و قال غيره: " طلب ما لا يُدرك عجز ورب عجلة تُعقب ريثاً " .

و قال أحد العلماء: " من ركب العجل أدركه الزلل " .

وقال بعض العقلاء: العجول مخطئ و إن ملك، والمتأني مصيب وإن هلك " .

وقال الشاعر :

قد يُدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل ^(٢)

وقال آخر :

استأن تظفر في أمورك كلها وإذا عزمت على الهدى فتوكل ^(١)

و قال عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

تأن في أمرك وافهم عني فليس شيء يعدل التأني

تأن فيه ، ثم قل ، فإنني أرجو لك الإرشاد بالتأني ^(٢)

^(١) المهلب بن أبي صفرة بضم المهملة وسكون الفاء، واسمه السهو بن سارق العتكي الأزدي، أبو سعيد البصري من ثقات الأمراء، وكان عارفا بالحرب فكان أعداؤه يرمونه بالكذب. تابعي متأخر، له رؤية من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهو غلام. له رواية مرسلة. قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أميراً أفضل منه. مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح. انظر: تقريب التهذيب (١/ ٥٤٩) ترجمة ٦٩٣٧. وجامع التحصيل (١/ ٢٨٨).

^(٢) البيت للقطامي في ديوانه ص ٢٥؛ وجمهرة أشعار العرب (٢/ ٨٠٥)؛ وديوان المعالي (١/ ١٢٤)؛ و للأعشى في تخليص الشواهد ص ١٠٢؛ وخزانة الأدب (٥/ ٣٧٧)؛ وبلا نسبة في لسان العرب (٧/ ١٢٠) مادة (بعض).

^(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤٩) مادة (أني).

^(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان البستي ١٦٩/ .. ولم أقف عليه .

وقال الجاحظ^(٣): (وصاحب الأناة، إن ظفر نفع غيره بالغنم، ونفع نفسه بثمره العلم، وطاب ذكره ودام شكره، وحفظ فيه ولده، وإن خرم فمبسوط عذره ومصوب رأيه، مع انتفاعه بعلمه، و ما يجد من عزّ حزمه، ونبل صوابه).^(٤)

المطلب الخامس : الأناة طريق إلى الحكمة

^(٣) عمرو بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف. كان من أهل البصرة واحد شيوخ المعتزلة وقدم بغداد فأقام بها مدة . وكان تلميذ أبي إسحاق النظام. قال ثعلب: ليس بثقة ولا مأمون. قال الذهبي: وكان من أئمة البدع انتهى . قد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل، وهذه - والله - صفة كتب الجاحظ كلها؛ فسبحان من أضله على علم. ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه. روى الجاحظ عن حجاج الأعور، وأبي يوسف القاضي، وخلق كثير. وروايته عنهم في أثناء كتابه في الحيوان. قال المسعودي: توفي سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين . مات بالبصرة . انظر : (لسان الميزان (٤ / ٣٥٥)) و (تاريخ بغداد (١٢ / ٢١٣)) .

^(٤) رسائل الجاحظ رسالة في الجدّ والهزل (١٧ / ٤) .

الحكمة هي العلوم النافعة ، والمعارف الصائبة ، والعقول المسددة ، والألباب الرزينة ، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجلّ الهبات؛ ولهذا قال الله :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (١)؛ لأنّه

خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال ، إلى إصابة الصواب فيها ، وحصول السداد ، ولأنّه كمل نفسه بهذا الخير العظيم واستعدّ لنفع الخلق أعظم نفع ، في دينهم ودنياهم .

وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة ، التي هي وضع الأشياء في مواضعها ، وتزويل الأمور منازلها ، والإقدام في محل الإقدام ، والإحجام في موضع الإحجام ، ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (٢) وهم أهل العقول الوافية ، والأحلام الكاملة ، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه ، والضارّ فيتركونه (٣) . وهذا لا يكون إلا بعد أناة وترويٍّ وبعد نظر ..

وأهل الأناة لا يطلقون الحكم جزافاً ، ولا يأخذون بظواهر الأمور فقط ، كما أنهم لا يحكمون على الأمر لأول وهلة ، ولا يقبلون الأخبار بمجرد سماعها ، أو وصولها إليهم دون تمحيصٍ ورويةٍ ؛ بل يُعملون الفكر فيها ، ويقبلون النظر فيها ، حتى يتضح لهم الأمر وتجلّى لهم الحقيقة .

و لذلك كان دأب الأنبياء وخلقهم التأني والروية ، " فهذا سليمان - عليه السلام - حينما جاءه الهدد بنبأ من سبأ قال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (٤) (٥)

فلم يكذّبه حينما سمع ما سمع منه ، ولم يصدّقه ، بل توقّف في أمره حتى يتبيّن له ذلك ويتضح ، وهذا من الحكمة التي قادها إليه التأني في قبول الخبر أو ردّه . فإنه لم يعجل

(١) سورة البقرة - ٢٦٩

(٢) سورة البقرة - ٢٦٩

(٣) تفسير السعدي ص ١٠٧

(٤) سورة النمل - ٢٧

(٥) فضيلة التأني ورذيلة العجلة / د. عبد القادر الشبخلي ص ٢٠

بِقَبُولِ الْخَبْرِ ؛ بَل " قَالَ مَثْبُتًا لِكَمَالِ عَقْلِهِ وَرِزَانَتِهِ : ¼
 « (١) . »

كما نجد الحكمة جليةً في تصرف ملكة سبأ حينما أرسل سليمان - عليه السلام - لها بكتاب يدعوها فيه لعبادة الله ، " فمن حزمها وعقلها ، أن جمعت كبار دولتها ، ورجال مملكتها ، وقالت : ¼
 « (٢) (٣) ثم عدلت عن ما أدلوا به من قتال سليمان ومن معه ، و اختارت أمراً تتمكن فيه من معرفة هل هو نبيُّ فلا تقاتله أم ملك ، بحيلةٍ احتالتها ؛ وذلك ببعث هدية له ، فإن قبلها فهو ملكٌ ، وإن لم يقبلها فهو نبي ...
 فلم تُقدِّم على الرأي بادئ ذي بدء بمفردها ، ثم لما عرضوا رأيهم ، عارضته مبينة الأصلاح لهم .. ثم اختارت بعث هدية ، ليتضح لها الشخص الذي أمامها فتتعامل معه من هذا المنطلق ، فقد تأنت وتروّت وكان النتاج أن أصابت الحكمة وعملت بأمر يحفظ لها دولتها وحكمها ..

و هكذا المتأني لا يعمل قبل أن يقول ، ولا يقول قبل أن يفكر ..
 قال أبو حاتم : - رحمه الله تعالى - : (إنَّ العاجل لا يكاد يلحق ، كما أن الرافق لا يكاد يُسبق ، والساكت لا يكاد يندم ، ومن نطق لا يكاد يسلم ، وإن العَجَل يقول قبل أن يعلم ، ويحيب قبل أن يفهم ، ويَحْمَد قبل أن يُجَرَّب) . (٤)

(١) تفسير السعدي ص ٦٥٦

(٢) سورة النمل - ٣٢

(٣) تفسير السعدي ص ٦٥٦

(٤) روضة العقلاء ص ٢١٦

الختامة

الخاتمة

و في ختام هذا البحث المتواضع، لا يسعني إلا أن أشكر المولى على إتمام البحث وتيسيره.
فما كان من حُسْنِ فَمِنَ اللَّهِ، وما كان سوى ذلك فَمِنَ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ..

ولعلي أن أشير هنا إلى نتائج هذا البحث، وأذيلها ببعض التوصيات..
والله أسأل أن ينفع بها ويتقبلها فإنه جواد كريم:

_ العجلة في اللغة تأتي بمعنى السرعة، و قد اتفق أهل اللغة و المفسرون على تعريفها اللغوي.

_ أمّا العجلة اصطلاحاً فتعني عند مَنْ عني بعلوم القرآن: طلب الشيء و تحريره قبل أوانه،
و عند أهل اللغة: التقدم فيما لا ينبغي التقدم فيه.

_ الراجح في ماهية العجلة: أنه أحد الأخلاق و الطباع التي رُكِبَ الإنسان عليها، ومن شدة ملازمتها له كأنه خُلِقَ منها.

_ و رد لفظ العجلة صراحة في القرآن (٣٧) مرة، بصيغ عدة، و أساليب متنوعة.

_ ذمّ القرآن من يستعجل الدعاء بالشر، و عضّدت السنة ذلك، و بيّن كلاهما العلة في ذلك: (لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم).

_ الدعاء بالشر يشمل: دعوة المرء على نفسه وغيره بالهلاك ونحوه وقت الغضب، وكذا الدعاء بما يحسبه المرء خيراً وهو شرّ، وكلاهما من الاعتداء في الدعاء.

_ ورد النهي عن استعجال إجابة الدعاء؛ لأن ذلك طريق إلى ترك الدعاء، وفيه المنّ بالدعاء، و تبخيل الرب الكريم، و هو أيضاً يناهني إظهار الاستسلام والافتقار لله، كما أنه يضعف يقين الداعي؛ فيسرع القنوط إلى قلبه، و يُكثِرُ التسخّط.

- القرآن كتاب هداية وإرشاد؛ فهو حينما يرشد الأنبياء إلى خلق أو ينهاهم عنه فليس القصد ذمّ أخلاقهم ؛ إنما المراد تهيئهم عن صفة غيرها أكمل منها ، كنهى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام عن العجلة بالقرآن؛ ليتحقق الكمال البشري في الصفات، وليسترشد غيرهم بذلك؛ فهم المشرّعون عن ربّ العزّة جلّ و علا .

- بين القرآن أنّ العجلة مما جُبل عليه المرء فقال سبحانه : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } ، { وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا } .
 قد تكون بدافع الحرص والخير فإذا لم تكن في موطنها فقد نهي عنها حتى الأنبياء ؛ كما أرشد سبحانه رسوله الكريم ﷺ فقال : (ولا تعجل بالقرآن) ، وكما عاتب نبيه موسى عليه السلام على عجلته فقال : { وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى } .

- هدّب القرآن تلك الصفة بأن فتح لها باب المسارعة والمسابقة للخيرات والتنافس فيها لتوجّه الوجهة الصحيحة ، فليس الحل في الانقياد وراء كل ما تستعجل النفس من نعيم أو دعاء بالشر أو مطالبة بالعذاب ، ولا كتبها تماماً بعدم الاستعجال في أي موطن وإن كان خيراً ؛ بل سلك القرآن منهج الوسطية بحيث وجّهها الوجهة الصحيحة السليمة مع ما يتمشى مع الفطرة والسلوك وفق ما شرع الله، مؤطرة بإطار شرعي يضمنها ولا يتلفها .

- كلّ صفة يظهر منها أنها صفة ضعف فالله أوجدها لحكمة وضمّنها قوة داخلية تتفجر بالخير وتعود بالنفع متى ما استعملت وفق ما أمر الله.

- إيداع الباري في النفس صفات ضعف كالعجلة ونحوها ليبين فيه جهاد المرء لنفسه وأنه مأجور بالمجاهدة.

- ما سبق لا يعدّ عذراً في استعجال ما يذمّه القرآن وينهى عنه ويعرضه بصور بشعة نوعاً أو سبباً أو أثراً، كاستعجال الكفار عذاب أنفسهم ومطالبتهم به؛ سخرية واستهزاء وعناداً واستكباراً وعتواً واستبعاداً ، فلما حلّ أصابت النفوس حسرة وندامة وهلاكاً وإبادة ، ولم

ينفع إيمان ولا توبة، ناهيك عن ما يعتري تلك النفوس من حسرة دائمة وغم لا ينقطع حين تذوق ما استعجلت من عذاب في نار جهنم {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} .

- أكثر الصور التي أبرزها القرآن عن العجلة كانت في استعجال العذاب، فقد استعجل الكفار عذاب أنفسهم وطالبوا به. واستعجل الأنبياء عذاب أقوامهم فنهوا عن ذلك ... ليبين أن العجلة إذا لم تكن في إطار إيماني للوجهة الخيرية كانت شراً ووبالاً، وأن العجلة عامة لا تُحمد.

- نرى حلم الله ولطفه على المستعجلين بالعذاب والمستعجلين بالدعاء على النفس؛ ليعلم عباده الصبر وعدم استعجال الأشياء قبل وقتها. وكذا نرى أن في تأخير ما استعجلوه رحمة بأن يهدي الله بعضهم ولو بعد حين.

- قد يستطيل شر الكفار، ويتمادوا في الباطل، و يصدوا عن سبيل الله، ومع استمرار الأنبياء في الدعوة إلا أن تلك القلوب صُمّت عن كل نداء خير.. لذا يتمنى الأنبياء هلاكهم غضباً لله؛ فيأتي النداء الرباني الرحيم: {وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}، فالأنبياء لم يستعجلوا العذاب بين عشية وضحاها؛ إنما كان بعد سنين طوال من الدعوة والبيان. ولكن رحمه الله بعباده وطمعاً في هداية الناس يأمر الأنبياء بعدم الاستعجال؛ لأن {يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنَّ سَنَةً مَّمَّا تَعُدُّونَ}، وليتعلم الدعوة - من أمر الله | لأنبيائه بعدم استعجال العذاب يتعلموا - درساً بعدم الاستعجال بعد أشهر وسنوات قليلة نتاج دعوتهم .

- الندم بعد وقوع ما استُعجل لا يجدي شيئاً كاستعجال الكفار عذابهم يوم القيامة، فلما جاء يوم القيامة تحسروا. واستعجالهم عذابهم في الدنيا، فلما جاء ندموا، ولم ينفع الندم حينها .

_ التأنى اصطلاحاً هو : عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء، والتمهّل في تحصيله والترفّف فيه.

_ اعتمد المصنفون في أبواب الزهد والأخلاق والآداب حديث: (التأنى من الله والعجلة من الشيطان) كأصل في باب الأناة، أو بيان فضل الأناة وذمّ العجلة، والحديث قد تكلم فيه أهل الحديث ما بين تضعيف و تحسين..

و هو قابل للتحسين إذا جعلنا حديث أنس ومرسل الحسن حديثين، وأمّا إذا جعلناهما واحداً ففي تحسينه نظر.

و قد جاء في السنة أحاديث أخر صحيحة صريحة تبين فضل الأناة، كحديث أشجّ عبد القيس.

_ ثمة تلازم بين الحلم و الأناة حتى جعل بعض أئمة اللغة الحلم هو الأناة، بينما فرّق آخرون بينهما إذ جعلوا الحلم: العقل ، والأناة : التثبّت وترك العجلة .

- كل تثبّت فهو أناة محمودة؛ ما لم يكن توانياً، فالتواني ليس من الأناة.

- صفة الأناة محمودة على كل حال، ولا تجلب إلا الخير.

- اليقين بأنّ القرآن لم يدع شاردة ولا واردة في حياة الناس إلا بينّها، ولا خير أو حسن إلا دلّ عليه، ولا شر أو قبيح إلا نهي عنه؛ فبحق استحقّ أن يكون معجزة خالدة صالحة لكل زمان ومكان.

- حريّ بكتاب هذه صفاته أن يُتناول بالدراسة في كل الشؤون، وأن لا يُحقر شأنُ قد ورد في القرآن فيجمع ما في ثناياه ليتحصل موضوعاً يدرس، ويُستخلص منه نتائج نافعة بإذن الله " وهذا من الإعجاز أيضاً.

_ أما التوصيات:

_ فأوصي بدراسة المُشكل من المناسبات بين السور و الآيات، كما مرّ معنا في مناسبة قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ } بما قبلها، و بما بعدها.

_ العناية بموضوع الوحدة القرآنية، و إبرازه دون تكلف و تحمّل .

هذا ما جرى به القلم ، و نسأل الله أن يعفو عمّا فيه من خطأ و زلل ، و يتقبّله عنده و يجعله من خالص العمل .
 و لله الحمد أولاً و أخيراً، و صلى الله على نبيه محمد و آله و صحبه و سلم تسليماً كثيراً .

الفهارس

فهرس الأيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأشعار

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس المصادر و المراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
سورة البقرة			
١	أولئك على هدى من ربهم	٥	٥٧
٢	وبشر الذين آمنوا وعملوا	٢٥	١٢٨
٣	فتوبوا إلى بارئكم	٥٤	٥١
٤	فتاب عليكم	٥٤	٥١
٥	قل من كان عدوا لجبريل	٩٧	١٥٥
٦	ولكل وجهة هو موليها	١٤٨	١٨٥/٦٧
٧	فاستبقوا الخيرات	١٤٨	٩٢/٧٢/٧١/٧٠/٦٩/٦٨
٨	أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا	١٤٨	٨٧/٨٦/٧٢
٩	إلا الذين تابوا وأصلحوا	١٦٠	٥٢

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
١٠	كذلك يريهم الله أعمالهم	١٦٧	٢٢٢
١١	ليس البر أن تولوا	١٧٧	٨٢/٧٠/٦٨
١٢	وإذا سألك عبادي عني فإني قريب	١٨٦	٢١٣/١٢٨
١٣	يسألونك عن الأهله	١٨٩	١٥٣
١٤	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا ...	١٩٩-١٩٨	٢٦٦
١٥	ربنا آتانا في الدنيا حسنة	٢٠١	١٢٦
١٦	واذكروا الله في أيام معدودات	٢٠٣	٣٥
١٧	إن الله يحب التوابين	٢٢٢	٢٠٠/٣٦
١٨	حافظوا على الصلوات والصلاة	٢٣٨	٢٠٠
سورة آل عمران			
١٩	والله على الناس حج البيت	٩٧	٩٦/٩٥
٢٠	يتلون آيات الله آناء الليل	١١٣	٢٣٦/٢٢٦
٢١	يؤمنون بالله واليوم الآخر	١١٤	٨١/٨٠/٣٩/٣٦
٢٢	وما يفعلوا من خير فلن يكفروه	١١٥	٨١
٢٣	وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله	١١٩	٨٠
٢٤	وسارعوا إلى مغفرة من ربكم	١٣٣	/٨٥/٨١/٦١/٦٠/٥٩/٥٨/٤٨/٣٦ ٢٠٧/٢٠٦/١٨٥/١٨٤
٢٥	الذين ينفقون في السراء	١٣٤	٥٩
٢٦	والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا	١٣٥	٢٠٧/١٨٤/٦٥/٦٢/٦١/٦٠/٥٩
٢٧	أولئك جزاؤهم مغفرة	١٣٦	٢٠٧/٦١/٦٠/٥٩
٢٨	لقد منّ الله على المؤمنين	١٦٤	١٥٥
٢٩	إنّما نملي لهم ليزدادوا إثما	١٧٨	١٦٧
٣٠	إن الله سريع الحساب	١٩٩	٣٦
سورة النساء			
٣١	ولا تأكلوها إسرافا وبدارا	٦	٧٠/٣٧

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
٣٢	إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ	١٧	٥٧/٥٦/٥٥/٥٤/٤٩
٣٣	وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ	١٨	٤٩/٤٧
٣٤	وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا	٢٨	١٩٤/١٨٩/٢٨
٣٥	وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ	٢٩	١٩٥
٣٦	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ	٣٤	١٥٠
٣٧	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ	٤١	١٥٥
٣٨	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ	٨٣	٢١٩
٣٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ	٩٤	٢٧٢/٢٦٧/٢٣٦
٤٠	قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ	١٧٧	٥٦
سورة المائدة			
٤١	إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ	٤	٣٦
٤٢	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا	٤٨	٧٥/٧٤/٧٣
٤٣	فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ	٤٨	٢٠١/٧٥
٤٤	يَجِبُهُمْ وَيَجْبُوهُ	٥٤	٢٠١
٤٥	لِيَمْسَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ	٧٣	٦٦
٤٦	أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ	٧٤	٦٦/٦٥
سورة الأنعام			
٤٧	فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ	٤١	١٣٠
٤٨	قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي	٥٧	١٦٨/٣٣/٣
٤٩	قُلْ لَوْ أَن عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ	٥٨	١٦٩/١٦٨/٣٣/٣
٥٠	يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ	١٥٨	٤٤/٥١/٥٠
سورة الأعراف			
٥١	فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ	٢٩	١٧٣
٥٢	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	٥٥	٢١٤/٢١٣/١٣١/١٢٩/٨٨/٨٧
٥٣	قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذُرُ	٧٠	١٧٣

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
٥٤	فأتنا بما تعدنا إن كنت	٧٠	١٦٢
٥٥	فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار	١٤٨	٢٢
٥٦	ولما رجع موسى إلى قومه غضبان	١٥٠	١٩٣
٥٧	بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم	١٥٠	٢٥٧/٣٣/١٦
٥٨	رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا	١٥١	٢٥٧
٥٩	وإذ أخذ ربك من بني آدم	١٧٢	٤١
٦٠	فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون	٢٠٤	٢٥٩/١٥٧/١٣٩
سورة الأنفال			
٦١	لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا	٣١	١٧٧
٦٢	وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق	٣٢	/١٦٩/١٦٣/١٦١/١٢٧/٣ ١٩١/١٧٨/١٧٧/١٧٥
٦٣	فأمطر علينا حجارة من السماء	٣٢	٢١٧/١٧٩/١٧٦/١٦٧
٦٤	قل للذين كفروا إن ينتهوا	٣٨	٦٥
٦٥	ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا	٥٩	٣٩/٣٣
سورة التوبة			
٦٦	والسابقون الأولون من المهاجرين	١٠٠	١١١/٨٩/٨٨/٨٧/٨٦
٦٧	جنات تجري تحتها الأنهار	١٠٠	٢٠٨
٦٨	عسى الله أن يتوب عليهم	١٠٢	٥٧
٦٩	إن إبراهيم لأواه حليم	١١٤	٢٧١/٢٣٩
سورة يونس			
٧٠	وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق	٢	١٢٨
٧١	ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم	١١	٢١١/١٩٣/١٢٦/١٢٤/٣٥/٣٢/٤
٧٢	قل أرأيتم إن أتاكم عذابه	٥٠	٣٤
٧٣	أثم إذا ما وقع آمنتم به	٥١	٤٩/٢٢١/٣٣
٧٤	قل بفضل الله وبرحمته فبذلك	٥٨	١١٦

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
٧٥	إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ...	٦٢-٦٤	١١٣
سورة هود			
٧٦	وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه	٣	٤٥/٣٠/٥٢/٤٤
٧٧	ولئن أخرجنا عنهم العذاب إلى أمة	٨	١٦٤/١٦١
٧٨	قالوا يانوح قد جادلنا فأكثر	٣٢	١٧٣/١٦٣
٧٩	فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين	٣٢	١٦٢/١٢٧
٨٠	إن إبراهيم لحليم أواه منيب	٧٥	٢٧١/٢٥٤/٢٥١/٢٣٩
٨١	إنك لأنت الحليم الرشيد	٨٧	٢٤٠
سورة يوسف			
٨٢	نحن نقص عليك أحسن القصص	٣	١٥٦
٨٣	واستبقا الباب	٢٥	٣٩
٨٤	إنا ذهبنا نستبق	١٧	٣٩
سورة إبراهيم			
٨٥	إن الله سريع الحساب	٥١	٣٦
سورة الحجر			
٨٦	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٩	١٥٧
سورة الرعد			
٨٧	ويستعجلونك بالسيئة	٦	٣٥
٨٨	وكل شيء عنده بمقدار	٨	١٦٩
سورة النحل			
٨٩	أتى أمر الله فلا تستعجلوه	١	٢١٦/١٩٢/١٧٢/٣٤/٣
٩٠	الذين تتوفهم الملائكة طيبين	٣٢	١١١
٩١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم	٦١	١١٨
٩٢	وإذا بدلنا آية مكان آية ... بالحق	١٠٢-١٠١	١٥٦
٩٣	قل نزله روح القدس	١٠٢	١٥٧
سورة الإسراء			
٩٤	ويدع الإنسان بالشكر	١١	١٢٧/١٢٤/١٢٣/٣٢/٢٨/٤

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
			١٧٦/١٧٥/١٥٤
٩٥	من كان يريد العاجلة	١٨	٣٣/٣٢/٢٩
٩٦	ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها	١٩	٢٤٦
٩٧	فإنه كان للأوابين غفورا	٢٥	٦٣
٩٨	وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس	١٠٦	٢٣٧/١٤٠
سورة الكهف			
٩٩	لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل	٥٨	٣٣
سورة مريم			
١٠٠	ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على	٨٣	١٩٢/١٦٦
١٠١	فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا	٨٤	٢٤٠/١٩٢/١٦٧/١٦٦/١٦٢/٣٥
١٠٢	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٩٦	١٩٨/١٩١/١١٤/١٠٢
١٠٣	حتى إذا جاء أحدهم الموت ...	٩٩-١٠٠	٤٠
سورة طه			
١٠٤	وما أعجلك عن قومك ياموسى	٨٣	١٨٣/٣٣/١٦
١٠٥	هم أولاء على أثري	٨٤	١٨٣
١٠٦	وعجلت إليك رب لترضى	٨٤	٣٧/٣٦/٣٣/٢٧
١٠٧	وكذلك أنزلناه حكما عربيا ...	١١٢-١١٣	١٥٤
١٠٨	ولا تعجل بالقرآن من قبل	١١٤	/١٥٠/١٤٩/١٤٧/١٤٢/١٣٩/٣٥ ٢٥٩/٢٥٧/٢٤٠/٢١٥/١٥٨/١٥٤ ٢٦٠
١٠٩	ومن آتأى الليل فسبح	١٣٠	٢٣٦
سورة الأنبياء			
١١٠	لا يستكبرون عن عبادته	٢٠	١٣١
١١١	وإذا رآك الذين كفروا حين لا يكفون	٣٩	٢٢٢
١١٢	خلق الإنسان من عجل	٣٧	/٣٤/٣٢/٢٩/٢٨/٢٧/٢٠/٣/٢ ١٩١/١٩٠/١٨٩/١٧١/١٦٢/١٥٤

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
			١٩٤/
١١٣	ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم	٣٨	٢٢٢/١٩١/١٧٦/١٦٧/١٦٢
١١٤	لو يعلم الذين كفروا إن يتخذونك	٣٦	١٩١
١١٥	إنهم كانوا يسارعون في الخيرات	٩٠	١٨٥/٧٧
سورة الحج			
١١٦	ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده	٤٧	١٧٩/١٧٧/١٦٣/١٦١/٣٥/٣
سورة المؤمنون			
١١٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ...	٥٧	٩٦/٩١/٧٩
١١٨	أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون	٦١	١٨٦/٨٦/٧٩/٦١/٣٩
١١٩	ولا تكلف نفساً إلا وسعها	٦٢	٩٧/٧٩
١٢٠	حتى إذا جاء أحدهم الموت	٩٩	٤٧
سورة النور			
١٢١	وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون	٣١	٤٣
سورة الفرقان			
١٢٢	ورتلناه ترتيلاً	٣٢	٢٣٨/٢٣٢
سورة الشعراء			
١٢٣	فأسقط علينا كسفاً	١٨٧	١٧٦/١٦٧/١٦٢
١٢٤	على قلبك لتكون من المنذرين	١٩٤	١٥٥
١٢٥	لا يؤمنون به حتى يروا العذاب	٢٠٧-٢٠١	١٨٠
١٢٦	أفبعذابنا يستعجلون	٢٠٤	١٧٧/١٦١/٣٤
سورة النمل			
١٢٧	فمكث غير بعيد	٢٢	٢٣٨
١٢٨	سننظر أصدقت	٢٧	٢٨١/٢٨٠
١٢٩	يا أيها الملأ أفتوني	٣٢	٢٨١
١٣٠	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة	٤٦	٣٤

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
١٣١	قل عسى أن يكون ردف لكم	٧٢	٢١٦/١٧٩/٣٤
سورة القصص			
١٣٢	نتلو عليك من نبأ موسى	٣	١٥٦
سورة العنكبوت			
١٣٣	فما كان جواب قومه إلا أن قالوا	٢٩	١٧٤
١٣٤	وما كانوا سابقين	٣٩	٣٩
١٣٥	ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى	٥٣	١٧٨/١٧٧/١٦٣/١٦١/٣٤
١٣٦	يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم	٥٤	٣٤/٣٠
سورة الروم			
١٣٧	ظهر الفساد في البر والبحر	٤١	٢٠٩/١١٧
١٣٨	الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل	٥٤	١٩٤
سورة لقمان			
١٣٩	نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب	٢٤	١٦٧
سورة الأحزاب			
١٤٠	تختبئهم يوم يلقونه سلام	٤٤	١١١
١٤١	غير ناظرين إناه	٥٣	٢٣٤/٢٢٦
سورة سبأ			
١٤٢	متى هذا الوعد	٢٩	١٧٦/١٦٧/١٦٢
١٤٣	وأسروا الندامة	٣٢	٢٢٣/٢٢٢
سورة فاطر			
١٤٤	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا	٣٢	٢٠٧/٨٤/٨٣/٨٢
١٤٥	جنات عدن يدخلونها	٣٣	٢٠٧/٨٤
سورة ص			
١٤٦	وقالوا ربنا عجل لنا	١٦	١٧٦/١٦٣/١٦٢/٣٥
سورة الصافات			
١٤٧	فبشرناه بغلام حليم	١٠١	٢٤٠
١٤٨	فتول عنهم حتى حين وأبصرهم	١٧٧-١٧٤	٢١٧

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
١٤٩	فكفروا به فسوف يعلمون	١٧٥	١٩٢
١٥٠	أفبعذابنا يستعجلون	١٧٦	١٩٢/١٧٧/١٦١/٣٤
سورة يس			
١٥١	متى هذا الوعد	٤٨	١٧٦/١٦٧/١٦٢
١٥٢	إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول	٨٢	٣٦
سورة الزمر			
١٥٣	والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها	١٧	١١٢
١٥٤	قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا	٥٣	٦٤
سورة غافر			
١٥٥	فادعوا الله مخلصين له الدين	١٤	١٧٦/١٢٨
١٥٦	إن الله سريع الحساب	١٧	١٩٩/٢٦
١٥٧	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم	٦٠	/١٧٨/١٧٧/١٧٦/١٣٠/١٢٩/١٢٨ ٢١٣
سورة فصّلت			
١٥٨	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل	٣٠	٢٠٥/١١٢/١١٠/١٠٩/١٠٢
١٥٩	نزلاً من غفور رحيم	٣٢	١١٣
١٦٠	لا يأتيه الباطل من بين يديه	٤٢	١٥٧
سورة الشورى			
١٦١	يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها	١٨	٣٤
١٦٢	وهو الذي يقبل التوبة	٢٥	٦٤
١٦٣	وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت	٣٠	٢٠٩/١١٨/١١٧/١٠٢
١٦٤	كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا	٥٢	١٣٦
سورة الجاثية			
١٦٥	ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها ...	٨	٦٣
سورة الأحقاف			
١٦٦	إنّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف	١٤-١٣	١١٣

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
	عليهم		
١٦٧	فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين	٢٢	١٨٠/١٦٣/١٦٢
١٦٨	ولكني أراكم قوماً تجهلون	٢٣	١٨٠/١٧٧
١٦٩	فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم	٢٤	١٧٣/١٦٣
١٧٠	بل هو ما استعجلتم به ريح فيها	٢٤	١٨٠
١٧١	كذلك نجزي القوم المجرمين	٢٥	١٨١
١٧٢	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل	٣٥	١٦٦/١٦٥/١٦٤/١٦٢/٣٣
سورة الفتح			
١٧٣	لقد رضي الله عن المؤمنين	١٨	١٢٨/١٠٩/١٠٦/١٠٥/١٠٤/١٠٣ ٢٠٣
١٧٤	ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً	١٩	٢٠٣/١٠٨/١٠٦/١٠٥
١٧٥	وعدكم الله مغانم كثيرة	٢٠	/١٠٨/١٠٧/١٠٦/١٠٣/١٠١/٣٣ ٢٠٤/٢٠٣/١٢٨/١٢٥/١٠٩
سورة ق			
١٧٦	يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً	٤٤	٣٦
سورة الرحمن			
١٧٧	يطوفون بينها وبين	٤٤	٢٣٥
سورة الواقعة			
١٧٨	وكنتم أزواجاً ثلاثة	٧	١٠٤/٨٤
١٧٩	والسابقون السابقون	١٠	٢٠٨/٩٠/٨٩/٨٦/٨٤/٣٩
١٨٠	أولئك المقربون في جنات النعيم	١٢-١١	٢٠٨/٨٩/٨٧/٨٤
١٨١	ثلة من الأولين وقليل من ...	١٤-١٣	١١١/٨٩
١٨٢	وما نحن بمسبوقين	٦٠	٣٩
سورة الحجرات			
١٨٣	يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق	٦	٢٧٢/٢٦٩/٢٦٨/٢٤٤/٢٣٧/٢١٧

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
سورة الحديد			
١٨٤	بشراكم اليوم جنات	١٢	١١٤
١٨٥	ألم يأن للذين ءامنوا	١٦	٢٣٥
١٨٦	كمثل غيث أعجب الكفار نباته	٢٠	٩١/٧٦
١٨٧	سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة	٢١	٢٠٦/١٨٦/٧٦/٦١
سورة الحشر			
١٨٨	لا يستوي أصحاب النار وأصحاب	٢٠	١٠٢/٨٣
سورة الذاريات			
١٨٩	يوم هم على النار يفتنون	١٣	٢٢١/١٨١
١٩٠	ذوقوا فنتنكم	١٤	٢٢١/١٨١/٣٤
١٩١	فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب	٥٩	١٧٨/١٦٤/٣٤
سورة الطور			
١٩٢	أم تأمرهم أحلامهم بهذا	٣٢	٢٥٢
سورة الجمعة			
١٩٣	يا أيها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة	٩	٢٧٥/٢٦٤
سورة التحريم			
١٩٤	يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله	٨	٤٤
سورة المالك			
١٩٥	لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في	١٠	٢٢٢
١٩٦	متى هذا الوعد	٢٥	١٧٦/١٦٧/١٦٢
سورة المعارج			
١٩٧	سأل سائل بعذاب واقع	١	١٧٩
١٩٨	يوم يخرجون من الأجداث سراعا	٤٣	٣٦
سورة المزمل			
١٩٩	يا أيها المزمل قم الليل	٤-١	٢٦١/١٤٤
٢٠٠	ورتل القرآن ترتيلا	٤	٢٣٨
٢٠١	وذربي والمكذبين أولي النعمة	١١	١٦٦
سورة القيامة			

م	الآيات	رقم الآيات	الصفحة
٢٠٢	ليفجر أمامه	٥	١٥٤
٢٠٣	ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر	١٣	١٥١
٢٠٤	بل الإنسان على نفسه بصيرة	١٥-١٤	١٥٣
٢٠٥	لا تحرك به لسانك لتعجل به	١٦	٢٥٩/٣٥
٢٠٦	لا تحرك به لسانك لتعجل به	١٩-١٦	١٤٢/١٤١/١٤٠/١٣٨/١٣٧/١٣٦ ٢١٥/١٥٧/١٥٣/١٥١/١٤٩/١٤٨
٢٠٧	إنّ علينا جمعه وقرآنه	١٩-١٧	١٥٧/١٥٦/١٥٥/١٤٣/١٤٢/١٣٩
٢٠٨	ثمّ إنّ علينا بيانه	١٩	٢٦٠
٢٠٩	كلا بل تحبون العاجلة	٢١-٢٠	١٥٣/٣٢
سورة الإنسان			
٢١٠	إن هؤلاء يحبون العاجلة	٢٧	٣٢/٣٠
سورة النازعات			
٢١١	فالسابقات سبقا	٤	٣٩
سورة المطفين			
٢١٢	كلا بل ران على قلوبهم	١٤	٤٧
سورة الطارق			
٢١٣	فمهل الكافرين أمهلهم رويدا	١٧	٢٣٨/١٦٦
سورة الأعلى			
٢١٤	سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله	٧-٦	٢٥٩/١٥٦/١٥٤/١٤٣/١٤٠
سورة الغاشية			
٢١٥	تسقى من عين آنية	٥	٢٣٦

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث والآثر	م
	(أ)	
٢٤٦	الأناة من الله والعجلة من الشيطان	١

م	طرف الحديث والأثر	الصفحة
٢	إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له	٢٠٩/١١٨/١٠٢
٣	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	٥٠
٤	إن كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح	٣٩
٥	أنتم اليوم خير أهل الأرض	١٠٤
٦	أسوأ الناس سرقة	٢٧٦
٧	أسرعوا بالجنابة فإن تك صالحة	٩٩
٨	إن الله إذا أحب عبداً ، نادى جبريل	١٩٧/١١٤
٩	إن رجلاً من الأنصار لطم امرأته	١٥٠
١٠	إذا دعا العبد قال الله يا جبريل احبس حاجة عبدي	١٨٢
١١	أن رسول الله ﷺ التقى هؤلاء المشركين فاقتتلوا	١٩٤
١٢	أن رجلاً ممن كان قبلكم خرجت له قرحة فلنا آذاته	١٩٥
١٣	إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت	١٩٧
١٤	إن أحب الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها	٢٠١
١٥	إن الله رفيق يحب الرفق	٢٤٩
١٦	إني رأيتك آتيت وأذيت	٢٥٤
١٧	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون	٢٧٥/٢٦٤
١٨	إن الله جعل بالمغرب عرض مسيرة سبعين	٥١
١٩	إن النبي ﷺ أرسل	١٧٠
٢٠	أيها الناس السكينة السكينة	٢٧٧/٢٦٦
(ب)		
٢١	بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل	٦٢
(ت)		
٢٢	تلك عاجل بشرى المؤمن	١٩٨/١١٤/١٠٢
٢٣	تعجلوا إلى الحج	٩٦

م	طرف الحديث والأثر	الصفحة
٢٤	التأني من الله والعجلة من الشيطان	٢٣٤
٢٥	التبين من الله والعجلة من الشيطان	٢٤٧
٢٦	التؤدة في كل شيء إلا	٢٥٨
٢٧	توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا	٦٢
(د)		
٢٨	دخلت أنا ومسروق على عائشة	٩٩
٢٩	دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة	١٠٧
(س)		
٣٠	سابقنا سابق	٨٣
٣١	سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله	٩٣
٣٢	سألت قتادة عن قوله ...	١٤٧
٣٣	سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط	٢١١
(ر)		
٣٤	رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر	١٦٥
٣٥	رتل فداك أبي وأمي	٢٦٢/١٤٦
(ز)		
٣٦	زادك الله حرصاً ولا تعد	١٦٦
(ص)		
٣٧	صلى النبي ﷺ العصر فأسرع ثم دخل	٩٥
٣٨	صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة	٢٦١/١٤٥
(ع)		
٣٩	العجلة من الشيطان	٣٧/٢٧
(ك)		
٤٠	كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إبطاراً	٩٧

م	طرف الحديث والأثر	الصفحة
٤١	كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة	٩٣
٤٢	كان النبي ﷺ يكثر من قول ...	١٢٦
٤٣	كنا مع النبي ﷺ في سفر فأراد المؤذن	٩٤
٤٤	كان النبي ﷺ يصليها والشمس مرتفعة	٩٤
٤٥	كنا نصلي العصر ثم يخرج	٩٤
٤٦	كنا نصلي المغرب مع رسول الله ﷺ	٩٤
٤٧	كنا مع رسول الله ﷺ في سفر	٩٧
٤٨	كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي كان	١٣٦
٤٩	كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك	١٣٧
٥٠	كان يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها	٢٦١/١٤٤
٥١	كان رسول الله ﷺ يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمي	٤٦
٥٢	كان يعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد	٤٦
(ل)		
٥٣	لا يزني الزاني حين يزني	٤٨
٥٤	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس	٥١
٥٥	لا يزال الناس بخير	١٨٧/٩٨/٩٧
٥٦	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	٢٦٨
٥٧	اللهم زدني إيماناً وفقهاً وعلماً	١٦٧
٥٨	لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم	١٢٥
٥٩	ليس شيء أكرم على الله من الدعاء	١٢٩
٦٠	لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم	٢١٤/١٣١
٦١	لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه	٢٠٢/٢٠٠/١٩٩
٦٢	لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره	٢٧٦
٦٣	لأن اليهود والنصارى يؤخرون	٩٨

م	طرف الحديث والأثر	الصفحة
(م)		
٦٤	مر رجل من بني سليم على نفر من أصحاب رسول	٢٦٧
٦٥	من أصاب حداً فعجل عقوبته	١١٩
٦٦	من أصاب ذنباً في الدنيا	١١٨
٦٧	من يرد الله به خيراً يُصب منه	١٤٣
٦٨	من أراد الحج فليتعجل	٩٦
٦٩	مامن مسلم يدعو بدعوة ليس فيها	١٣٣
(هـ)		
٧٠	هذا كهذا الشعر	٢٦٢/٢١٦/١٤٥
٧١	هل كنت تدعوا بشيء	٢١٣/١٢٦
(و)		
٧٢	وودنا لو أن موسى صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما	١٥١
(ي)		
٧٣	يا أيها الناس توبوا إلى الله	٤٤
٧٤	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	١٣٢/١٣٠

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام المترجم لها	م
(أ)		
٢٧١/٢٥٨/٢٥٢/٢٤٩	أشجّ عبد القيس	١
(ب)		
١٩٧	البخاري = محمد بن إسماعيل	٢
(ت)		
٢٦٧/٢٠٩/١٩٧	الترمذي	٣
١٨٧/٤٦/٤٤	ابن تيمية	٤
(ث)		
١٦٨/١٦١	الثعالبي	٥

الصفحة	الأعلام المترجم لها	م
(ج)		
٢٧٧/٢١١	جابر بن عبد الله	٦
٢٧٩	الجاحظ	٧
٤٣	الجرجاني = علي بن محمد	٨
١٥٩/١٤٢/٤٢	ابن جرير الطبري = محمد بن جرير	٩
١٤٧	ابن الجعد	١٠
(ح)		
٢١٢	أبو حاتم = ابن حبان البستي	١١
٢٦١/١٤٥	حذيفة	١٢
١١٦	ابن حزم	١٣
١٩٥	الحسن بن علي	١٤
٢٥٥/٢٢٦	الحطيئة	١٥
٢٦١/١٤٤	حفصة	١٦
٥٦	أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف	١٧
(خ)		
٢٢٥	الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٨
(ذ)		
١١٢	أبي ذر الغفاري = جندب بن جنادة	١٩
٢٧٣	ذو الرئاستين = أبو العباس الفضل السرخسي	٢٠
(ر)		
١٥٣/١٥١	الرازي	٢١
٢٥٢/٢٣١/٤٢	الراغب الأصفهاني	٢٢
١٩٩	ابن رجب	٢٣
(س)		

م	الأعلام المترجم لها	الصفحة
٢٤	سعد بن سنان	٢٤٦
٢٥	السعدي = عبد الرحمن بن ناصر	١١٧/١١٤/١١٣/١٠٣/٥٧/٥٠
٢٦	سلمان الفارسي	١١٢
٢٧	سهل بن سعد	١٩٤
٢٨	سيد قطب	١١١/١٠٥
(ش)		
٢٩	الشافعي	٢١٨
٣٠	شعبة	١٤٧
٣١	الشوكاني	١٩٢
(ع)		
٣٢	عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها	١١٥
٣٣	ابن عبد البر	٢١٩
٣٤	عثمان بن عفان رضي الله عنه	٢٠٣
٣٥	ابن عطية	١٧٢
٣٦	علقمة بن قيس	٢٦٢/١٤٦
(غ)		
٣٧	الغزالي = أبو حامد محمد بن محمد	٤٨/٤٥
(ف)		
٣٨	أم فروة	٢٠١
(ق)		
٣٩	قتادة بن دعامة السدوسي	١٤٧/١٠٦
٤٠	القرطبي = أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر	٢٢١/١١٠/٨٣/٦٢/٥٤/٤٧/٤٣
٤١	ابن القيم = محمد بن أبي بكر	٦٣/٥٣/٥٢
(ك)		

م	الأعلام المترجم لها	الصفحة
٤٢	ابن كثير = أبو الفداء إسماعيل بن عمر	١٩٨/١٧١/١١٨/١١٠/٨٥/٦٠/٤٣
(م)		
٤٣	مجاهد بن جبر - أبو الحجاج	١١٠/١٠٦
٤٤	المجدي بن عمرو الضمري	٢١١
٤٥	ابن مسعود = عبد الله بن مسعود	٢٦٢/٢١٦/٢٠٠/١٥٥/١٤٥
٤٦	مسلم	٢٧٧/٢١١/١٩٨/١٩٧/١٩٥/١٤٥/١١٥
٤٧	ابن مفلح	٢٦٢/١٤٦
٤٨	ابن منظور = محمد بن مكرم	٢٥١/٢٣٨/٢٢٩/٢٥٥
٤٩	المهلب بن أبي صفرة	٢٧٨
(ن)		
٥٠	النضر بن الحارث	١٩١
٥١	النووي = أبو زكريا يحيى بن شرف	٢٧٦/٢٥٢/١٩٩/١٩٨/١١٤/٤٥
(هـ)		
٥٢	أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر	٢١٤/١٩٧
(و)		
٥٣	وكيع = ابن الجراح بن مليح	١١٠

فهرس الأشعار

فهرس الأشعار

الصفحة	الأشعار	م
(أ)		
١١٥	أثني عليك بما فعلت كمن جرى	١
٢٥٥/٢٢٦	أو الشعرى فطال بي الأنا	٢
(ب)		
١٧	أتيح لجوآب الفلاة كسوب	٣
٢١	حتى إذا ما استوى في غرزها تثب	٤
(ت)		
٢٢٩	إذا ما الجى من طائف الجهل حلت	٥
(ر)		
١٩	قد ساعدتها على التحنان آظار	٦

الصفحة	الأشعار	م
٢١	يمشي الدقفي والحنيف ويضبر	٧
٢٢٥	وتأن إنك غير صاغر	٨
(س)		
٢٦	أجدى فقد أقوت عليك الأمالس	٩
(ض)		
٢٢٩	إذا الكرى في عينه تضمضاً	١٠
٢٢٩	فقام عجلان وما تأرضاً	١١
(ع)		
١٩	على أن مكتوب العجال وكيع	١٢
(ل)		
٢٧٨	وقد يكون مع المستعجل الزلل	١٣
٢٧٨	وإذا عزمت على الهدى فتوكل	١٤
٢٧٨	تخطاه التدارك والمنال	١٥
٢٤	خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل	١٦
١٨	والرافلات على أعجازها العجل	١٧
١٨	حمراء من ساج تنقاها العجل	١٨
١٩	وتحشى أن تعجلك العجول	١٩
٢٠	والنخل ينبت بين المماء والعجل	٢٠
٢٢٧	وريح خزامى الطل في دمث الرمل	٢١
(م)		
١٥	إذا تجاوب من برديه ترنيم	٢٢
٢٣٠	فما صلي عصاك كمستديم	٢٣
(ن)		
١٧	كلقمة وقعت في شدة غرثان	٢٤

الصفحة	الأشعار	م
٢٠	فريان لما يسلقا بدهان	٢٥
(هـ)		
٢٠	تمجّ لكم قبل احتلاب أثمها	٢٦
٢٣٠	تُطلق يوماً أو يموت حليلها	٢٧

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

م	المكان أو البلد	الصفحة
(أ)		
١	الأحشيين	١٧٠
(ب)		
٢	بدر	٢١٧/٢١٦/١٧٩/١٧٦/١٧١
٣	بواط	٢١١
٤	بيت معجل (قرية باليمن)	٢٥/٢٣
(ح)		
٥	الحديبية	٢٠٤/٢٠٣/١٠٩/١٠٨/١٠٧/١٠٤/١٠٣/٨٧
(خ)		
٦	خير	٢٠٤/٢٠٣/١٠٩/١٠٨/١٠٧/١٠٦/١٠٥/١٠٣
(د)		
٧	(دار العجلة) بمكة	٢٣
(س)		

الصفحة	المكان أو البلد	م
٢٨١/٢٨٠	سبأ	٨
(ع)		
٢٣	(عجلة) موضع باليمن	٩
٢٣	(عجلة) موضع قرب الأنبار	١٠
٢٣	(العجول) بئر مكة	١١
٢٤	(العجلانية) بلد بمصر الديباج	١٢
٢٧٦/٢٦٦	عرفة	١٣
(م)		
٢٥٢/١٠٨/١٠٧	المدينة	١٤
٢٧٦/٢٦٦	مزدلفة	١٥
٢٠٣/١٧٧/١٦٦/١٥٠/١٠٩/١٠٧/١٠٤	مكة	١٦
٩١	منى	١٧
٢٣	(منية العجيل) قرية بمصر	١٨
(ن)		
١٥٠	نجران	١٩

فهرس المراجع

فهرس المراجع

م	المراجع
١	الإتقان في علوم القرآن/شيخ الأسلام جلال الدين السيوطي/ مير محمد كتب خان مركز علم وآداب. آرام باغ كراحي .
٢	أحكام القرآن للإمام محمد بن إدريس الشافعي أبي عبد الله/ تحقيق: عبد الغني عبد الخالق/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ١٤٠٠هـ
٣	أحكام القرآن/ أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر/ تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي/ دار إحياء لترات العربي/ ١٤٠٥هـ.
٤	أخلاقنا/د. محمد ربيع محمد جوهرري/ دار الفجر الإسلامية/المدينة النبوية/الطبعة: الرابعة/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
٥	الآداب الشرعية/ تأليف الإمام الفقيه المحدث أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام/ مؤسسة الرسالة/ بيروت - لبنان / الطبعة الأولى/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م .
٦	الأدب المفرد/ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق: محمد فوائد عبد الباقي/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ الطبعة: الثالثة/ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.
٧	إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني/ طبعة جديدة ضبطها وصححها أحمد عبد السلام/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/

م	المرجع
	١٩٩٥ م .
٨	الأساس في السنة وفقهها/ سعيد حوى/ دار السلام/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م.
٩	أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيعا/ دار المعرفة/ بيروت/ لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
١٠	الإصابة في تمييز الصحابة/ ابن حجر العسقلاني/ حقق أصوله وضبط أعلامه، ووضع فهارسه علي محمد البجاوي،/ دار نهضة/ مصر/ القاهرة/ مكتبة الدراسات الإسلامية(د،ت).
١١	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقران/ محمد الأمين بن محمد المختار للشنقيطي تحقيق: مكتب البحوث والدراسات/ لبنان- بيروت/ دار الفكر للطباعة/ ١٤١٥هـ -
١٢	الأعلام، تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتغربين والمشرقين/ دار العلم للملايين/ بيروت - لبنان/ الطبعة الحادية عشر، سنة: ١٩٩٥ م
١٣	أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي/ ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي/ حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه/ محمد حسن صبحي خلاق - محمد أحمد الأطرش/ دار الرشيد/ دمشق - بيروت/ مؤسسة الإيمان - بيروت - لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤	الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم/أ.د عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٠هـ، ١٩٩٠ م.
١٥	أهداف كل سورة و مقاصدها في القرآن الكريم د/ عبد الله محمود شحاتة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٦	أيسر التفاسير/ الجزائري/ مكتبة العلوم والحكم/ المدينة المنورة/ الطبعة: الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م
١٧	البحر المحيط/ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي دار الكتاب الإسلامي - القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م .

م	المرجع
١٨	بحوث في قصص القرآن بقلم السيد عبد الحافظ عبد ربه دار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٢م
١٩	البداية والنهاية/ إسماعيل بن عمر بن كثير/ مكتبة المعارف/ بيروت- لبنان
٢٠	البرهان في علوم القرآن / للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت
٢١	بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف/ محمد الفيروزآبادي تحقيق محمد النجار، المكتبة العلمية بيروت - لبنان
٢٢	بغية الطالبين من إحياء علوم الدين/ أحمد عساف/ دار احياء العلوم/ بيروت / الطبعة: الثالثة/ ١٤٠٣هـ
٢٣	تاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .
٢٤	تاريخ العلماء النحويين (من البصريين والكوفيين وغيرهم) للقاضي أبي المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري/ تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو/ أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ دار الهلال/ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٢٥	تأويل مشكل القرآن/ السيد أحمد، دار الكتب العلمية/ بيروت
٢٦	التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور/ تأليف: سماحة الشيخ الأستاذ محمد بن الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ/ بيروت- لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
٢٧	تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي/ للإمام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري أبي العلا/ دار الكتب العلمية/ بيروت.
٢٨	تخریج الحديث النبوي/ د. عبد الغني أحمد جبر التميمي/ دار القاسم/ الرياض/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢٠ - ١٩٩٩م.
٢٩	تذكرة الحفاظ/ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ الطبعة.

م	المرجع
٣٠	ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته على البواب الفقهية / رتبته وبوبته وشرح غريب ألفاظه: عوني نعيم الشريف / مكتبة المعارف / الرياض / الطبعة: الأولى / ١٤٠٦هـ.
٣١	الترجيح في مسائل الصوم والزكاة / محمد بازمول / دار الهجرة / الطبعة: الأولى / ١٤١٥هـ.
٣٢	الترغيب والترهيب / للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذر أبي محمد / تحقيق: إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة: الأولى / ١٤١٧هـ -
٣٣	تفسير ابن جزلي / أشرف عليه لجنة: تحقيق التراث في دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٤	تفسير ابن كثير / اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي / دار الفكر / بيروت / ١٤٠١هـ .
٣٥	تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي / دار المصحف / القاهرة.
٣٦	تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل / للإمام الجليل محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي إعداد و تحقيق: خالد عبد الرحمن العك و مروان سوار، دار الزهراء - للنشر و التوزيع - الرياض -، دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
٣٧	تفسير السعدي / عبد الرحمن بن ناصر السعدي / تحقيق الشيخ ابن عثيمين مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٣٨	تفسير الشعراوي / للشيخ محمد متولي الشعراوي / راجعه: أ.د. أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر، دار أخبار اليوم .
٣٩	تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن / للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري / دار الفكر / بيروت .
٤٠	تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي اعتنى به: خليل مأمون شيحا / دار المعرفة / بيروت - لبنان الطبعة: السادسة / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤١	تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه / الشيخ علي طه الدرّه / منشورات دار الحكمة / دمشق

م	المرجع
	بيروت .
٤٢	تفسير القرطبي / أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي / دار الشعب / القاهرة .
٤٣	التفسير الكبير / للإمام الفخر الرازي طبع بالمطبعة البهية المصرية العصرية / الطبعة: الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
٤٤	تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي / خرج آياته وأحاديثه باسل عيون السود / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة: الأولى / ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٤٥	التفسير الموضوعي القرآن الكريم / أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم / الطبعة: الأولى / ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٤٦	تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي / راجعة وضبطه وأشرف عليه الشيخ إبراهيم محمد رمضان / دار القلم / بيروت .
٤٧	تفسير سورة طه : القرآن في مواجهة المادية للدكتور محمد البهي الناشر مكتبة وهبة — ١٤ شارع الجامعة — عابدين — القاهرة، دار غريب للطباعة — القاهرة. الطبعة الأولى. ربيع الثاني ١٣٩٧هـ — إبريل ١٩٧٧م
٤٨	تفسير مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج / تحقيق: د. محمد السيد الجليند / مؤسسة علوم القرآن / دمشق / الطبعة: الثانية / ١٤٠٤هـ —
٤٩	التمثيل والمحاضرة لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي / تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو / الدار العربية للكتاب / الطبعة الثانية / ١٩٨٣م .
٥٠	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / لابن عبد البر / تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد البكري / وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية / المغرب / ١٣٨٧هـ —
٥١	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي / دار المغني / الرياض / الطبعة: الأولى / ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٥٢	الثقات / محمد بن حبان البستي / تحقيق: السيد شرف الدين أحمد / دار الفكر / الطبعة الأولى / ١٣٩٥ - ١٩٧٥م .
٥٣	جامع العلوم والحكم / للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي / دار المعرفة / بيروت - الطبعة: الأولى / ١٤٠٨هـ —

م	المرجع
٥٤	الجامع لأحكام القرآن / الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي — دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان — الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م
٥٥	الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم/ عني بجمعه وتفصيله: محمد فارس بركات/ دار قتيبه/ بيروت - لبنان/ الطبعة الرابعة/ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥٦	خصائص القرآن/ د. فهد بن عبد الرحمن الرومي/ رئيس قسم الدراسات القرآنية — كلية / الطبعة: الخامسة/ ١٤١٠.
٥٧	خطوة نحو التفكير القويم " ثلاثون ملمحا في أخطاء التفكير وعيوبه " بقلم أ.د. عبد الكريم بكار، دار الأعلام الأردن/ عمان/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.
٥٨	دراسات في الأخلاق/ وشتون الحكمة العلمية/ دار التعارف للمطبوعات حسين المظاهري
٥٩	دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن/ تأليف د. محمد عبد الله دراز/ تعريب تحقيق وتعليق: د. عبد الصبور شاهين مراجعة: د/ السيد محمد بدوي/ مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية/ الطبعة: السادسة، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م. .
٦٠	الدليل إلى مراجع الموضوعات الإسلامية/ محمد بن صالح المنجد/ دار الوطن/ الرياض/ الطبعة الأولى/ ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م.
٦١	الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج/ عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي/ تحقيق: أبي إسحاق الجويني الأثري/ دار ابن عفان/ الخبر - السعودية/ ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٦٢	رسائل الجاحظ/ للجاحظ/ تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ بيروت/ دار الجيل/ ١٤١١هـ — ١٩٩٩م
٦٣	رسالة في مداراة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد الرذائل/ ابن حزم الظاهري/ مؤسسة ناصر الثقافية/ بيروت — لبنان/ ١٩٦١م.
٦٤	روح المعاني والسبع المثاني/ العلامة: أبي الفضل شهاب الدين محمد الألويسي البغدادي / إحياء التراث العربي/ بيروت/ الطبعة الرابعة/ ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م. .
٦٥	الروح/ للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ — دار الرشد للنشر و

م	المرجع
	التوزيع — الرياض.
٦٦	روضة الأنوار في سيرة النبي المختار/ صفى الرحمن المبار كفوري/ دار السلام — الرياض/ مكتبة دار البيان - الكويت/ الجامعة السلفية في الهند- الطبعة: الثالثة/ ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٣م.
٦٧	روضة العقلاء ونزهة الفضلاء/ ابن حبان البستي/ تحقيق: جمال بن محمد بن محمود/ راجعه: محمد بن عبد الله الطالبي/ دار الفتح/ الشارقة الإمارات العربية المتحدة.
٦٨	رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين/ النووي/ دار عالم الكتب/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٧هـ.
٦٩	زاد المسير في علم التفسير/ للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ابن الجوزي/ المكتب الإسلامي/ الطبعة: الرابعة/ ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.
٧٠	زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزي، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط — عبد القادر الأرناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة: السابعة والعشرون/ ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م.
٧١	زبدة التفسير من فتح القدير/ محمد الأشقر/ مكتبة دار الفيحاء، دمشق/ مكتبة دار السلام، الرياض/ الطبعة: الخامسة/ ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.
٧٢	السلسلة القرآنية من أنوار التنزيل: (١) القصص القرآني إيجازاً و نفحاته للدكتور فضل حسن عباس — دار الفرقان — الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م
٧٣	سنن البيهقي الكبرى/ أبو بكر البيهقي/ تحقيق: محمد عبد القادر/ مكتبة دار الباز/ مكة المكرمة/ ١٩٩٤هـ —
٧٤	سير أعلام النبلاء/ الذهبي/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة: التاسعة/ ١٤١٣هـ —
٧٥	شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحيين العماد الحنبلي/ المكتبة التجارية/ بيروت - لبنان/ (د.ط). (د.ت).
٧٦	الشذرات/ الحنبلي/ تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمد الأرناؤوط/ دار بن كثير/ الطبعة:

م	المرجع
	الأول/ ١٤٠٦هـ.
٧٧	شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك/ محمد الزرقاني/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ١٤١١هـ.
٧٨	شرح نهج البلاغة لبني أبي الحديد عز الدين بن هبة بن محمد المدائني/ جمع الشريف الرضي/ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم/ دار الجيل/ بيروت- لبنان/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧٩	شرح النووي على صحيح مسلم/ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- الطبعة الثانية.
٨٠	شعب الإيمان/ للإمام أبي بكر أحمد الحسين البيهقي/ دار الكتب العلمية/ تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول/ بيروت/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٠هـ
٨١	صحيح البخاري/ أبو محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق: محمد علي القطب/ المكتبة العصرية- صيدا بيروت/ ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٨٢	صحيح البخاري/ محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري/ تحقيق د. مصطفى ديب البغا/ دار ابن كثير- اليمامة/ بيروت/ الطبعة الثالثة/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨٣	صحيح مسلم بشرح الإمام يحيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي/ إعداد مجموعة من أساتذة بإشراف علي عبد الحميد أبو الخير/ دار الخير/ الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٨٤	صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحين القشيري النيسابوري/ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت- لبنان
٨٥	صيد الخاطر/ ابن الجوزي/ تحقيق: عامر ياسين/ دار ابن خزيمة/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٨٦	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع/ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي/ دار مكتبة الحياة/ بيروت/ لبنان/ (د.ت)، (د.ت)
٨٧	طبقات الحفاظ/ للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ تحقيق: علي محمد عمر/ مكتبة وهبة/ القاهرة/ مطبعة أميرة/ الطبعة: الثانية/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

م	المرجع
٨٨	الطبقات الكبرى للإمام محمد بن سعد بن منيع الزهري / دار صادر، بيروت / ١٤٠٥ هـ .
٨٩	طبقات المفسرين / محمد بن علي الداوودي / راجعه وطبعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية/ بيروت / الطبعة: الأولى / ١٤٠٣ هـ
٩٠	الطبقة الكبرى للإمام محمد بن سعد منيع الزهري / دار صادر / بيروت / ١٤٠٥ هـ
٩١	طريق الهجرتين وباب السعادتين / ابن الجوزي / تحقيق: بشير محمد عيون / مكتبة المؤيد / الرياض.
٩٢	العبر من خبر من غير / شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / حققه وضبطه، أبو هاجر، محمد السعيد بن بسيوني زغلول / دالا الكتب العلمية / بيروت - لبنان / الطبعة: الأولى / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
٩٣	العفو في القرآن / رسالة ماجستير / من إعداد الطالبة: فائزة بنت حمود النافع / إشراف: أ. د. عبد الرحمن المطرودي - جامعة الملك سعود / ١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ.
٩٤	عون المعبود شرح سنن أبي داود / للإمام محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب / دار الكتب العلمية / بيروت / الطبعة: الثانية / ١٤١٥ هـ
٩٥	العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي.
٩٦	عيون الأخبار / عبد الله بن قتيبة الدينوري / دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م.
٩٧	فتاوى في أحكام الصيام / محمد بن صالح العثيمين / جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان طبع على نفقة مؤسسة الأميرة العنود آل سعود بإشراف مؤسسة الشيخ محمد العثيمين الخيرية /.
٩٨	فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. طبعة منقحة عن الطبعة التي حقق أصلها عبد العزيز بن باز و رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

م	المرجع
٩٩	فتح الباري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ تحقيق: محب الدين الخطيب/ دار المعرفة/ بيروت .
١٠٠	فتح البيان في مقاصد القرآن/ الإمام العلامة أبي الطيب صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري/ عني بطبعة وقّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري/ المكتبة العصرية/ صيدا- بيروت.
١٠١	فتح الخلاق في مكارم الأخلاق/ أحمد سعيد الدجوي/ تحقيق: عبد الرحيم مارديني/ مكتبة دار المحبة.
١٠٢	فتح القدير / الشوكاني/ اعتنى به: يوسف الغوش/ دار المؤيد/ الرياض/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٠٣	الفردوس بمأثور الخطاب/ للإمام أبي شجاع شيروية بن شهردار بن شيروية الديلمي/ تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة: الأولى/ ١٩٨٦م.
١٠٤	الفروق اللغوية للإمام أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم — دار العلم و الثقافة — مدينة نصر — القاهرة — ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م
١٠٥	فضيلة التأني ورديلة العجلة، د. عبد القادر الشихلي/ دار المعالي/ عمان - الأردن/ دار الدولية/ الدمام/ الطبعة: الأولى/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٠٦	الفهارس/ خالد أبو سليمان/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
١٠٧	الفواكة الدواني على رسالة ابن زيد القيرواني/ أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي/ دار الفكر/ بيروت - لبنان/ ١٤١٥هـ
١٠٨	في ظلال القرآن/ سيد قطب/ دار إحياء التراث العربي/ لبنان - بيروت/ الطبعة: السابعة/ ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
١٠٩	القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

م	المرجع
١١٠	القرآن و أنباء الأنبياء تأليف/ محمد فتحي حافظ قورة، مكتبة مصر — الفجالة سعيد جوده السحار و شركاه — الطبعة الأولى
١١١	قصص القران/الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي/ تحقيق: عبد الحي الفرماوي/دار اليقين/القاهرة/ الناشر دار الطباعة الطبعة: الأولى/ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١١٢	الكامل في ضعفاء الرجال/ للإمام عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني/ تحقيق: يحيى مختار غزاوي/ دار الفكر/ بيروت — لبنان/ الطبعة: الثالثة/ ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م
١١٣	كتب ورسائل ابن تيمية في التفسير/ جمع محمد القاسم
١١٤	كتب ورسائل وفتاوى شيخ الاسم ابن تيمية/ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية/ تحقيق: عبد الرحمن بن محمد النجدي/ مكتبة ابن تيمية- الطبعة: الثانية
١١٥	الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل / تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق خليل مأمون شيخا، دار المعرفة بيروت — لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
١١٦	كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس/ إسماعيل بن محمد العجلوني/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ الطبعة: الثالثة/ ١٩٨٨هـ- ١٤٠٨م.
١١٧	لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرريقي المصري دار صادر بيروت/ الطبعة الأولى.
١١٨	لمحات نفسية في القرآن الكريم/ عبد الحميد الهاشمي/ السنة الثانية/ ١٤٠٢هـ/ صفر — العدد (١١).
١١٩	ما اتفق لفظه واختلف معناه/ لابن الشجري هبة الله بن علي أبو السعادات العلوي الحسني/ حقيقه وعلق عليه: عطية رزق/ بيروت/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
١٢٠	المتصر من المختصر من مشكل الآثار/ أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي/ عالم الكتب/ مكتبة المتنبني - مكتبة سعد الدين/ بيروت - لبنان - القاهرة مصر - دمشق سورية
١٢١	مجلة الحرس الوطني/ العدد (٢١٨)/ جمادى الأولى/ ١٤٢١هـ / أغسطس/ ٢٠٠٠م.
١٢٢	مجلة المنهل — مجلة شهرين للآداب والعلوم/ العدد السادس/ جمادى الثانية/ ١٣٩٤

م	المرجع
	يونيو - يوليو ١٩٧٤م، جدة - المملكة العربية السعودية.
١٢٣	مجلة الهداية مجلة إسلامية شهرية/ تصدرها وزارة العدل والشئون الإسلامية/ دولة البحرين/ العدد الثامن عشر بعد المائة- السنة العاشرة/ ذو الحجة ١٤٠٧هـ - أغسطس - ١٩٨٧م.
١٢٤	مجمع الزوائد للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي/ دار الريان للتراث/ القاهرة/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ١٤٠٧هـ -
١٢٥	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي / دار الكتب العلمية/ تحقيق: عبد السلام بن عبد الشافي محمد/ بيروت - لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٢٦	مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي الوفاء المبشر بن فاتك/ حققه وقدم له وعلق عليه/ د. عبد الرحمن بدوي/ المؤسسة العربية/ بيروت - لبنان/ الطبعة: الثانية/ ١٩٨٠م.
١٢٧	مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ضبطه و صححه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
١٢٨	مختصر سيرة الرسول ٣ / عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب/ دار فيحاء/ دمشق/ دار السلام/ الرياض.
١٢٩	مختصر كتاب (التعريفات) للجرجاني، و اختصره قسم التحقيق و البحث العلمي بدار طويق للنشر و التوزيع - دار طويق، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ -
١٣٠	المستطرف في كل فن مستطرف/ شهاب الدين محمد بن أحمد بن أبي الفتح الأشبيهي/ شرحه ووضع هوامشه د. مفيد محمد قميحة/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ الطبعة: الأولى/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣١	المسجد و بيت المسلم/ أبو بكر جابر الجزائري/ مكتبة لينه/ دمنهور/ الطبعة: الثانية/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
١٣٢	مسند أبي يعلى/ للإمام أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي/ تحقيق/ سليم أسد/ المأمون للقران/ دمشق سورية/ الطبعة: الأولى/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
١٣٣	مسند إسحاق بن راهوية/ للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهوية الحنظلي/ تحقيق:

م	المرجع
	د. عبد الغفور البلوشي / مكتبة الإيمان - المدينة النبوية
١٣٤	مسند الروياني / للإمام محمد بن هارون الروياني أبي بكر / تحقيق: أيمن علي أبو يمان / مؤسسة قرطبة / القاهرة / الطبعة: الأولى / ١٤١٦هـ -
١٣٥	مسند عبد بن حميد / للإمام عبد بن حميد بن نصر أبي محمد الكسي / تحقيق: صبحي البدري السامرائي / محمد خليل الصعيدي / مكتبة السنة / القاهرة / الطبعة: الأولى / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣٦	مصباح الزجاجية في شرح سنن ابن ماجه / للإمام أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكتاني / تحقيق: محمد المنقى الكشناوي / دار العربية / بيروت - لبنان / الطبعة: الثانية / ١٤٠٣هـ -
١٣٧	مصنف ابن أبي شيبة / للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي / تحقيق: يوسف كمال الحوت / مكتبة الرشد / الرياض - الطبعة الأولى / ١٤٠٩هـ -
١٣٨	مصنف عبد الرزاق / لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني / تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي / المكتب الإسلامي / بيروت - لبنان / الطبعة: الثانية / ١٤٠٣هـ -
١٣٩	معالم في طريق طلب العلم / عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان / دار العاصمة المملكة العربية السعودية / الرياض / الطبعة: الثالثة / ١٤٢٠هـ -
١٤٠	المعجم الكبير / للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني / تحقيق: حمدي السلفي / مكتبة العلوم والحكم / الموصل / الطبعة: الثانية / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
١٤١	معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / مؤسسة الرسالة / الطبعة: الأولى / ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٤٢	المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي / دار الفكر / الطبعة: الرابعة / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٤٣	المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم / إعداد محمد بسام رشدي الزين / إشراف محمد عدنان سالم / دار الفكر المعاصر / بيروت - لبنان / دار الفكر - دمشق - سورية / الطبعة: الثانية: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٤٤	معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون / دار الجليل بيروت

م	المرجع
١٤٥	مفتاح كنوز السنة/ وضعه باللغة الإنكليزية د. ا.ي. فنسك، ونقله إلى اللغة العربية: محمد فؤاد عبد الباقي/ وراجعته الشيخ: خليل الميس/ دار الفلم/ بيروت - لبنان/ الطبعة: الثانية/ ١٩٨٥م.
١٤٦	المفردات في غريب القرآن/ تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق و ضبط محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت لبنان
١٤٧	المقابسات لأبي حيان التوحيدي تحقيق محمد توفيق حسين مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧٠م.
١٤٨	مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد الزرقاني/ دار الكتب العلمية/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
١٤٩	مواهب الجليل الشرح مختصر خليل/ محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله/ دار الفكر/ بيروت - لبنان/ الطبعة: الثانية - ١٣٩٨هـ -
١٥٠	الموسوعة الفقهية الميسرة / أ.د. محمد رؤاس قلعه جي كلية الشريعة جامعة الكويت/ دار النفائس
١٥١	موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية. أ.د مرزوق بن صنيان بن تنباك/ دار رواح.
١٥٢	نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ إعداد: مجموعة من المختصين بأشراف إ.د. صالح بن عبد الله بن حميد و عبد الرحمن بن ملوح/ دار الوسيلة/ جدة/ المملكة العربية السعودية/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٥٣	نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ إبراهيم بن عمر البقاعي/ خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق المهدي/ دار الكتب العلمية، بيروت .
١٥٤	النهج السلوك في سياسة الملوك/ عبد الرحمن بن نصر بن عبيد الله الشيرازي/ دراسة و تحقيق: د. محمد أحمد دمج/ مؤسسة بحسون/ بيروت - لبنان، دار المنال/ بيروت الطبعة: الأولى/ ١٤١٤هـ - ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
١٥٥	نوادير الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم/ محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي/ تحقيق د. عبد الرحمن ميرة/ دار الجليل/ بيروت/ الطبعة: الأولى/

م	المرجع
	١٩٩٢ م .
١٥٦	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين / محمد الخضير بل / تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي / المكتبة العصرية / صيدا - بيروت / الطبعة: الثالثة / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
١٥٧	نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار / الإمام محمد بن علي الشوكاني / د. وهبة الزحيلي / دار الصميعي / الرياض / دار الخير / دمشق / بيروت / الطبعة: الأول / ١٤١٦ هـ -
١٥٨	الهدى الإسلامي للغرائز عند الإنسان بحث في التربية الإسلامية / عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الزيد / جامعة أم القرى / مكة المكرمة / ١٤١٧ هـ -
١٥٩	هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً / محمود الخزندار / دار طيبة للنشر /
١٦٠	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / الطبعة: الأولى / ١٤١٩ هـ -
١٦١	اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمة / أبو منصور الثعالبي / تحقيق: محمد جاسم الحديثي / دار الثؤرون / الثقافية العامة / ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٢
٢	أسباب اختيار الموضوع .	٥

الصفحة	الموضوع	م
٦	منهج البحث	٣
٦	الدراسات السابقة .	٤
٨	خطة البحث	٥
	الباب الأول : " العجلة أنواعها وأسبابها وآثارها "	٦
١٤	التمهيد	٧
١٥	العجلة بين الدلالة اللغوية والقرآنية .	٨
٣١	مفهوم العجلة .	٩
٣٢	صيغ العجلة.	١٠
٣٨	الفرق بين العجلة ، والمبادرة ، والسرعة ، والمساابقة	١١
	الفصل الأول : " أنواع العجلة "	١٢
٤٢	المبحث الأول : العجلة المحمودة	١٣
٤٣	المطلب الأول : تعجيل التوبة .	١٤
٦٩	المطلب الثاني : العجلة إلى الخيرات	١٥
٩٥	المطلب الثالث : التعجيل في أداء العبادات	١٦
١٠٥	المطلب الرابع : تعجيل الجزاء في الدنيا	١٧
١٢٦	المبحث الثاني : " العجلة المذمومة "	١٨
١٢٧	المطلب الأول : استعجال الأمور المرغوبة لذاتها	١٩
١٦٨	المطلب الثاني : استعجال الأمور المكروهة لذاتها	٢٠
	الفصل الثاني : (أسباب العجلة)	٢١
١٩١	المبحث الأول : أسباب العجلة المحمودة	٢٢
١٩٢	المطلب الأول : طلب رضا الله	٢٣
١٩٤	المطلب الثاني : المسارعة إلى سبيل الخير	٢٤
١٩٦	المطلب الثالث : مخالفة أهل الكتاب .	٢٥
١٩٨	المبحث الثاني : (أسباب العجلة المذمومة)	٢٦

الصفحة	الموضوع	م
١٩٩	المطلب الأول : العجلة من مظاهر السلوك الإنساني	٢٧
٢٠١	المطلب الثاني : الكفر والشرك	٢٨
٢٠٣	المطلب الثالث : الغضب	٢٩
٢٠٤	المطلب الرابع : الضعف	٣٠
	الفصل الثالث (آثار العجلة)	٣١
٢٠٦	المبحث الأول : " آثار العجلة المحمودة "	٣٢
٢٠٧	المطلب الأول : محبة الله	٣٣
٢١٣	المطلب الثاني : الثقة بموعود الله	٣٤
٢١٥	المطلب الثالث : الثبات والعمل الصالح	٣٥
٢١٧	المطلب الرابع : دخول الجنة	٣٦
٢١٩	المطلب الخامس : التكفير والتطهير	٣٧
٢٢٠	المبحث الثاني : " آثار العجلة المذمومة "	٣٨
٢٢١	المطلب الأول : آثار العجلة المذمومة في الدنيا	٣٩
٢٣٠	المطلب الثاني : آثار العجلة المذمومة في الآخرة	٤٠
٢٣٣	الباب الثاني : " الأناة مظاهرها وآثارها "	٤١
	الفصل الأول : " ما هية الأناة "	٤٢
	المبحث الأول : تعريف الأناة .	٤٣
٢٣٤	المطلب الأول : الدلالة اللغوية للتأني .	٤٤
٢٣٨	المطلب الثاني : التأني اصطلاحاً .	٤٥
٢٣٩	المطلب الثالث : نظائر التأني في اللغة .	٤٦
٢٤٣	المبحث الثاني : عرض القرآن للأناة .	٤٧
٢٤٦	المبحث الثالث : فضل الأناة .	٤٨
٢٥٥	المبحث الرابع : اقتتران الحلم بالأناة .	٤٩
٢٥٨	المبحث الخامس : الفرق بين التأني و التواني	٥٠

الصفحة	الموضوع	م
٢٦١	الفصل الثاني : مظاهر الأناة وآثارها	٥١
	المبحث الأول : مظاهر الأناة	٥٢
٢٦٢	المطلب الأول : في السلوك العام	٥٣
٢٦٤	المطلب الثاني : في التعليم	٥٤
٢٦٦	المطلب الثالث : في قراءة القرآن	٥٥
٢٦٩	المطلب الرابع : في المشي إلى الصلاة	٥٦
٢٧١	المطلب الخامس : عند الدفع من عرفات إلى مزدلفة	٥٧
٢٧٢	المطلب السادس : في الحكم على الآخرين ومخاطبتهم .	٥٨
٢٧٥	المبحث الثاني : " آثار الأناة "	٥٩
٢٧٦	المطلب الأول : محبة الله .	٦٠
٢٧٧	المطلب الثاني : العدل .	٦١
٢٨٠	المطلب الثالث : الطمأنينة .	٦٢
٢٨١	المطلب الرابع : النجاح ونيل المنى .	٦٣
٢٨٣	المطلب الخامس : الأناة طريق إلى الحكمة .	٦٤
٢٨٤	الخاتمة	٦٥
٢٨٨	الفهارس	٦٦
٢٨٩	فهرس الآيات	٦٧
٣٠٠	فهرس الأحاديث	٦٨
٣٠٥	فهرس الأعلام	٦٩
٣١٧	فهرس الأشعار	٧٠
٣٢٠	فهرس البلدان	٧١
٣٢٢	فهرس المصادر والمراجع	٧٢
٣٣١	فهرس الموضوعات	٧٣